

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر - باتنة -



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

الاستشراق الفرنسي وجهوده في دراسة ونشر التراث الجزائري

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير تخصص تحقيق النصوص ونشرها

إشراف الدكتور:

محمد حجازي

إعداد الطالبة:

رزيقة يحيوي

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة باتنة	أ.ت.ع	عبد الرزاق بن السبع
مشرفا ومقررا	جامعة باتنة	أ.ت.ع	محمد حجازي
مناقشا	جامعة باتنة	أ.ت.ع	عيسى مدور
مناقشا	ج. أم البواقي	أ.م	بلقاسم دكدوك

السنة الجامعية:

1435-1436هـ / 2014-2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

عرف العالم عبر قرون من الزمن متغيرات كثيرة وتحديات جمّة نتيجة لمختلف الصراعات التي ميزت مسيرة المجتمعات الإنسانية، ما دفع هذه الأخيرة إلى إيجاد لغة تتواصل بها فيما بينها بغض النظر عما إذا كان هذا التواصل تواملاً مع الآخر بغية الحوار، أو تواملاً مع الآخر بغية التحكم والاستعمار؟

ومن هنا ظهر الاستشراق كنتاج فكري غربي يختص بدراسة تاريخ العرب وحضاراتهم من خلال ما يتميز به من منارات علمية وأدبية وثقافية أرّخ لها نخبة من العلماء والأدباء على مر العصور.

فانكب الكثير من المستشرقين على دراسة النصوص التراثية التي تزخر بها المكتبات العربية، خاصة وأنها تعتبر صورة ناطقة عما ميز فترات زمنية متعاقبة في شتى مناحي الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، وترجمانا بليغا لأفكار ومبادئ حضارة إنسانية شامخة عرفت بعراقتها وأصالتها.

وتعتبر هذه النصوص التراثية رصيد الأمة العربية وذخيرتها ووسيلة بقائها حية بين مختلف الحضارات والأمم، لأنها تمثل هويتها وتضبط خصوصيتها الحضارية باعتبار أنها صمام أمانها في مواجهة تحديات الحضارة الغربية بمختلف أطيافها.

وقد تفاقمت مطامع الدول الغربية على الأمة العربية والاسلامية وتزاحمت حولها نواياهم واختلفت بشأنها مقاصدهم، فتعددت الغاية من الاستشراق فكانت إما سياسية بحثة، أو خدمة لأغراض اقتصادية وتجارية، أو دفاعية محضة لمواجهة خطر الشرق الزاحف على الغرب والمتمثل في الدين الإسلامي.

وبالرغم من هذا الاختلاف في الغرض المنشود من الاستشراق، إلا أن جميع المستشرقين أجمعوا على ضرورة البحث والتقصي في تراث العرب والمسلمين، والتعريف به لأبناء وطنهم وجلدتهم ودينهم عن طريق مختلف الوسائل كالترجمة، والدراسة، والتحليل، والتعليق، وماشابه ذلك...، بغية إجلاء ما يحويه من حقائق ومعالم وثقافات للاستفادة

منها في خدمة حضارتهم، من باب أن التأثير والتأثر بين الشعوب أمر وارد وحتمية لا بد منها خاصة في ضوء حوار الحضارات وتعايش الهويات.

وكانت فرنسا أولى الدول الأوروبية اتصلا بالحضارة العربية الاسلامية من خلال الحروب الصليبية، حيث عرفت تلك الحقبة أكبر حركة ترجمة في التاريخ ونقل فيها الكثير من كنوز التراث العربي إلى الغرب، فقد ارتبط الاستشراق في بدايته بالترجمة بداية بترجمة نصوص القرآن الكريم إلى اللاتينية، ثم ترجمة كتب العلماء والرياضيين والفلاسفة العرب والمسلمين في جميع حقول المعرفة، في حين ركزت الترجمة الأدبية على النصوص التراثية التي كان لها تأثير بالغ في الفكر الأوروبي.

وبلغ هذا الاتصال ذروته في بداية عصر النهضة، حيث تضافرت مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية لترسيخ الفكر الاستشراقي ودفعه بشكل منتظم في سياق مؤسس خدمة لأغراضه الظاهرة والخفية.

حيث تبوّأت المدرسة الاستشراقية الفرنسية مركز الريادة في مجال الاستشراق، و أنجبت جيلا من العمالقة اعترف لهم بالصدارة والتميز حتى لقبت باريس بعاصمة الاستشراق واحتضنت أول مؤتمر لها سنة (1873)م.

فبعد انفتاح أوروبا على دول العالم واطلاعها على حضارة الشرق على يد المستشرقين، اجتاحت فرنسا رغبة في اكتساح دول المشرق والمغرب معا، بحجة التعرف على الآخر بالاطلاع على فكر الأمم لسير أغوارها وتبين أسرارها، وبرز اهتمامها - بشكل أدق- بالتراث الجزائري بعد احتلالها للجزائر سنة (1830)م، خاصة وأنه يمثل هوية المجتمع الجزائري ويحدد ملامح ثقافته وتفكيره وكيفية فهمه للقيم الروحية والمبادئ الأساسية، سعيا منها لفرنسته وإدماجه في بوتقة المجتمع الفرنسي ثقافيا وحضاريا وإجتماعيا، ولإخضاعه واستدماره روحيا وفكريا.

فقد شهدت الجزائر في أوج حركة الاستعمار الفرنسي تحاملا عنيفا على رموزها الحضارية والفكرية حيث تم نقل الكثير من المخطوطات النفيسة خارج البلاد، إما عن طريق نهبها عنوة أو اختلاسها متى سنحت الفرصة بذلك، في حين أتلّف بعضها وأحرق البعض الآخر في عمليات الغزو التي أتت على المساجد والزوايا والمكتبات.

وقد شكلت حركة جمع المخطوطات وتصنيفها ظاهرة ثقافية متميزة في فرنسا لفترة طويلة، فمنذ دخولها إلى الجزائر سارعت السلطات الفرنسية إلى وضع يدها على كل ما صادفته من مخطوطات ووثائق، ووضعتها تحت تصرف المستشرقين الذين عكفوا على دراستها وعنوا بترجمتها ونشرها، فلم يتركوا جانبا أو مجالا من مجالات البحث في هذا التراث العريق الذي يعد إرثا غنيا إلا وطرقوه، فدرسوا اللغة العربية، واللهجات العامية، والأمازيغية، وتاريخ الجزائر وثوراتها، والشعر بنوعيه الفصيح والعامي، والتصوف وطرقه، والعقيدة ومبادئها، والتراجم والرحلات والأمثال الشعبية، ثم لم يذخروا جهدا من أجل تحقيق هذه الغاية فأولوا عناية بالغة في تعلم اللغة العربية ومحاولة فهم أصول الدين الإسلامي ومدى ارتباط الشعب الجزائري به.

ولم يكتفوا بدراسة مؤلفات العلماء والأدباء الجزائريين فحسب، بل بذلوا جهدا فرديا متميزا تمثل في معايشة بيئتهم بمختلف صورها للتعرف على أدق تفاصيل معيشتهم ونمط حياتهم، خاصة وأن أبناء هذا الشعب كان يجمعهم نمط تفكير ولسان واحد حتى ولو اختلفت لهجاته، وكانت تتجاذبهم مشاعر مشتركة متقاربة فيما بينها، وتميزهم ملامح ثقافة واحدة، حيث نسجوا دراسات حول مختلف العادات والتقاليد والممارسات والطقوس (كالزردات، والوعادات، والتبرك بأضرحة الأولياء الصالحين..)، كما عكفوا على دراسة الآثار والمنشآت العمرانية والمساجد المتميزة بالهندسة الإسلامية الخلابية.

ثم توسع مجال بحثهم ونشاطهم العلمي والثقافي - فيما بعد - إلى تأسيس اللجان العلمية المتخصصة، والجمعيات، وإصدار المجالات، وإنشاء المعاهد وجميعها تصب في منحى

واحد وهو التعرف على التراث الجزائري وتصنيفه والتنقيب في مجالاته، ولهذا ركز البحث على نفوذ الاستشراق الفرنسي في الجزائر وجهوده في دراسة ونشر التراث الجزائري.

ولعل من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع:

- كون المدرسة الاستشراقية الفرنسية تعد الرائدة في مجال الاستشراق الأوروبي، والأبرز والأخطر بين جميع المدارس الاستشراقية، خاصة وأن مجالات اهتماماتها كانت وطيدة العلاقة بحركة الاستعمار والاحتلال.

- جهلنا بتراثنا الجزائري الذي لا نعرف عنه إلا النزر القليل، وهذا ما يدفع للبحث والتقصي عن خبايا هذا التراث، ونفض الغبار عما هو مغيب وغير مدروس.

- جهلنا لحقب زمنية هامة من تاريخنا ولشخصيات أدبية وعلمية أهم، ساهمت في صناعة هذا التاريخ، أولى لها الاستشراق الفرنسي بالغ الاهتمام بالدراسة والتمحيص، من خلال استقراء النصوص التراثية وتحليلها واستنباط معانيها.

- أن مثل هذه الدراسات الاستشراقية على تعدد أغراضها، تستحق الاطلاع عليها ودراستها وكشف خباياها، كونها لم تكن خالية من الفائدة العلمية، خاصة فيما يتعلق بفهرسة هذا التراث، وتحديد أماكن تواجده، ومن ثم تسهيل الوصول إليه.

- محاولة تسليط الضوء على ما قدمته المدرسة الاستشراقية الفرنسية للتراث الجزائري، وذلك من خلال التعرف على جهودها في خدمة ونشر التراث، من باب إعطاء لكل ذي حق حقه مصداقا لقوله تعالى " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ " سورة المائدة الآية: 08.

- الوقوف على كيفية قراءتهم للتراث الجزائري، من خلال منهجهم في نشر نصوصه الأصلية وترجمتها ثم الغوص في أصوله وأبعاده بالدراسة والشرح والتعليق.

- محاولة التعرف على أهم المجالات التي ركز عليها المستشرقون الفرنسيون بالدراسة والنشر، ومن ثم الكشف عن سبب هذا الإهتمام بتلك المجالات بعينها، وبالتالي معرفة حقيقة مقاصدهم ونواياهم من وراء هذا الإهتمام.

وقد هدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل نجحت المدرسة الاستشراقية الفرنسية - باعتبارها أخطر أنواع الغزو الثقافي والفكري- في التأثير السلبي على نتاجنا الفكري والثقافي؟ أم أنها كشفت اللثام عن جوانب خفية من تراثنا العريق؟

- هل تمكنت من خلال ترجمة ونشر ودراسة هذا التراث، أن تنال منه بالترفيف والتحريف؟ أم أنها أسست لانتشاره في كل أصقاع العالم؟

- هل اتسمت أعمالهم بالموضوعية والتزام المنهج العلمي في الدراسة والنشر؟ أم أنها حادت عن جادة الصواب، وانحازت إلى التلفيق والتعصب العرقي والديني؟

- هل كسبت المدرسة الاستشراقية الفرنسية الأمة الجزائرية، بعرض ما ابتكره أدباؤها وعلمائها وفقهاؤها من إبداعات عبر العصور؟ أم أنها ساهمت في ظهور النضج الفكري لجيل جديد من المبدعين والمفكرين حمل على عاتقه واجب استنهاض هذه الأمة والسعي الجاد للحفاظ على تراثها الذي هو عنوان أصالتها ودليل عراقتها؟

وكان من اهتمامات البحث، أن أولى أهمية للدارس والباحث الذي أنجبته المدرسة الاستشراقية الفرنسية، وكان من أعظم الذين درسوا هذا التراث واستلهموا الطريقة والفكر من أساتذة الاستشراق الذين ينتمون إلى هذه المدرسة، ألا وهو العلامة محمد بن أبي شنب.

وتناول هذه الشخصية بالبحث والدراسة ليس من باب الصدفة، وإنما كان لعدة أسباب لعل من أهمها:

- لعلاقته الوطيدة بالاستشراق الفرنسي، إذ بدأت بعد دخوله الجامعة سنة (1849م)، فكان نبوغه وتفوقه سببا في التحاقه بالمدرسة العليا للآداب (تحت الوصاية الفرنسية طبعا)، ومن ثم أصبح أهم الأعضاء الناشطين في هذا الحقل الاستشراقي، الذي انبرى لخدمة التراث الجزائري خاصة والعربي عامة.

- تعلم على يد كبار المستشرقين أمثال (رينيه باسيه Rénie Basset) و(فانيان Vanian)، وكان أستاذا للاحقين منهم، واشترك مع بعضهم في نشر التراث.

- والسبب الأهم هو الكشف عن جوانب هذه الشخصية العلمية والأدبية المتميزة، التي حملت على عاتقها مسؤولية خدمة التراث الجزائري، فبذلت جهودا جبارة في إحيائه وتعريفه للغرب عن طريق الترجمة والدراسة والنشر.

وبالرغم من عبقرية الرجل واعتراف عمالقة الفكر من الشرق والغرب بنبوغه، إلا أنه لم يلق الاهتمام بالتناول والدراسة والبحث، وظلت جوانب كثيرة من حياته مغمورة إلى حد الساعة، ما يضع علامة استفهام كبرى عن سبب هذا الغموض الذي يشوب حياة هذا المفكر، ما جعله بعيدا عن متناول الدارسين والباحثين.

وقد وقف البحث على المحطات الآتية:

مقدمة: احتوت أهم القضايا و العناصر التي تطرق إليها البحث بالتحليل والدراسة.

تمهيد: وعنون بمفاهيم الاستشراق والتراث ومنطقتاتهما، وفيه تناول البحث التعريف بالاستشراق لغة واصطلاحا، مبرزاً أهدافه التي أجمع عليها الدارسون والباحثون، وأهم مدارسه مع التعرض لبعض روادها مع ذكر نماذج عن أعمالهم، وكذلك التعريف بالتراث، مبينا أنواعه وأهميته دراسته.

الفصل الأول: تطرق فيه البحث إلى التعريف بماهية المدرسة الاستشراقية الفرنسية، وكيفية نشأتها وتطورها، بداية من الحروب الصليبية إلى غاية احتلال فرنسا للجزائر سنة(1830م) وتوغلها في شمال إفريقيا، وقد استعرض البحث أهم المؤسسات والوسائل

التي اعتمدها الاستشراق الفرنسي لتحقيق أهدافه وخدمة أغراضه كاللجان العلمية، والجمعيات الاستشراقية، والمعاهد المتخصصة، ثم عدد أهم رواد الاستشراق الفرنسي في الدراسة والنشر أمثال:

(شاربونو Cherbonneau)، (رينيه باسيه Rénie Basset)، (دوسلان Deslane)، (جورج مارسيه George Marcais)، و(أوكتاف هوداس O. Hodas).

الفصل الثاني: خصص للحديث عن اسهامات الاستشراق الفرنسي في دراسة التراث الجزائري ونشره.

فعرض البحث أهم مجالات الدراسة والنشر في التراث الجزائري عند المستشرقين الفرنسيين مع ذكر نماذج من أعمال هؤلاء الرواد في كل مجال من المجالات السابقة الذكر وذلك بالدراسة والتحليل والتعليق، ثم تبين منهج هؤلاء المستشرقين في النشر لبيان خصائص ومميزات هذا المنهج.

أما الفصل الثالث: فقد خصص للحديث عن تأثير المدرسة الإستشراقية الفرنسية على بعض رواد الفكر الجزائري، وكان العلامة (محمد بن أبي شنب أنموذجا)، لعلاقته الوطيدة بالمدرسة الاستشراقية الفرنسية كما سبق الإشارة إليه من جهة، ولما أسهم به من أعمال في خدمة التراث الجزائري من جهة أخرى، ملتزما بالمنهج العلمي في أبحاثه ودراساته.

واستعرض البحث حياة هذا العلامة بالتطرق إلى نسبه ونشأته مع ذكر شيوخه وتلامذته، ثم بين مكانته العلمية والأدبية وكذا نشاطه في حقل الاستشراق.

ثم عرض البحث جهوده المتميزة واسهاماته في خدمة التراث الجزائري، وبين منهجه وأسلوبه في الدراسة والنشر والتحقيق، استنادا إلى أعماله التي درسها ونشرها، وصولا إلى خاتمة البحث.

وتستدعي طبيعة الموضوع اعتماد المنهج التاريخي لمعرفة سياق الأحداث والشخصيات، كما يستدعي البحث المنهج التحليلي لاستقراء القضايا الواردة في الدراسة، من ناحية

اسهامات المستشرقين أو جهود العلامة ابن شنب في الدراسة والنشر، ومن ثم تحليلها واستخلاص أهم النتائج، إضافة إلى اعتماد المنهج المقارن، للمقارنة بين النصوص التراثية الأصلية والنصوص المترجمة من جهة، ومن جهة أخرى للمقارنة بين الطرفين فيما يخص خدمة التراث والهدف من وراء نشره.

ولقد اعتمد البحث في رحلة الدراسة في عرضه وتحليله ومناقشته لمختلف القضايا الواردة فيه على جملة من المصادر والمراجع التي أعانت في خوض غمار هذه الدراسة والتي كانت عوناً وسنداً في استبيان وتوضيح وتوثيق مختلف النقاط المثارة ومنها:

المجلة الإفريقية، المجلة الآسيوية، الأعلام لخير الدين الزركلي، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم، الديوان المغربي في ذكر أقوال عرب إفريقية والمغرب لسونيك، بغية الرواد لذكرياء بن خلدون، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس للتوجيني، تاريخ الجزائر الثقافي وأبحاث وآراء في تاريخ الجزائر لأبي القاسم سعد الله، الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية لمحمد العربي معريش، المستشرقون لنجيب العقيقي، الاستشراق لإدوارد لسعيد، معجم المستشرقين ليحي مراد، الموسوعة العربية الميسرة لعلي مولا، معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الإحتلال الفرنسي لإسماعيل العربي، مقاربات في الاستشراق والاستغراب لمولود عويمر، محمد ابن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية لمحمد زرمان، محمد بن أبي شنب لعبد الرحمن الجليلي.

ولا يفوتنا ونحن نستعرض بعض هذه المصادر التي اعتمدنا عليها في رحلة بحثنا هذه أن نذكر أهم العراقيل التي واجهتنا في دراستنا والتي تتمثل خصوصا في ندرة المراجع المتعلقة بالتراث الجزائري والتي كانت محط اهتمام المستشرقين الفرنسيين، أو المتعلقة بحياة العلامة ابن شنب.

ضف إلى ذلك أن أهم هذه المصادر والتي اتكأ عليها البحث في الدراسة وهي المجلة الإفريقية والمجلة الآسيوية، عبارة عن نسخ إلكترونية قديمة وغير واضحة، لذلك صعب علينا تفحصها خاصة لدقة خطها، ولذلك تمنع الكثيرون عن ترجمتها لما تحتاج إليه من جهد ووقت.

ولا يفوتني في نهاية المطاف أن أشير إلى أن التعامل مع حقل معرفي واسع وشائك ومشعب كحقل الاستشراق أمر في غاية المشقة والصعوبة، وأن الإقدام على محاولة الاقتراب من موروث ثقافي وحضاري كالتراث الجزائري والتعريف به أمر ليس بالهين، ولعل مرجع ذلك ندرة الدراسات التي تتناول هذا التراث والذي يستحق من الباحثين الجزائريين الالتفات إليه خاصة وأنه لقي اهتمام المستشرقين لما يحتويه من ذخائر، فمن باب أولى أن يهتم وينتصر للتعريف به ودراسته وجمع شتاته أبنائه من منطلق الغيرة والتقدير، خاصة وأن الدراسات المهمة به شحيحة جدا مقارنة بالتي اعتنت بالتراث المغربي مثلا أو العربي عموما.

ولعل جهدي هذا ومحاولتي في إلقاء الضوء على بعض زوايا هذا التراث العريق ما هو إلا لبنة تحتاج إلى لبنات أخرى في هذا المضمار وإلى مزيد من الجهد للإحاطة بجوانبه المتفرعة والمتنوعة والغنية في الوقت نفسه.

ومن باب ارجاع الفضل لأهله يجدر بي أن أشكر الله عز وجل الذي وفقني لإتمام هذا البحث، كما أشكر أستاذي الفاضل محمد حجازي الذي وقف على كل حيثية من حيثيات البحث، وأمدني بنصائحه وارشاداته القيمة التي كانت عوناً وسنداً لي ليستقيم عود البحث.

تمهيد:

مفاهيم الاستشراق والتراث ومنطقتاهما

أولاً: الاستشراق

ثانياً: التراث

أولاً: الاستشراق

1- تعريفه:

لقد اهتم العديد من المفكرين بالاستشراق على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية، باعتباره إشكالا معقدا فرض وجوده على النخبة في العالمين العربي والغربي على حد سواء، نظرا للجدل الكبير الذي أثير حول طبيعة الاستشراق من جهة كمصطلح غربي ضرب بجذوره في عمق حضارة عربية إسلامية منذ قرنين من الزمن، ومن جهة أخرى حول الأسس التي اعتمد عليها الدارسون في تحديد مفهومه، فمنهم من استند في تعريف الاستشراق إلى هوية صاحب الدراسة، إذ لا بد أن يكون غربيا، ومنهم من ركز اهتمامه على ديانة الدارس فالمهم أن يكون من غير المسلمين حتى لو كان شرقيا، في حين أولى فريق آخر اهتمامه بموضوع الدراسة، والذي لا بد أن لا يخرج عن نطاق الشرق في مضمونه ومحتواه.

ولهذا ظهرت العديد من التعاريف التي حاول كل فريق من خلالها استبيان موقفه وتركيزه رأيه والدفاع عنه.

فالمفهوم اللغوي لهذا المصطلح هو:

أ) - الاستشراق لغة:

إن كلمة استشراق بمعناها اللغوي، لم ترد في أي معجم من المعاجم العربية القديمة المختلفة بهذا المفهوم الحديث، ومصطلح الاستشراق يعد من التسميات الحديثة وإن كان مدلولها غير حديث.⁽¹⁾

¹ - بمعنى أن الاستشراق حديث الظهور، إلا أن معرفة الشرق وما يتعلق به، يعود إلى الأزمان الغابرة، ويؤكد ذلك ما عثر عليه من نقوش أثرية، ثم من خلال الوقائع التاريخية والنصوص الجغرافية وكتب الأسفار وغيرها. بتصرف:/ انظر: humcivilization.blogspot.com/2016/02/blog-post.html

وبالنظر إلى لفظة استشرق فإنها مأخوذة من الفعل الثلاثي شَرَقَ، أضيفت له ثلاث حروف (الألف، السين، التاء)، والسين في كلمة استشرق "تفيد الطلب"⁽¹⁾ أي طلب دراسة ما في الشرق من آداب ولغات وأديان، جاء في لسان العرب:⁽²⁾

شَرَقَ: شَرَقَتِ الشَّمْسُ، تَشْرُقُ، شُرُوقًا، وشَرَقًا طَلَعَتْ، واسم الموضع المشرق.

يقال: شَرَقَتِ الشمس إذا طلعت، وَأَشْرَقَتْ إذا أضاءت، والشَّرْقُ: الأخذ من ناحية المشرق. وشَرَقُوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق.

والشَّرْقِيُّ: الموضع الذي تَشْرُقُ فيه الشمس من الأرض.

وَأَشْرَقَتِ الأرض، أنارت بإشراق الشمس « وَأَشْرَقَتِ الأرضُ بِنُورِ رَبِّهَا ».⁽³⁾

أما حضور كلمة استشرق في المعاجم الحديثة، فقد جاءت بمعنى: "العناية والاهتمام بشؤون الشرق وثقافته ولغاته"، وشَرَّقَ المسافر: اتجه ناحية الشرق⁽⁴⁾، كما جاءت كلمة استشرق مرادفة للكلمة الفرنسية (Orientalisme) وتعني الاهتمام بالأشياء الشرقية.

ORIENTALISTE: تعني المستشرق، وهو العالم باللغات والآداب الشرقية.⁽⁵⁾

أو هو من يهتم من الأوروبيين بالدراسات الشرقية.⁽⁶⁾

و ORIENTALISANT: هو المتأثر بالمشرق.⁽⁷⁾

1- عبده الراجحي - التطبيق الصرفي - دار النهضة العربية - بيروت - ص 40

2- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) - لسان العرب - دار صادر - لبنان - ط1 - 1300 هـ -

مج4 - باب "شَرَقَ" - ص 2244

3- سورة الزمر - الآية: 69

4- أحمد مختاري - معجم اللغة العربية - دار الكتاب - القاهرة - ط1 - 1429 هـ/2008 م - مج1 - ص1192

5- سهيل إدريس - المنهل - قاموس فرنسي عربي - دار الأدب - بيروت - ط2 - 2010 - ص810

6- أحمد مختاري - معجم اللغة العربية - (مرجع سابق) - ص 1192

7- سهيل إدريس - المنهل - (مرجع سابق) - ص 851

ORIENTATION: هو توجه أو اتجاه نحو الشرق.⁽¹⁾

وORIENT: لفظ يشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية، وهي كلمة تتميز بطابع معنوي وهو (MORGENLAND) وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي، إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك تستخدم في اللغة كلمة (ABENDLAND) وتعني بلاد المساء، لتدل على الظلام والراحة.⁽²⁾

وحين نستقصي المعاجم الغربية، نجد أن الدلالة اللفظية لكلمة استشرق، لا تختلف عن تلك الموجودة في المعاجم العربية الحديثة.

ففي قاموس (LE PETIT LA ROUSSE)⁽³⁾ نجد أن كلمة استشرق تعني: "مجموعة المعارف التي تركز على دراسة الحضارة الشرقية، أو هو اتجاه أيديولوجي يتميز بخدمة القضايا السياسية".

والمستشرق هو المتخصص في الحضارة الشرقية.

وهو المفهوم نفسه الذي جاء في قاموس (LE ROBERT)⁽⁴⁾ بأن: "الاستشرق يعني علم الأشياء الشرقية، أو تذوق الأشياء الشرقية"، وهو نفسه في قاموس LE LITRE⁽⁵⁾: "الاستشرق هو مجموع المعارف والأحكام الفلسفية الخاصة بالشعوب الشرقية، والمستشرق هو المهتم بالمعارف واللغات الشرقية".

¹ - المرجع السابق - ص 851

² - www.madinacenter.com/post.php?DataID=1

³ - Le petit la rousse illustre –Atlas –Géographique –Drapeaux du monde –Paris -2008 –p 719

⁴ -Le robert –Dictionnaire historique de langue français –Paris -1992 –p 1382

⁵ -Le Littré –Dictionnaire de la langue français -2001 -p 1130

ب) - الاستشراق اصطلاحاً:

ذهب العلماء في تعريفهم للاستشراق مذاهب عدة، فمنهم من ربط تعريفه بموضوع الدراسة الذي لا يخرج عن نطاق الشرق، ليكون مدلوله بذلك كل دراسة غربية اختصت بدراسة عالم الشرق من حيث لغاته وآدابه التي تعتبر صورة ناطقة عن هوية المجتمع الشرقي: "يراد بالاستشراق ما يقوم به الغربيون من دراسة لتاريخ الشرق، وأمه، وعلومه وعاداته، ومعتقداته، وأساطيره".⁽¹⁾

وتتصدر هذه الدراسة في البحث والتقصي في حيثيات تطور الشرق الزمني لغة وحضارة وثقافة وعلماء، وما أسهم به كمعلم حضاري بارز في ازدهار وتطور الحضارة العالمية ككل، مع إلقاء الضوء على مضمون عقائده ونصوصه التشريعية التي تحكم أفرادها.

ومنهم من ربط تعريفه بهوية صاحب الدراسة المختصة شؤون المسلمين وأحوالهم وعلومهم ومعارفهم، والذي لا بد أن يكون من غير المسلمين سواء كان هذا الدارس من الشرق أو الغرب، فالاستشراق: "هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية".⁽²⁾

هذا وقد ذهب بعضهم إلى التعمق في مفهوم الاستشراق ليخرج به عن المعتاد والتقليدي، ولعل أشهرهم إدوارد سعيد الذي أسهب في تحري حقيقة الاستشراق الذي عده: "أسلوب للخطاب، أي للتفكير والكلام، تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية، وصور ومذاهب فكرية، بل وبيروقراطية استعمارية، وأساليب استعمارية".⁽³⁾

¹ - جابر قميحة - آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم - مجلة دعوة الحق - مكة المكرمة - عدد 116 - 1412هـ/1991م - ص 15

² - علي بن إبراهيم الحمد النملة - الاستشراق والدراسات الإسلامية - مكتبة التوبة - الرياض - السعودية - ط 1 - 1418هـ/1998م - ص 122

³ - إدوارد سعيد - الاستشراق - ترجمة محمد عناني - رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة - ط 1 - 2006م - ص 44

ويخرج إدوارد سعيد بهذا التعريف عن منحى التعاريف السابقة ليجعل من الاستشراق طريقة ومذهباً للتواصل بين المخاطب والمتلقي، يقوي دعائمه مجموعة من المؤسسات التي تسهر السلطة الاستعمارية إدارية كانت أو حكومية، على تمتين صلتها بعالم الشرق سواء بالوسائل العلمية التي ركزت جهودها لاستنزاف العقل الشرقي، أو بالأساليب الاستعمارية التي يستغلها الغرب لتهش الشعوب المستضعفة.

وبهذا يكون إدوارد سعيد قد وثق العلاقة القائمة بين الاستشراق ومشروع الاستعمار الكبير الذي استهدف عالم الشرق.

ويعتبر بعض المفكرين الاستشراق علماً قائماً بذاته يسعى بطرق علمية لدراسة معالم الشرق، وما يتصل بحياة شعوبها لمعرفة أمزجتهم، والتعرف على عقلياتهم واستكشاف بيئتهم العمرانية، وما سجلته في قاموسها من آثار ساهمت في تغيير مسيرة البشرية على مر العصور ف: "الاستشراق على إطلاقه ظاهرة ثقافية وحركة علمية تهتم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته من قوى روحية وآثار فكرية وأدبية وفنية وما إلى ذلك كله، من أثر ظاهر شاهد على الحياة البشرية، خليك بأن نحبيه طباعة ونشراً".⁽¹⁾

وقد جانب آرثر أيضاً هذا المفهوم في قوله: "الاستشراق ومثله في ذلك مثل كثير من فروع العلم الأخرى، قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمي في حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه، وإن كانت مجانسة له حتى إن المستشرق يشارك في علمه عالم الآثار، والحفريات، والفيلسوف وعالم اللاهوت، والموسيقي والفنان...".⁽²⁾

¹ - محمد العربي معريش- الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية - دار الغرب الإسلامي - تونس - ط1 - 2003م - ص 27

² - أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر - دار المعارف - القاهرة - 2001 م -

وهو متسع النطاق يتداخل ميدانه مع ميادين العلوم الأخرى، ويتسع مجاله لضم أبحاث ودراسات علماء الآثار، والحفريات، والصوتيات واللغة، والفلسفة، وحتى الموسيقيين والفنانين.

ويعتبر الاستشراق إلى ذلك من أهم العلوم لأنه يرصد الروح الإنسانية، ومدى قابليتها لمواجهة التغيرات التاريخية التي حصلت عبر أزمنة متواترة ولأنه يساهم في: "الوقوف على قواه الروحية، وآدابه العظيمة، التي أسهمت إسهاما فعالا في تكوين ثقافة العالم بأسره"⁽¹⁾، وإلقاء الضوء على مكتنزات الحضارات القديمة وما تحمله بين طياتها من أسرار خفية، ساهمت في تكوين البناء الحضاري العالمي وتطوير نهضته الحديثة.

ويدعم جويدي هذا الرأي بقوله: "والوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب، إنما هو "علم الشرق"... وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح (SCIENCES DE L'ESPRIT) يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية، ولغاتها وتاريخها وحضارتها، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية والطبيعية"⁽²⁾.

نخلص إلى أن الشرق ظل بالنسبة للغرب محل استفهام كبير، خاصة بعدما شهدته من تطور حضاري في الوقت الذي كانت فيه أوروبا غارقة في بحر الظلمات، ضف إلى ذلك حاجتهم الماسة إلى ما كان الشرق يكتنزه من امتيازات يفتقر إليها الغرب، لذلك كان لا بد من إيجاد علم قائم بذاته، يتوصل إلى التوغل في حقيقة الشرق، وهذا ما ميز الاستشراق كعلم مستقل بذاته وكيانه.

2- أهدافه:

لقد بذل الغرب جهدا كبيرا للتعرف على عالم الشرق وما يزخر به من أسرار مبهمة ميزت تاريخه الطويل الحافل بالأمجاد والبطولات، وحضاراته الغنية بالعلوم والثقافات والآداب

¹- المرجع السابق- ص 24

²-المرجع نفسه- ص 24

والأديان والشرائع، حتى بدا الأمر في أوله كأنه حوار للحضارات ورغبة في التعايش المتبادل بينهما.

وبمرور الزمن توضحت الرؤى وأصبح جليا أن ما يبذله الغرب من مساع عملاقة لاستكشاف الشرق، لم يكن من قبيل المصادفة: "فاتجاه الأوربيين لدراسة الشرق وإقامة مؤسسة ضخمة لذلك، هي مؤسسة الاستشراق، لا بد أن تكون وراءه أهداف معينة".⁽¹⁾

ويجمع الدارسون على أن أهداف الاستشراق لا تخرج عن أربع هي: الدينية والسياسية والتجارية والعلمية، ف: "الاستشراق لم يبق محصورا في دائرة الانتفاع بعلم الغرب ومدينة الشرق، وإنما خرج عنها إلى أغراض تجارية أو استعمارية أو دينية".⁽²⁾

(أ) - **الهدف الديني:** ويعتبره الدارسون الهدف الأبرز للاستشراق الذي نشأ منذ بداياته في رعاية الكنيسة، التي جندت نفسها لمحاربة الدين الإسلامي وتشويه صورته، خاصة بعد انتشاره في أوربا، بعد أن تخلصت شعوبها من سيطرة الكنيسة على فكرهم ومعتقداتهم: "فسعى الرهبان والقساوسة إلى تعلم اللغة العربية، والتضلع في الدراسات الإسلامية، بغية فهم هذا الدين ثم نقضه من أساسه، ورد أتباعه إلى ديانتهم".⁽³⁾

فقد سعى رجال الدين إلى إنكار القرآن الكريم، والتشكيك في نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ورسالته التي جاءت للبشرية جمعاء، وبالتالي الطعن في الحديث النبوي الشريف.

والدافع لهذا كله هو خشية رجال الكنيسة من اطلاع الأوربيين على تعاليم الدين الإسلامي وفهم نهجه القويم: "إذ الإسلام دين الفطرة وإذا أتيح لغير المسلمين التعرف عليه ودراسته في جو من الاتزان لما ترددوا في الإيمان والرضا به دينا".⁽⁴⁾

¹ - محمد حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - دار المعارف - القاهرة - ص 74

² - جابر قميحة - آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم - (مرجع سابق) - ص 15

³ - ساسي سالم الحاج - نقد الخطاب الاستشراقي - دار المدار الإسلامي - بيروت - ج1 - 2002م - ص 45

⁴ - اسماعيل علي محمد - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل - الكلمة للنشر والتوزيع - القاهرة - ط3 -

ثم التزموا بعد ذلك سياسة عكسية، تكمن في تبشير المسلمين وبالتالي تدمير عقيدة الأمة ودينها، وذلك بتصوير الحياة الرغدة التي تحياها أوربا، في حين كانت الأمة الإسلامية ترسخ تحت طائل التشنت والهوان، بعد تفكك صفوفها وضياح وحدتها.

فقد ركز كثير من المستشرقين كل جهودهم في تعرية مواطن الضعف والعلة في هيكل العالم الإسلامي وتصويرها بشكل بشع مريع بهدف تشويه مدنيته ودينه ومجتمعه.

(ب) - **الهدف السياسي:** ميز الصراع السياسي العلاقة بين العالمين الشرقي والغربي، وبرز بصورة واضحة بعد انتشار الإسلام وغلبته على بعض الأقطار الأوربية، وهذا ما أدى إلى نشوب الحروب الصليبية التي أراد الغرب من خلالها استرجاع مكانته السياسية كمسيطر على العالم وكقائد لمسيرة الشعوب وتطورها، خاصة بعد أن تخلصت أوربا من براثن الجهل التي سيطرت عليها طيلة العصور الوسطى، بعدما حاورت الحضارة الإسلامية وأخذت منها ما أوصلها إلى مرحلة النهضة الأوربية، وهو ما حفزها وساعد في تنمية رغباتها الاستعمارية التي ظلت كامنة منذ فتح الأندلس، وساهم في ذلك: "تشجيع رجال الدين للسياسة الأجنبي لاحتلال بلاد الشرق التي تحوي المقدسات الدينية، معوضين الخسائر التي مني بها الغرب مرارا وتكرارا في اعتدائه على الشرق، خاصة في فترة الحروب الصليبية".⁽¹⁾

وقد بدت ملامح هذا الهدف جلية مع بداية التوسع الاستعماري في دول العالم العربي والإسلامي في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين، حيث عمدت الدول الأوربية إلى تعليم موظفيها بما فيهم العسكريين والإداريين لغة البلاد المستعمرة ودراسة آدابها، ودينها والعناية بلهجاتها العامية وعاداتها السائدة للتعرف على كُنه الشعوب التي يحكمونها، فيسهل عليهم بذلك استعمارها والسيطرة عليها: "لذا فإن مساعيهم إلى الوقوف على

¹ - عفاف صبره - الاستشراق ومشكلات الحضارة - دار النهضة العربية - مصر - 1985م - ص 15

تاريخه وواقعه، إنما هو بغرض فهمه من جهة وبغرض التعرف على نواحي الضعف والقوة فيه".⁽¹⁾

هذا ما يؤكد العلاقة الوثيقة والتوأمة بين الحركة الاستعمارية التي فرضت سلطتها على معظم الدول العربية والازدهار الذي عرفته حركة الاستشراق.

ج) - الهدف التجاري: اهتم الغرب منذ زمن طويل بالتواصل مع الشرق بغية التواصل التجاري وذلك من خلال توسيع تجارتهم، والحصول على سوق خارجية لتصريف بضائعهم واكتساب مواد أولية ضرورية طبيعية كانت أو بشرية، لازدهار صناعتهم وتطويرها: "حيث رغبت الدول الأوروبية في تنشيط تجارتها مع دول الشرق الإسلامي، وتسويق منتجاتها والبحث عن مواد خام لصناعتها، فلزم الأمر القيام بالتعرف على الشرق وطبيعته وجغرافية بلاده وعادات شعوبه ومعتقداته، وتوظيف هذه المعرفة بالشرق، فيما يخدم الهدف الاقتصادي".⁽²⁾

وهذا ما دفع الغرب إلى السفر للبلاد العربية للتعرف عليها وتلمس مواضع الريح فيها لإنشاء تجارة رائجة مزدهرة، وقد أغوتهم عظمة وغنى الدول العربية، بما تكتنزه من مدخرات وما تحتويه من خيرات، وهذا ما غذى طمع الغرب لاحتلالها واستغلالها، ضف إلى ذلك اتخاذ بعض الغربيين الاستشراق كمهنة طلبا للرزق، فهناك: "كثير من أصحاب المكتبات التجارية والقائمين عليها يشجعون نشر المؤلفات والكتب التي تدور حول الإسلاميات والشرقيات ويشرفون على نشرها، لما يرون لها من سوق نافقة في أوروبا وآسيا، وتنال هذه المؤلفات من القبول والإعجاب، ما يجعلها عظيمة الانتشار، كثيرة الذبوع، ولاشك وسيلة لتجارة رابحة وكسب أموال خطيرة".⁽³⁾

¹ - اسماعيل أحمد عمارة - المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية - دار حنين - الأردن - ط2 - 1996م - ص 59

² - اسماعيل علي محمد - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل - (مرجع سابق) - ص 45

³ - المرجع نفسه - ص 76

(د) - **الهدف العلمي:** كان مقصد بعض الأوروبيين الذين ظهروا في عصر التنوير في أوروبا، بعد أن تأكد رجال الدين بأن الحضارة الإسلامية لم تغز أوروبا إلا من خلال العلوم والمعارف التي تربع العرب على عرشها في ازدهارهم وقوتهم: "فالعالم العربي يعد كنزا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، فيه شيدت حضارات وثقافات، ونشأت لغات وفلسفات وولدت علوم وفنون ونزلت شرائع وأديان".⁽¹⁾

ولذلك انكب الدارسون الغربيون على دراسة وترجمة كتب الدين والفلسفة والأدب والرياضيات والعلوم والكيمياء، للتعرف على منجزات الحضارة الإسلامية، للاستفادة مما تحويه من كنوز ثمينة: "ولهذا فإننا نرى في فجر الاستشراق انكبابا واضحا على العلوم الكيميائية الرياضية والفلسفية من رواد الاستشراق وكبار الرهبان، ولهذا تأسست الجمعيات العلمية في معظم الدول الغربية، وهو غرض علمي يستهدف إنهاض العرب".⁽²⁾

ومن بين أهم الكتب التي لقيت عناية المستشرقين واهتمامهم:

• **كتب التاريخ:** نحو: كتاب إسبانيا المسلمة لابن الخطيب⁽³⁾، نشره "ليفي بروفنسال".

• **كتب الجغرافيا:** نحو: كتاب الإدريسي⁽⁴⁾، في الجغرافيا بخرائطه في جزأين نشره "جوبير" سنة (1836م).

¹ - يحي مراد - معجم المستشرقين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1425هـ/2004م - ص 26
² - عبد المتعال محمد الجبري - الاستشراق وجه للاستعمار - مكتبة وهبة - القاهرة - ط1 - 1416هـ/1995م - ص

16

³ - ابن الخطيب (1250هـ-1315هـ) (1834م-1897م):

هو أبو الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الخطيب، فاضل دمشقي، ولي أمانة دار الكتب الظاهرية والتدريس والوعظ في الجامع الأموي، كان يميل إلى النقش ويكره معاشره الحكام، له مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. أنظر: (خير الدين الزركلي - الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت - ط5 - 2002 - ج6 - ص 213).

⁴ - الإدريسي: هو محمد بن عبد الله بن باديس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب الشريف الإدريسي، كان أديبا ظريفا، شاعرا معزى بعلم الجغرافيا عاش في بلاط رجال ملك صقلية النورماندي، له كتاب نزهة المشتاق في اختيار الأفاق (ت 551هـ). أنظر: (صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي - الوافي بالوفيات - دار إحياء التراث العربي - لبنان - ط1 - 2000 - ص1 مج - ص 138).

- **كتب الطب:** نحو: كتاب مفردات لابن البيطار⁽¹⁾، ترجمة "دلكر".
- **كتب الفلسفة:** نحو: كتاب رسالة حي بن يقظان ترجمه "بوكوك" في القرن 7م.
- **كتب الأساطير:** نحو: كتاب (ألف ليلة وليلة) ترجمه ونشره " كود غراي ديمومبين" بباريس سنة (1911م).

وقد كان من بين هؤلاء الباحثين من أخلص في طلب العلم والمعرفة، فبحثوا في تراث العرب ونصفوا الإسلام والمسلمين، فكان ذلك نورا لهم، اهتموا من خلاله إلى اعتناق الإسلام بل وخاضوا مسيرة التأليف فيه للدفاع عنه، منهم المستشرق الفرنسي "ديني" (ET-DINET) (1861-1929) الذي عاش في الجزائر وأعلن إسلامه وله كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام".

3- مدارس الاستشراق:

يعد القرن التاسع عشر والقرن العشرون عصر الازدهار الفعلي والحقيقي لحركة الاستشراق، والتي تبلورت مساعيها في مجموعة من المدارس المختلفة الجنسيات والأيدولوجيات التي شاركت جميعها في هدف واحد، وهو التعرف على مجاهيل العالم العربي والإسلامي على حد سواء، ومن بين أهم هذه المدارس:

أ- **المدرسة الفرنسية:** وتعد أهم مدارس الاستشراق على الإطلاق، تميزت بالدقة في البحث والإفصاح في التعبير.

اهتمت بحضارة الشرق، ومدن الهلال الخصيب⁽²⁾، وإفريقيا الشمالية والدول الإسلامية، ومن أهم روادها:⁽³⁾

¹ ابن البيطار: هو عبد الله بن أحمد المالقي أبو محمد ضياء الدين المعروف بابن البيطار، ولد في مالقة وتعلم الطب، حجة في معرفة أنواع النباتات وصفاته وأماكنه، صاحب كتاب الأديونة المفردة، المعروف بمفردات ابن البيطار في مجلدين. أنظر: (الزركلي- الأعلام - ج4 - (مصدر سابق)- ص 67)

² الهلال الخصيب: تشمل كل من العراق وسوريا والأردن وفلسطين ولبنان

³ نجيب العقيلي- المستشرقون - دار المعارف - القاهرة - ج1 - ص 158

- البارون دي ساسي (1758-1838م) S. DE SACY: من آثاره:
 - تلخيص كتاب الخطط للمقريزي.(1)
 - وصف مخطوط كتاب الجمان للمقري الفاسي.(2)
- ماسينيون لويس (1883-1962م) L. MASSIGNON: من آثاره:
 - جغرافية المغرب في الخمس عشرة سنة الأولى من القرن 16، نقلا عن كتاب وصف إفريقيا لليون الإفريقي.(3)
 - الكنيسة الكاثوليكية والإسلام.
- بلاشير ر. م (1900-1973م) L.R.BLACHERE: من آثاره:
 - مقتبسات عن أشهر الجغرافيين العرب في العصر الوسيط.
 - ترجمة طبقات الأمم لصاعد الأندلسي.(4)
- رودسونون مكسيم (1915م) M.RODINSON: من آثاره:
 - جهود فرنسا الأثرية في الشرق.
 - إسرائيل والرفض العربي.

¹ المقريزي: (766هـ-845هـ/1365م-1441م): هو أحمد بن علي بن عبدالقادر أبو العباس الحسيني، تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك إلى حارة المقارزة (ولد ونشأ ومات في القاهرة) ولي فيها الخطابة والأمانة من تأليفه: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، السلوك في معرفة الملوك. أنظر: (الزركلي-الأعلام-ج1- (مصدر سابق)- ص 177)

² المقري الفاسي (بعد 747هـ/1443م): هو أحمد بن محمد المقري المالكي، نحوي له التحفة المكية، شرح ألفية ابن مالك، فرغ منها 847هـ. أنظر: (الزركلي-الأعلام-ج1- (مصدر سابق)- ص 177)

³ ليون الإفريقي: (888-957هـ/1483-1550م): هو الحسن بن محمد الوزان، أبو علي الغرناطي أصلا، الفاسي دارا المسمى يوحني الأسد (JEANZEON) رحالة ومؤرخ إفريقي، مختصر تاريخ الإسلام، مات على أكثر الروايات مسلما في تونس. أنظر: (الزركلي-الأعلام-ج3 - (مصدر سابق)- ص 186)

⁴ صاعد الأندلسي: (420هـ/1029-1070م) هو صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسي الثعلبي مؤرخ أصله من قرطبة ومولده في المرية ولي القضاء في طليطلة إلى أن توفي. من كتبه جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم وطبقات الأمم. أنظر: (الزركلي-الأعلام-ج3 - (مصدر سابق)- ص 186)

ب- المدرسة الإنجليزية: اهتمت المدرسة الإنجليزية بالتراث العربي اهتماما كبيرا، فقد: "احتل الأدب العربي مكانا مرموقا لدى معظم الأدباء الذين استوحوا (ألف ليلة وليلة) وغيرها من قصص الشرق، التي جعلت للأدب الإنجليزي سمة شرقية".⁽¹⁾

يتميز أصحابها بالدقة في البحث والصبر والموضوعية، وقد اهتمت بحضارات الجزيرة العربية، وبالأقطار التي ارتبطت بالوجود الإنجليزي، ومن أهم روادها:⁽²⁾

• **بدويل وليام (1516-1632م) W.BEDWEEL**: من آثاره:

- معجم المفردات، يشتمل على الأسماء والأماكن وألقاب الشرق، التي جعلت في اللغة العربية.

- المعجم العربي في سبعة أجزاء.

• **ويلوك أبراهام: (1593-1653م) A.WHEELOCK**: من آثاره:

- نشر الترجمة الفارسية للإنجيل.

• **والتون الأسقف (1600-1661م) B.WALTON**: من آثاره:

- كتب مقدمة للغات الشرقية.

• **سلدن جون: (1584-1654م) J.SELDEN**: من آثاره:

- نشر نظم الجوهر لابن البطريق⁽³⁾، متنا وترجمة لاتينية.

ج- المدرسة الألمانية: ركزت المدرسة الألمانية جهودها على مختلف الدراسات العربية الإسلامية، وتميز اهتمامها بالجدية العلمية في البحث والتقصي، فقد: "اشتغل الألمان

¹ - عبد المتعال محمد الجبري-الاستشراق وجه الاستعمار الفكري-(مرجع سابق) -ص 186

² - نجيب العقيقي-المسشرقون-ج2-(مرجع سابق) - ص 39

³ - ابن البطريق: (523هـ-600هـ/1129-1204م): هو يحيى بن علي بن محمد بن البطريق أبو الحسن الأسدي، باحث من فقهاء العراق، له كتب منها العمدة في عيون صحاح الأخبار في مناقب علي بن أبي طالب. أنظر: (الزركلي-الأعلام-ج2 - (مصدر سابق)- ص 141).

بالآداب العربية في النصف الثامن من القرن الماضي بهمة ونشاط بين ترجمة ونشر، وبحث وتنقيب، ولعلمهم أكثر المستشرقين عملا في نشر الآداب العربية".⁽¹⁾

اهتمت بحضارات الشرق كافة، القديمة منها والحديثة: "واعتبر العديد من الباحثين أن الاستشراق الألماني هو نموذج للاستشراق العلمي الصحيح الذي لا تشوبه أغراض أخرى، فأنت نتائجهم العلمية متفقة ومتطلبات المنهج العلمي الصحيح"⁽²⁾، ومن روادها:⁽³⁾

• **روكريت فريديريك (1788م-1866م) F.R.RUKERT**: من آثاره:

- ترجمة ديوان الحماسة لأبي تمام.⁽⁴⁾

- مقامات الحريري.⁽⁵⁾

• **كوزيجارتن: (1792-1850م) J.G.L.KOSEYARTEN**: من آثاره:

- مختارات أدبية من ألف ليلة وليلة.

- نشر الأقسام المتعلقة بإفريقيا الوسطى وفاس والجزائر من رحلة ابن بطوطة.⁽⁶⁾

• **فيلمار إدوارد (1800-1868م) E.VILMAR**: من آثاره:

- مختارات من مثلث قطرب لناظمه عبد الوهاب البهنسي.⁽⁷⁾

¹- جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية - دار الهلال - ج 4 - ص 152

²- ساسي سالم الحاج - نقد الخطاب الاستشراقي- (مرجع سابق) - ص 47

³- نجيب العقيلي- المستشرقون - ج 2 - (مرجع سابق) - ص 360

⁴- أبو تمام: (188-234هـ/804-846م) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر والأديب، أحد أمراء البيان، ولد في جاسم من قرى عورات سورية، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب، له تصانيف عدة منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة. أنظر: (الزركلي- الأعلام- ج 2 - (مصدر سابق) - ص 165).

⁵- الحريري: (1054-1122م) هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أديب، ولد بالمشان من ضواحي البصرة ومات بها، وتولى فيها منصب صاحب الخبر الذي يشبه مصلحة الاستعلامات الآن، وتردد على بغداد وكتب شعرا كثيرا ورسائل، تقوم شهرته على مقاماته الخمسين التي كتبها تقليدا لبديع الزمان الهمذاني، ألف كتب لغوية منها درة الغواص في أوهام الخواص، ملحمة الأعراب. أنظر: (علي مولا - الموسوعة العربية الميسرة - المكتبة العصرية- بيروت- ج 3- ط 1- 2010م- ص 1356).

⁶- ابن بطوطة: هو أبو عبد الله بن بطوطة، رحالة ومؤرخ طاف بلاد المغرب ومصر والشام والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان، وما وراء النهرين، وبعض الهند والصين، وأوساط إفريقيا، مات في مراکش. أنظر: (الزركلي- الأعلام- ج 6- (مصدر سابق) - ص 236)

⁷- عبد الوهاب البهنسي: (685هـ-1286م) هو عبدالله بن الحسن المهلبى البهنسي وجيه الدين، قاضي وأديب من أهل البهنسا بمصر، كان ورفاقا، ولي القضاء بمصر إلى أن توفي وكان إماما في فقه الشافعية، عالما بالأصول والأدب. أنظر: (الزركلي- الأعلام- ج 4 - (مصدر سابق)- ص 182)

- كتاب التاريخ للشيخ أبي الفتح.⁽¹⁾

• كارل بروكلمان (1868-1956) C.BROCKLMANN: من آثاره:

- تاريخ الآداب العربية في مجلدين.

- كتاب الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي.⁽²⁾

د- المدرسة الروسية: تميز اتجاه هذه المدرسة بأنه: "لا يخلو من عمق في النظر، رأي صائب دقيق، تألفي، وتحليلي في آن واحد، فهو دقيق، واضح، جلي، موضوعي، واقعي".⁽³⁾

وقد اهتمت في بداية الأمر بمنطقة آسيا الوسطى وحضاراتها القديمة والحديثة وعلاقتها بالحضارة البيزنطية التي أسهمت بقدر كبير في تكوين العقل الروسي، من خلال المعاملات التجارية والتي فتحت الباب أمام الروسيين لاعتناق الإسلام، ثم توسع مجالها لتهتم بدراسة ما يتعلق بالعالم العربي، ومن أشهر روادها: ⁽⁴⁾

• بولدرييف (1780-1843م) BOLDYREY: من آثاره:

- صنف كتاب منتخبات عربية مع شرح مفرداتها.

- صنف كتاب النحو العربي.

• فران ش.م (1782-1851م) CH.M.FRALM: من آثاره:

- نشر لامية العرب للشنفرى.⁽⁵⁾

¹- الشيخ أبو الفتح: (1250-1315هـ/1834-1897م)، وقد سبقت الترجمة له، وهو المعروف بابن الخطيب.
²- ابن الجوزي: (508-597هـ/1114-1201م) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي أبو الفرج علامة عصره في التاريخ والحديث، مولده ووفاته ببغداد، له نحو ثلاث مئة مصنف منها: مختصر اليسر والأخبار، الناسخ والمنسوخ. أنظر: (الزكرلي-الأعلام-ج4- (مصدر سابق) - ص396)
³- أحمد سمايلوفيتش - فلسفة الاستشراق وتأثيرها في الآداب العربية - (مرجع سابق) - ص 223
⁴- نجيب العقيقي-المستشرقون-ج3- (مرجع سابق) - ص 68
⁵- الشنفرى: هو عمر بن مالك الأزدي شاعر مملوك، مختلف في تاريخ حياته والمظنون أنه كان هجينا، يحمل حقا عنيفا لبني سلامان، نشأ في بني فهم فعاشر صعاليكها، وعلمه تأبط شر اللصوصية، وضمه إلى جماعته، وأخيرا ترصد له قوم فقتلوه وعذبوه وقتلوه، وتنسب إليه القصيدة لامية العرب. أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج4 - (مرجع سابق) - ص 2043)

- كتاب صفة بعض الدراهم (حلل فيه النقود العربية).
- **شارموي (1793-1855م) CHROMY**: من آثاره:
 - تاريخ المغولي جنكيز خان.⁽¹⁾
 - أثر المسعودي.⁽²⁾
- **جانيكوف (1822-1879م) KHANIKOV**: من آثاره:
 - رحلة إلى العجم وآسيا الوسطى.
 - المدارس العربية الفرنسية في الجزائر.

هـ - **المدرسة الإيطالية**: تعتبر إيطاليا مهد الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، حيث اهتم الباباوات بدراسة اللغة العربية، خدمة لأغراض دينية و: "كانت إيطاليا أعرق أمم الغرب، اتصلت بالشرق الأدنى اتصالاً وثيقاً منوعاً".⁽³⁾

وقد تميزت بالوضوح والشفافية، واهتمت دراستها بمدن الشرق سيما (العراق، فلسطين ومصر) ومن أهم روادها: ⁽⁴⁾

- **جبريلي (1870-1942م) GUISEPPE GABRIELI**: من آثاره:
 - عصر وحياة وقصائد الشاعرة العربية الخنساء.⁽⁵⁾
 - اسم العلم العربي المسلم.

¹ - جنكيزخان: (1167-1227) فاتح مغولي، اسمه الأصلي تيموجين، خلف أباه يقوصاي رئيساً للتحالف المغولي، اتخذ تيموجين لقبه 1206، بعد إتمام فتح منغوليا وأسس عاصمة له في قرههقورم، كان حاكماً بارعاً، بقيت إمبراطوريته قائمة حتى 1368 -أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج3 - (مرجع سابق) - ص1233)

² - المسعودي: (ت 957) أبو الحسن علي بن الحسين جغرافي ومؤرخ عربي، ولد ونشأ في بغداد، قصد مصر (956) واستقر بالفسطاط، وفيها توفي، له كتاب التنبيه والإشراف. أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة -

ج6 - (مرجع سابق) - ص3125)

³ - نجيب العقيقي- المستشرقون - ج1 - (مرجع سابق) - ص405

⁴ - المصدر نفسه - ص416

⁵ - الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، أدركت الإسلام وأسلمت، أكثر شعرها وأجوده، رثاؤها لإخوتها صخر ومعاوية، (قتلا في الجاهلية). أنظر: (الزركلي - الأعلام - ج2 - (مصدر سابق) - ص86)

• سانتيلانا دفيد (1855-1931م) DAVID SANTILANA : من آثاره:

- ترجم كتاب الفقه الإسلامي المالكي، ومقارنته بالمذهب الشافعي.
- الخلافة والسلطان في الشرع الإسلامي.

• الأمير ليوني كايثاني (1869-1926م) LEONE CAETANI : من آثاره:

- ألف تاريخ الإسلام (10 أجزاء).
- ألف دراسة التاريخ الإسلامي، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (3 أجزاء).

• فالرجاب (1821-1903م) P.VALE : من آثاره:

- الفلسفة اللاهوتية للمدرسة الإيطالية.
- ترجم ديوان ابن الفارض⁽¹⁾ إلى الإيطالية.

و- المدرسة الإسبانية: تميز الاستشراق الإسباني بعدائه الشديد للعرب والمسلمين، ولم يخلو في مساعيه من الهدف الاستعماري التوسعي، وساهم في إنشاء مدارس لتعليم العربية العامية والمغربية بصفة خاصة، وذلك لأنه أولى اهتماما بالغا بالحضارة العربية الإسلامية والمغربية بشكل أخص، ولقد ألحت على أن التراث العربي والإسلامي الموجود في إسبانيا هو جزء لا يتجزأ من تراث إسبانيا عموماً، ومن أشهر روادها: (2)

• لافوانتي القنطرا (1825-1868م) LAFUENTE COLCANTAN : من

آثاره:

- الكتابات العربية في غرناطة.
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس.

¹- ابن الفارض: (1181-1234م) هو عمر بن أبي الحسين المعروف بابن الفارض، لأن أباه كان يشغل منصب الفارض (يثبت فروض النساء على الرجال بين أيدي الحكام)، حموي الأصل مصري المولد والدار والوفاة، درس الفقه والحديث، وسلك طريق الصوفية أهم قصائده التائية الكبرى والميمية أو الخمرية. أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج1 - (مرجع سابق) - ص 423)

²- نجيب العقيقي- المستشرقون- ج2 - (مرجع سابق) - ص 183

- **كوندة خ.أ (1765-1820م) CONDA.J.A**: من آثاره:
 - صنف كتابا في النقود العربية.
 - صنف كتابا في تاريخ السيادة العربية على إسبانيا في ثلاث مجلدات.
 - **الأب أرثي أجوستين (مجهول) ARCE.P.AGUS**: من آثاره:
 - حفريات في بلاد الكتاب المقدس.
 - رحالة إلى مدينة القدس من سنة 1703-1704م.
 - **جونثاليث بالنتيا (1889-1949م) GONZALAZ PALENCIA**: من آثاره:
 - تاريخ الأدب العربي في إسبانيا.
 - موجز لتاريخ إسبانيا الإسلامية.
- ي- المدرسة الأمريكية:** لها صلة وثيقة بالاستشراق الإنجليزي، وقد "تألفت في بادئ الأمر من مستشرقين أوروبيين ولبنانيين، هاجروا إلى أمريكا"⁽¹⁾، وقد غلب على هذه المدرسة الهدف الديني والاستعماري، واهتمت بالاستحواذ على عدد من المخطوطات الإسلامية، وإرسال حملات تبشيرية إلى مدن الشرق، كما اهتمت بدراسة العالم العربي والإسلامي، ومن أشهر روادها: ⁽²⁾
- **جوتهيل ريتشارد (1862-1936م) R.J.H.GOTTEHEIL**: من آثاره:
 - الأدب الشرقي.
 - ولاية مصر للكندي⁽³⁾، (فهرس عام، ومقدمة إنجليزية).

¹ - أحمد سمائلوفيتش- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر - (مرجع سابق) - ص 223
² - نجيب العقيقي- المستشرقون- ج3 - (مرجع سابق) - ص 130
³ - الكندي: (896-966) هو أبو عمر محمد بن يوسف مؤرخ عربي ولد بمصر، كان أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وأعمالها وثورها والأنساب والحديث، له كتاب: فضائل مصر. أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج5 - (مرجع سابق) - ص 2741)

- **ماكدونالد، دنكان، بلاك (1863-1943م): من آثاره:**
 - ترجم كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.⁽¹⁾
 - ترجم كتاب تطور علم الكلام في الإسلام.
- **كومارزوامي (1877-1947) K.A.COOMARASWAMY: من آثاره:**
 - نشر رسالة لابن الجزري.⁽²⁾
 - نماذج من المعادن الإسلامية.
- **الدكتور بوست جورج (1838-1909) G.POST: من آثاره:**
 - نشر كتاب مبادئ علم النباتات.
 - صنف كتاب علم الحيوان في جزأين.

¹ - الغزالي (450هـ-505هـ/1058م-1111م): هو محمد بن أحمد حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن في آخر عصره مثله، من أجل كتبه وأعظمها كتاب إحياء علوم الدنيا. أنظر (صلاح الدين خليل الصفدي- الوافي بالوفيات - ج1 - (مصدر سابق) - ص 212)

² - ابن الجزري: (637هـ-711هـ/1239-1312م): هو محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود أبو عبد الله شمس الدين الجزري، من فقهاء الشافعية، ولد ونشأ بالجزيرة، سافر إلى مصر وتوفي بها، له ديوان شعر، وخطب وشرح منها في الوصول إلى علم الأصول البيضاوي، وشرح ألفية ابن مالك. أنظر: (الزركلي - الأعلام - ج7 - (مصدر سابق) - ص 227)

ثانياً: التراث

1- تعريفه:

يعد التراث لبنة أساسية في تركيبية كل مجتمع من المجتمعات وبخاصة المجتمعات العربية الإسلامية، لأنه يوثق عراقة حضارتها وما شملته من مؤلفات في شتى العلوم، وما جادت به على الإنسانية من مفاهيم وسلوكات حضارية ارتقت بالبشرية من الدونية إلى التكريم الذي خصه الله لبني آدم، مصداقاً لقوله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ»⁽¹⁾. ولهذا عني باهتمام الباحثين والدارسين الذين اجتهدوا في إيجاد تعريف جامع مانع له، وسنتعرض في بادئ الأمر للمفهوم اللغوي لكلمة التراث.

أ- التراث لغة:

جاء في معاجم اللغة العربية أن كلمة تراث مشتقة من الفعل الثلاثي "وَرَّثَ" ، وقد أجمع اللغويون على أن دلالة هذه الكلمة تعني حصول الخلف على نصيب مادي أو معنوي من السلف، وجعلت المعاجم العربية القديمة من مادة "وَرَّثَ" مرادفاً للإرث والورث، والميراث، وكلها بمعنى واحد وهو ما يخلفه الرجل لورثته، ولقد اقتصر استخدام هذه الكلمة قديماً على ما يورث من مال وحسب، فهي تدل على الإرث المادي كالمال والمعنوي كالحسب.

وجاء في لسان العرب⁽²⁾: وَرَّثَ: الوَارِثُ: صفة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

¹- سورة الإسراء - الآية: 70

²- ابن منظور - لسان العرب - دار المعارف - مصر - باب "ورث" - ص 481

وَوَرَّثَهُ مَالَهُ، وَوَرَّثَهُ عَنْهُ وَرَثًا وَوَرِثَةً وَإِرْثَةً، وَوَرِثَ فُلَانٌ أَبَاهُ يَرِثُهُ وَرِثَةً وَمِيرَاثًا، وَيُقَالُ وَرِثَتْ فُلَانًا وَرِثًا إِذَا مَاتَ مُورِثُكَ فَصَارَ مِيرَاثَهُ لَكَ، وَكَلِمَةُ "تَرَاثٌ" أَصْلُ التَّاءِ فِيهَا وَآوَا أَي "وَأَرِثَ" ثُمَّ قَلِبْتَ الْوَآءَ لِنَقْلِ الضَّمَّةِ عَلَى الْوَآءِ فَصَارَتْ تَرَاثٌ.

وقد وردت كلمة "تراث" في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: «وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا». (1)

يعني التراث أي: "من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام". (2)

بمعنى أنهم يأكلون الميراث أكلاً شديداً، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يستولون على نصيب النساء والأطفال ويضمونه إلى نصيبهم.

أما كلمة "وَرِثَ" فقد وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم من بينها ما جاء في قوله تعالى: «وَوَرِثَ سُلَيْمٌ دَاوُودَ» (3). والمقصود هنا: "وراثه الملك والنبوة وليس المراد المال، إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داوود، فإنه كان لداوود مائة امرأة، ولكن أراد بذلك وراثته الملك والنبوة، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة» (4) (5).

هذا بالنسبة لحضور لفظ أو كلمة "تراث" في بعض ما ورد في الخطاب العربي القديم، ونجد نفس الدلالات التي وجدت في المعاجم العربية، قد جاءت في معاجم اللغة الأجنبية،

1- سورة الفجر - الآية: 19

2- ابن كثير (الإمام أبو الفداء اسماعيل) - تفسير القرآن العظيم - المكتبة العصرية - بيروت - 1425هـ/2004م - مج4 - ص 463

3- سورة النمل - الآية: 16

4- محمد بن عبد الله بن الحسين البغدادي - فوائد ابن أخي ميمي الدقاق- دار أضواء السلف- الرياض- ط1-

1426هـ/2005م- ص 246

5- ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - (مرجع سابق) - ص336

فكلمة "تراث" مرادفة للكلمتين الفرنسييتين (HERITAGE)⁽¹⁾ و(PATRIMOINE) وتعني: مِيرَاثٌ، إِرْثٌ، مَوْرُوثٌ وَتَرَكَةٌ.

وبالتالي فإن المعنى اللغوي لهاتين الكلمتين: "لا يكاد يتعدى حدود المعنى العربي القديم والذي يحيل أساسا على تركة الهالك إلى أبنائه، لقد استعملت كلمة (HERITAGE) بالفرنسية في معنى مجازي للدلالة على المعتقدات والعادات الخاصة بحضارة ما.

وبكيفية عامة (التراث الروحي)، ولكن حتى في هذه الحالة يظل معنى الكلمة فقيرا جدا بالقياس إلى المعنى الذي تحمله كلمة "تراث" في الخطاب العربي المعاصر، إن الشحنة الوجدانية والمضمون الأيديولوجي المرافق لمفهوم التراث كما نتداوله اليوم يخلو منها تمام مقابلات هذه الكلمة في اللغات الأجنبية المعاصرة التي نتعامل معها⁽²⁾، والتي توحى بمعنى الموروث الثقافي والفكري الذي يميز كلمة تراث في خطابنا العربي المعاصر.

ب- اصطلاحا:

لقد أجمع الدارسون على معنى متقارب للتراث وإن اختلفوا في طرح مفاهيمه فقد عرف عبد الستار الحلوجي بأنه: "ما خلفته لنا الأجيال السابقة من آثار فكرية مسجلة على الألواح، وأوراق البردي أو مدونة في بطون الكتب التي خطتها أيديهم قبل أن تعرف الطباعة"⁽³⁾، فهو بذلك ثمرة فكر من سبق من الأمم، حملته لنا الأجيال المتعاقبة مدونا بشتى الطرق.

وهو ما ذهب إليه محمد عابد الجابري الذي عرف التراث على أنه: "الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني، وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا العربي المعاصر، ملفوفا في بطانة وجدانية أيديولوجية، لم يكن حاضرا في خطاب أية

¹ - معجم جبور عبد النور المزدوج (عربي- فرنسي/فرنسي-عربي)- دار العلم للملايين - بيروت-2009 - ص518

² - محمد عابد الجابري - التراث ومشكل المنهج - (مرجع سابق) - ص 73

³ - عبد الستار الحلوجي- المخطوطات والتراث العربي - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ط 1- 2001 - ص

لغة من اللغات الحية المعاصرة، التي نستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا"⁽¹⁾.

مؤكدًا بذلك أن التراث لا يخرج عن كونه مخزونًا فكريًا أدبيًا وأيديولوجيًا، يرتبط وجدانًا بماضي هذه الأمة العريقة، وهذا ما يميزنا عن باقي الأمم الأخرى.

ونحن هذا النهج في تعريف التراث محمود حمدي زقزوق الذي أكد بأن التراث هو: "كل إنتاج بشري للمسلمين في شتى مجالات الأدب واللغة أو الفكر أو الدين أو العلوم بصفة عامة أو الفنون المختلفة"⁽²⁾.

وفي سياق هذا التوجه ذهب عبد الجبار الرفاعي إلى القول على أن التراث هو: "الإنتاج الفكري للمسلمين عبر التاريخ، أو المعارف والعلوم المنتجة التي أنجزها العقل المسلم في هدي القرآن الكريم والسنة الشريفة"⁽³⁾.

فالتراث بهذا المفهوم، مرتبط بما يميز الحضارة الإسلامية عبر سنوات من التشييد والتطور، وما خلفه مفكروها وعلمائها من آداب وعلوم، وغيرها من المعارف ضمن مسيرة قرون من الزمن، وسرد في وصف التراث بأنه حياة متوهجة، ونبض متدفق، يسري في وجدان الأمة، ليربط ماضيها بحاضرها في قوله: "التراث هو تلك الحيوية والفعالية المتدفقة في وجدان الأمة"⁽⁴⁾.

ويؤكد حسن محمد سليمان على أن: "التراث بمعناه الواسع هو ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها، أو بمعنى آخر كل ما ورثته الأمة وتركته من إنتاج فكري وحضاري سواء فيما يتعلق بالإنتاج العلمي، بالآداب، بالصورة الحضارية التي ترسم

¹ - محمد عابد الجابري - التراث والحداثة - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط1 - 1991م - ص 21

² - محمود حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - (مرجع سابق) - ص 155

³ - عبد الجبار الرفاعي - جدل التراث والعصر - دار الفكر المعاصر - بيروت - ط1 - 2001م - ص 18

⁴ - المرجع نفسه - ص 19

واقع الأمة ومستقبلها، وهذا يعود إلى بدء المعرفة الإنسانية للكتابة بأشكالها وأساليب التعبير بأنواعها سواء في المخلفات الأثرية أو فيما سجل في وثائق الكتابة"⁽¹⁾.

فالآثار التاريخية والمدونات المحفوظة من السلف إلى الخلف هي ثروة قيمة يقاس بها مجد الأمم، وعراقة حضارتها.

وقد ضمن أشرف محمد سيد مفهوم التراث أوجها أخرى، حيث عرفه على أنه: "ذلك التراكم المعرفي غير المحدود، الزاخر بالقيم الطيبة والتقاليد النبيلة والسجايا الراقية، القادر على البقاء أبد الدهر متى كان الوعي به قائماً بالرغم من التطور الحاصل على مختلف الأصعدة والآثار، هي الجانب المادي الذي يشكل مع التراث كل ما تركه الإنسان على فترة من الزمن"⁽²⁾.

فالعادات والتقاليد عنصر أساسي في تركيبة التراث، تبقى ثابتة مصنفة في قائمة العرف تميز مجتمعات عن أخرى، تماماً كما تميز الآثار المادية تراث حضارة عن أخرى.

فالتراث جزء لا يتجزأ ضمن كل أمة، يترجم مخزونها الحضاري ويجسد أفق استمرارها ووجودها، ولا يمكن لأي أمة أن تستعير تراث أمة أخرى بأي شكل من الأشكال، لأنه يميز هويتها دون غيرها.

إذ يصور كل ما هو أصيل وعريق مادياً أو معنوياً، ويستتطق بواسطة ما تحويه حضارة بأسرها وكأنها تاريخ ناطق يستعرض مجرياته السابقة، ويتشبت بها ليصمد في وجه تطورات الزمن اللاحقة.

¹ - حسين محمد سليمان- التراث العربي الإسلامي -ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ص 13

² - أشرف صالح محمد السيد - التراث الحضاري في الوطن العربي - مؤسسة النور والإعلام - اليمن -2009م -

2- أنواعه:

يتنوع التراث بتنوع المعالم التي صنعتها والحقب التي ساهمت في تكوينه، والجماعات التي صانت وجوده على مر الأزمنة، محافظة على بقائه كإرث مشترك بين البشرية جمعاء.

فالتراث العربي: "في مجمله ليس نتاجا بسيطا واحدا، ولا ينتمي لعصر محدد أو بقعة واحدة أو جماعة، وإنما مركب ثقافي معقد فيه أشنات من رواسب الزمن والحياة والسلوك، إلا أنه يتميز بوحدة أساسية مستمرة، وتستمد وجودها من أصول مشتركة في الجغرافيا والتاريخ واللغة والسجايا"⁽¹⁾.

ويمكن إدراج التراث في أصناف وهي:

أ- التراث المادي:

منذ أن بدأت الحياة على الأرض والإنسان يحاول أن يتعايش مع ظروفها ويتأقلم مع تغيراتها الكونية، مستغلا في ذلك قدراته العقلية التي مكنته من اختراع وسائل ساعدته على العيش مع مرور الزمن، والتراث المادي هو جملة المعالم والآثار التي تميّز وجه الطبيعة والحياة الشاهدة على الحقب الزمنية التي عاشها الإنسان على هذه الأرض، وينقسم إلى قسمين:

• **تراث مادي ثقافي:** ونقصد به تلك الآثار الشاهدة على مسيرة الإنسان عبر رحلة

الأزمان المتعاقبة والبدال على تفاصيل الحضارات القديمة: "ويطلق على كل ما

يدركه المرء بحواسه من قصور ومعابد وقلاع ومسلات^(*) ومنشآت عسكرية،

¹- يوسف محمد عبد الله - الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته - ص 3 متاح بتاريخ 30 يونيو 2002 على الرابط: (<http://yemen.nec.net/files/tourism/studies>)

*- مسلات: جمع مفردة مسلة بكسر الميم وهو عمود أثري من الحجر طويل ومربع الشكل ورأسه محدد.

ونقوش حجرية، والتي مرت عليها فترة زمنية معينة وتنسب إلى عصور وحضارات عريقة، موغلة في التاريخ والقدم، وقد تكون هذه المباني والمنشآت قائمة كلياً أو جزئياً، والخبراء المتخصصون هم من يحددون تاريخ إنشائها ومؤسسيها والغرض والمناسبة التي أقيمت من أجلها"⁽¹⁾.

- **تراث مادي طبيعي:** تعرضت الأرض منذ نشأتها الأولى إلى مجموعة من التغيرات، شكلت في بعض معالمها آثاراً جمالية استثنائية، وقد حددت اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي سنة (1972م) ووصفته بأنه: "المعالم الطبيعية المتألفة من التشكيلات الفيزيائية أو البيولوجية، أو من مجموعات هذه التشكيلات التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة النظر الجمالية أو العلمية.
- التشكلات الجيولوجية أو الفيزيوجرافية، والمناطق المحددة بدقة مؤلفة موطن الأجناس الحيوانية أو النباتية المهددة التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر العلم، أو المحافظة على الثروات.
- المواقع الطبيعية أو المناطق الطبيعية المحددة بدقة التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر العلم، أو المحافظة على الثروات أو الجمال الطبيعي"⁽²⁾.

(ب) - **تراث غير مادي:** إذا كنا نقصد بالتراث المادي ما خلفته يد الإنسان من آثار مادية، فالمقصود بالتراث غير المادي هو ما خلفه الإنسان وراءه عبر التاريخ من أعراف وتقاليد وسلوكات ونمط حياة يميز كل أمة عن الأخرى، ويقصد به: "وفقاً للتعريف الوارد في اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي مجمل الإبداعات الثقافية، التقليدية والشعبية،

¹- أشرف صالح محمد السيد- التراث الحضاري في الوطن العربي - (مرجع سابق) - ص07

²- اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي - المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة - الدورة السابعة عشر 17 تشرين الأول -21 تشرين الثاني 1972 - باريس. (<http://whc.unesco.org/fn>)

المنبثقة على جماعة ما، والمنقولة عبر التقاليد منها مثلاً: اللغات والقصص والحكايات والموسيقى والرقص وفنون الرياضة القتالية والمهرجانات والطب وحتى فنون الطهي"⁽¹⁾.

¹- عبد الوهاب عبد الرزاق التحافي - اتفاقية اليونسكو لحماية التراث الثقافي - مجلة الأمن والحياة - المملكة العربية السعودية - عدد 348 - 1432هـ - ص 48

3- أهمية دراسته:

بما أن التراث يكتنز ثروة كل أمة على حدة ويزخر بما تدخره من تاريخ وحضارة، فهو بالضرورة يعد المفتاح الأساسي لفهم كنه ما تخفيه من خبايا تخص مراحل زمنية تعنيها دون غيرها، ويمكن أن نحدد هذه الأهمية في النقاط التالية:

أ- يحدد التراث معالم حياة الفرد وتفكيره، ويكفل له ثوابت محددة في شخصيته، لأنه المهد الأول لثقافته وبيئته المحيطة به: "وأي انفكاك بين المرء وتراثه، يخلق منه امرأ تتجاذبه أطراف الضياع وفقدان الشخصية والنفس، وضياع الشخصية والنفس مدعاة للتفكك والتخلخل والشعور بالبؤس والذلة اللتين لا تطيب معهما الحياة"⁽¹⁾.

وهذا ما نلاحظه في المجتمعات العربية والإسلامية الحديثة وما وصلت إليه من حالة لا استقرار، عندما فقدت التوازن بين التمسك بالماضي ومواكبة العصر: "فهذا التراث هو الذي يشكل وجدان الأمة وهو الذي صان وحدتها على مر العصور، وفي ظله تهاوت الحدود الجغرافية والفوارق العرقية وفي تياره امتزجت العروبة والإسلام امتزاجاً رائعاً"⁽²⁾.

ب- دراسة التراث تمكننا من قراءة التاريخ قراءة صحيحة: "فهو يجسد الذاكرة التاريخية للأمة ويمثل الزمن المتحرك المحيط بجميع فعاليات الأمة ومكتسباتها"⁽³⁾، وذلك بالاطلاع على حقائق دونها مؤرخون ساهموا في بناء حضارات متعاقبة على مر الأزمنة، وهذا ما يخلق استمراراً في التواصل بينها.

فالحضارات الحديثة لا تولد من العدم، ولكنها تؤسس على ما سبقها من الحضارات القديمة، فتقتبس منها إما بالإضافة أو التعديل.

¹ - حسين محمد سليمان- التراث العربي الإسلامي - (مرجع سابق) - ص 60

² - عبد الستار الحلوجي- المخطوطات والتراث العربي - (مرجع سابق) - ص 58

³ - عبد الجبار الرفاعي - جدل التراث والعصر - (مرجع سابق) - ص 19

وبذلك تبرز حقيقة أن التراث العربي إنما يبني على دعائم وأسس عربية، وليس كما يدعيه بعض المستشرقين من أنه يبني على أسس إغريقية يونانية فـ: "قد كان تراثنا مطلاً على العالم، فأخذ عن الفرس والهند واليونان، وأخذ في مستهل هذا القرن من الحضارة الحديثة، ولكنه رغم اتصاله بأنواع من التراث ظل إلى عهد قريب ذا وجه عربي محض، محتفظاً بخصائصه وطابعه وشخصيته"⁽¹⁾.

ج- إبراز قيمة اللغة التي كتبت بها مختلف كتب التراث في شتى الميادين سواء الدينية اللغوية، الأدبية والتاريخية، وكذلك كتب الطب والصيدلة والفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والجغرافيا والفلاحة وحتى التجسيم... الخ.

وبذلك نفند مقولة الغرب الذين يدعون أن اللغة العربية هي لغة دين وأدب فحسب، بل هي لغة مختلف العلوم التي أجاد العرب والمسلمون في ابتكارها، فالتراث: "العربي الإسلامي يكشف للعلماء أن العرب صانعوا البحث العلمي التجريبي الحق القائم على الملاحظة والتجربة"⁽²⁾.

د- إدراك حقيقة الدين الإسلامي من خلال التعرف على تراث المفكرين والأدباء المسلمين الذين يأخذون على عاتقهم مسؤولية كشف مضمون الرسالة المحمدية، وما تحويه من خير للبشرية جمعاء.

فالإسلام دين علم وعمل، يحمل رسالة متكاملة في تحقيق التعايش الإنساني فـ: "الإسلام هو المزاج النفسي والفكري المشترك، والجوهر المتميز في حياة الإنسان المسلم ومجتمعه، وعلى مدار تاريخه الطويل الفعال والمؤثر في المسار الإنساني العام"⁽³⁾.

¹ - عبد العزيز الرفاعي - توثيق الارتباط بالتراث العربي - ط4 - 139 هـ/1973م - ص 18

² - حسين محمد سليمان - التراث العربي الإسلامي - (مرجع سابق) - ص 65

³ - جمال سلطان - الغارة على التراث الإسلامي - مكتبة السنة - القاهرة - ط1 - 1410 هـ/1990م - ص 9

الفصل الأول:

ماهية المدرسة الاستشراقية الفرنسية

أولاً: نشأة المدرسة الاستشراقية الفرنسية

ثانياً: نفوذ المدرسة الفرنسية ونشاطها الاستشراقي في

الجزائر

ثالثاً: أهم رواد الاستشراق الفرنسي في الدراسة والنشر

ماهية المدرسة الاستشراقية الفرنسية

تعد المدرسة الاستشراقية الفرنسية، أهم مدارس الاستشراق، خاصة وأنها كانت الرائدة في التعرف على علوم الشرق وآدابه، إذ لم تدخر جهداً في كشف النقاب عن معالم هذا العالم، وما يحويه من أسرار وخفايا، مكنته من الوصول إلى أقطار أوروبا أكثر من مرة، وقد ارتبط الاستشراق الفرنسي في أغلبه بالتوسع الفرنسي في الشرق وفي الشمال الإفريقي، وهذا ما أضفى عليه هالة القوة والعظمة التي زادت بريقاً وتألقاً.

أولاً: نشأة المدرسة الاستشراقية الفرنسية

لقد اختلف المفكرون في تحديد بداية معينة لظهور الاستشراق، حيث ذهب البعض إلى أن بدايته تعود إلى القرن الثامن ميلادي بعد فتح الأندلس على يد العرب والمسلمين سنة (711م)، حيث أصبحت الأندلس حاضرة العلم والعلماء، فتوجهت أنظار الغرب إليها لمعاشرة الوافدين الجدد، بغية التعرف على طريقة تفكيرهم، وترجمة علومهم وآدابهم، خاصة بعدما: "انتشرت المدارس والجامعات عبر العالم الإسلامي، وذاع صيتها في الدول الأوروبية كفرنسا وإنجلترا وهولندا، التي قامت بإرسال البعثات العلمية إلى بلاد الأندلس لدراسة العلوم والفنون في معاهدها، وكانت من أوائل هذه البعثات بعثة فرنسية برئاسة الأميرة إليزابيث بنت خالة لويس السادس ملك فرنسا، كما أرسل الملك فيليب البلغاري إلى الخليفة الأموي بالأندلس هشام الأول يسأله السماح له بإيفاد هيئة تشرف على حالة بلاد الأندلس ودراسة أنظمتها وشرائعها ليتمكن من الاقتباس منها"⁽¹⁾.

في حين ذهب البعض الآخر إلى القول بأن: "بداية الاستشراق الأوروبي كانت في القرن الثالث عشر، حيث صدر قرار مجمع فيينا الكنيسي عام (1312م) بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، وهناك من يقول بأنه بدأ في القرن

¹ - مولود عويمر - مقاربات في الاستشراق والاستغراب - جسور للنشر والتوزيع - الجزائر - ط1 - 1434هـ/2013م - ص91

العاشر، بينما يذهب البعض إلى أنه بدأ في القرن الثاني عشر، حيث تمت فيه ترجمة القرآن إلى اللاتينية لأول مرة عام (1143م) بتوجيه الأب (فيزابيل)، وفي هذا القرن أيضا ألفا أول قاموس لاتيني عربي، ويرى البعض أنه بدأ في مطلع القرن الحادي عشر⁽¹⁾.

وإن كان المفكرون قد اختلفوا في تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، إلا أنهم أجمعوا على أن بدايته قامت على أكتاف الرهبان ورجال الدين، حيث أن: "اتصال الغرب بالحضارة العربية اتصالا فعليا ومؤثرا يتمثل في ظهور طلائع المستشرقين ومعظمهم من الرهبان، ومن أوائلهم في تلك الحقبة التاريخية راهب فرنسي يدعى (جبير)(GEBERT)، فقد قصد الأندلس وأخذ عن علمائها"⁽²⁾.

ويذكر أن رجال الدين قد بذلوا الغالي والنفيس من أجل التعرف على الدين الإسلامي وإجلاء مكامن ما يرونه ضعفا كما يعتقدونه، لتثويته صورته للأتباع وأصحاب المعتقدات لديهم، ونقاط القوة فيه والتي مكنته من الوصول إلى قارة أوروبا وانتشاره بطريقة لافتة للنظر من أجل رده وصد تقدمه.

وقد نجحوا في ذلك بعد هزيمة العرب والمسلمين، واسترجاعهم الأندلس التي أفل بسقوطها نجم العرب في الغرب ولكن: "شاء الله للإسلام أن ينهض من جديد على يد آل عثمان من الشرق، ويحتل العاصمة البيزنطية القسطنطينية سنة (1453م)، ويصل إلى أسوار فيينا سنة (1668م)، وكان ذلك فتحا للإسلام من جديد في أوروبا الشرقية تعويضا عما فقده المسلمون في الأندلس بالإضافة إلى سيطرة الأسطول البحري العثماني على البحر الأبيض المتوسط، وكان للجزائر نصيب الأسد في الدفاع على الإسلام والمسلمين في غرب المتوسط"⁽³⁾، ولعل هذا ما جعل فرنسا تسلط عليها الضوء فيما بعد خاصة وأن

1- اسماعيل علي محمد - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل - (مرجع سابق) - ص 15

2- سالم الحاج - نقد الخطاب الاستشراقي - (مرجع سابق) - ص 42

3- محمد الطاهر عزوي - الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي - دار الهدى - الجزائر - 1420هـ/1999م -

الجزائر تحتل موقعا هاما في شمال إفريقيا أهلها للمساهمة: "في بناء صرح الحضارة العربية خاصة والإنسانية عامة، بجهد هائل وخلاق وقد كانت الجزائر ولا تزال صلة الوصل بين أقاليم المشرق العربي وبلدان المغرب الأخرى المطلة على شواطئ الأطلسي التي امتد تأثيرها بعد ذلك إلى الأندلس أو فردوس المسلمين المغتصب لمدة تزيد عن ثمانية قرون، وهي صلة الوصل كذلك بين بلدان البحر المتوسط وأوروبا شمالا، وبلدان ما وراء الصحراء الكبرى جنوبا، إلى أعماق القارة السوداء التي تعتبر البوابة الحقيقية لها إلى عالم البحر المتوسط وأوروبا"⁽¹⁾.

وقد أولت فرنسا باعتبارها أكبر دولة ممثلة للكاتوليكية اهتماما بالغا بتعاليم اللغة العربية والتركية، وباعتبار أنهما يخصان الدولة القوية المهيمنة والمسيطرة على معظم دول الشرق والبحر الأبيض، فالتركية لغة الدولة العثمانية، والعربية لغة دينها و هو الدين الإسلامي.

"ومن أجل تخريج المترجمين بهاتين اللغتين، أسس (كولبير) الوزير الفرنسي المشهور زمن (لويس الرابع عشر)، مدرسة فتيان اللغات (Jeunes des langue)، التي كان لها مركز في الدولة العثمانية، أحدهما في بيرا (Péra) قرب إسطنبول، والثاني في أزمير (Smyrne)، وهي ميناء يطل على بحر إيجه"⁽²⁾، فلما تضلعوا فيها ألقوا بالسلك السياسي أو انتدبوا للترجمة أو عينوا أساتذة للغات السامية في فرنسا، ولم يكن اهتمام الفرنسيين بعلوم العرب وثقافتهم وآدابهم ولغتهم من باب التعلم والتثقف فقط، بل لأن الذاكرة الفرنسية كانت تعيش على أمل استرداد نفوذها في الشرق.

ولهذا اتسم الاستشراق الفرنسي منذ بدايته الأولى بطابعه الاستعماري، وكأنه امتداد حتمي لسلسلة الحروب الصليبية القديمة، وما زاد في تأجيج هذه الرغبة هو قيام النهضة الأوروبية الحديثة التي كانت فرنسا مركزا لها، وبالتالي كان لابد لها من البحث عن مراكز

¹- يحي بوعزيز - موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب - دار الهدى - الجزائر - ج1 - ص 8
²- محمود المقداد - تاريخ الدراسات العربية في فرنسا - عالم المعرفة- الكويت- عدد 167- 1992 - ص 24

للموارد الأوروبية، فصبت أول اهتمامها على مصر بقيادة (نابليون بونابرت) سنة (1798م).

ويعتبر البعض: "أن حملة (نابليون) على مصر (1798-1801) كانت نقطة البدء للاستشراق، ذلك أن (نابليون) استقدم معه كثيرا من العلماء والباحثين من مختلف التخصصات، وقد كانت حملته إيذانا ببدء الحركة الاستعمارية الغربية على بلدان العالم الإسلامي"⁽¹⁾.

وقد ضمت حملته هذه مجموعة من "علماء الآثار والتاريخ والجغرافيا، وصنفوا ما جمعوه في كتاب (D'excription l'Égypte) وصف مصر"⁽²⁾.

ولما مني (نابليون) بخسارة فادحة في مصر، وجهت فرنسا بصرها باتجاه شمال إفريقيا لاسترداد مكانتها في العالم وإعادة هيبتها بين الدول: "فضلا عن الفوائد الاقتصادية الكبيرة، وتحويل الجزائر إلى مستعمرة فرنسية، وإرضاء دعاة الروح الصليبية ضد العالم الإسلامي"⁽³⁾.

وقد بدأ اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالجزائر منذ احتلالها، وهذا ما يبدو جليا في "كتابات ديفونتين" و"بيسونيل" و"فانتوردبيارادي": "أين نجد النواة لذلك الاهتمام، وعند تأزم الوضع بين الجزائر وفرنسا سنة (1827م)، وبداية التفكير في الحملة ضد حكومة الداوي، ترجم الفرنسيون أعمال زملائهم الأوروبيين والأمريكيين عن الجزائر أيضا، مثل مؤلفات الدكتور "شو" والقنصل "شيلر"، والأديب "بانتي"⁽⁴⁾.

¹ - عبد الرحمن خرشي - فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري - دار هومة - الجزائر - 1434هـ/2013م - ص 32

² - محمود المقداد - تاريخ الدراسات العربية في فرنسا - (مرجع سابق) - ص 40

³ - مفيد الزيدي - موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني) - دار أسامة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - 2003م - ص 271

⁴ - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - 1954/1830 - دار البصائر - الجزائر - ط6 - 2009م - ج 6 - ص 9

وقد لعبت مدرسة اللغات الشرقية الحية - التي أنشئت سنة 1795م (école nationale des langues orientales vivantes) للسفراء والقناصل والتجار إلى بلدان الشرق - دورا بارزا ومهما في ذلك: "وقد كان التركيز فيها على وجه الخصوص على عنصر الفائدة العلمية، بالإضافة إلى ما يمكن أن تسهم به اللغات الشرقية في تقدم الأدب والعلم"⁽¹⁾.

"ولم تزدهر مدرسة استشرافية في الغرب ازدهارها ومعظم من نبغ في ذلك العصر كان من طلابها"⁽²⁾.

ولقد طبع الاستشراق الفرنسي بعدة طوابع أهمها الطابع العلمي، خاصة بعد انفصال الاستشراق عن اللاهوت في القرن الثامن عشر، وتزعمه "دي ساسي" الذي أصبح إمام المستشرقين في عصره، وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزا للدراسات العربية وكعبة يؤمها التلاميذ والعلماء من مختلف البلاد الأوروبية ليتعلموا على يديه"⁽³⁾.

وقد كان "دي ساسي" من أنشأ البيان الذي وزعه الفرنسيون بالعربية عشية الحملة على الأعيان في الجزائر.

وهذا ما يؤكد علاقة الاستشراق بالاستعمار، والتي هي علاقة حتمية، فكل منهما يكمل الآخر: "والتبرير الاستشراقي للسيادة الاستعمارية قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق وليس بعد حدوثها، فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل على الاستعمار في شعاب الشرق وأوديته، من أجل فرض السيطرة على الشرق وإخضاع شعوبها وإذلالها"⁽⁴⁾.

1- محمود حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - (مرجع سابق) - ص 40

2- نجيب العقيلي - لمستشرقون - ج1 - (مرجع سابق) - ص 40

3- محمود حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - (مرجع سابق) - ص 40

4- المرجع نفسه - ص 54

ومثلما شملت حملة الفرنسيين على مصر عددا من المترجمين وعلماء الآثار والفنانين والكتاب، كذلك كانت حملة فرنسا على الجزائر حيث: "جاء عدد من المترجمين والكتاب والفنانين المهتمين بحياة الشرق، والرومانتيكيين المغامرين، وعلى أثر نجاح الحملة واحتلال مدينة الجزائر، انطلق كل فريق في مجال عمله، وقد احتاجت الإدارة الجديدة إلى المترجمين بالخصوص، لأنهم هم الوساطة بينها وبين السكان، كما وظفت المترجمين من يهود الجزائر الذين كانوا عادة يقومون بالترجمة بين المسؤولين الجزائريين والأجانب في الماضي، وبدأت آلية الإدارة تتحرك في كل اتجاه وقع احتلاله"⁽¹⁾.

وبعد توغل الاستعمار الفرنسي في الجزائر، شرع: "في حركة جمع وترجمة وتأليف، اعتبرت هي الأولى من نوعها في مسيرة الاستشراق في الجزائر"⁽²⁾.

وربما هدفت هذه الحركة إلى التعرف على الشعب المستعمر، وطريقة تفكيره وحقائقه عقيدته، وطبيعة عيشه للتعرف على نقاط القوة والضعف فيه، ليسهل على الإدارة الاستعمارية إحكام السيطرة عليه.

وهكذا بدأت مسيرة الاستشراق في الجزائر، والتي أسست لها فرنسا العديد من المؤسسات، التي استطاعت بواسطتها التوغل في عمق المجتمع الجزائري واستنطاقه حضارة وتراثا وثقافة.

¹- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي - ج6 - (مرجع سابق) - ص 11

²- المرجع نفسه - ص 11

ثانيا: نفوذ المدرسة الفرنسية ونشاطها الاستشراقي في الجزائر

كان احتلال فرنسا للجزائر سنة (1830م) بوابة التفتح على ما تزخر به الجزائر من تراث ثقافي وفكري، وما تتمتع به من ذخائر حضارية عربية وإسلامية، وهذا ما دفعها إلى تسخير مختلف الوسائل العملية والعلمية من أجل التعرف على كنه هذا التراث وتسخيرها لخدمة أغراضها، والمتمثلة أساسا في التبشير ونشر المسيحية، وقد صرح بذلك القائد الفرنسي (لافيجري) في قوله: "يجب أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا للأمة الفرنسية المسيحية، وينبغي أن ننشر حولنا الإضاءة الحقيقية للحضارة المستمدة من الإنجيل، وأن نحملها إلى الصحراء وإلى العالم الإفريقي الذي يعيش حياة بربرية ونعمل على ربط وسط إفريقيا بشمالها"⁽¹⁾.

وقد مر توغل الاستشراق الفرنسي في الجزائر بثلاث مراحل هي:

1- المرحلة الأولى (1830م-1879م):

أهم ما يميز هذه المرحلة هي حركة الترجمة، التي تزعمها عدد من العسكريين في غالب الأحيان: "إذ أن أهم ما سيلاحظه الدارس لحركة الاستشراق الفرنسي في الجزائر، هو أن العديد من المستشرقين كانوا موظفين في الإدارة الاستعمارية أو من المؤيدين للوجود الاستعماري في الجزائر، وأن جل كتاباتهم ومواقفهم تنصب في إطار خدمة هذا الوجود"⁽²⁾.

وقد سعى هؤلاء المترجمون إلى: "احلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية تدريجيا، ومتى كانت اللغة الفرنسية لغة السلطة والإدارة، فإنها سوف لا تلبث أن تنتشر بين الأهالي"⁽³⁾.

¹ - محمد الطاهر عزوي - الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي - (مرجع سابق) - ص 88
² - ابراهيم لونيبي - بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي - دار هومة - الجزائر - 2013 - ص 135
³ - اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 - ص 11

اشتغل هؤلاء المترجمون المستشرقون في اللجان العلمية والجمعيات المتخصصة، كما أنشأت الإدارة الاستعمارية مجموعة من الحلقات أو كراسي اللغة العربية.

أ- **حلقات اللغة العربية:** وهي عبارة عن ستة حلقات، وجهت أساسا للفرنسيين - مدنيين وعسكريين - من أجل تعليمهم اللغة العربية الفصحى والعامية: "وهذه الحلقات (الكراسي) بدأت في ديسمبر 1832، وانتهت بدمجها في مدرسة الآداب، والمدارس الشرعية الثلاث سنة 1879"⁽¹⁾ وهذه الحلقات هي:

- **الحلقة الأولى:** بدأت في العاصمة على يد "جونى فرعون"⁽²⁾، و"رينيه"، و"كومباريل"، و"ريشي"، و"هوداس" على التوالي.

- **الحلقة الثانية:** وكانت في قسنطينة، وتولاها "فيينار"، "شاربونو"، "ريشي"، "مارتن"، "مولا تيلانسكي"، و"كور"⁽³⁾ على التوالي.

- **الحلقة الثالثة:** كانت في وهران وتولاها "هادمان"، "كومباريل"، "هوداس"، "ديلفان"، "موليراس"، و"بيل".

- **الحلقة الرابعة:** كوليغ الجزائر، وهو عبارة عن متوسطة، ركز على تعليم اللغة العربية، حيث: "يتضمن تعليم اللغة العربية في الجزائر درسين: الأول في العربية الفصحى، ويدرس في الكوليغ، والثاني في العربية الدارجة، موجه إلى الجمهور، ويدرس في محل خصوصي. يضم كوليغ الجزائر حوالي (80) تلميذا، تتراوح أعمارهم فيما بين الثامنة والثامنة عشر، وكلهم خارجيون، يتابع درس العربية

1- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج6 - (مرجع سابق) - ص 13
2- جونى فرعون: ولد في مصر سنة 1803م، وتخرج من مدرسة الألسن الشرقية، عين مشرفا على الضباط المصريين الذين كانوا يدرسون في المدرسة الحربية في طولون في سنة 1827م، ثم عين مترجما للوالي العام في الجزائر ثم مدرسا للغة العربية في سنة 1832م. أنظر: (اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر - (مرجع سابق) - ص 10)

3- كور- أ: (A-COUR) (ت 1945): هو أستاذ كرسي العربية في قسنطينة، من آثاره: فهرسة المخطوطات المحفوظة في كبرى مكاتب الجزائر 1907م. أنظر: (نجيب العقيقي- المستشرقون- ج1 - (مرجع سابق)- ص 249)

التلاميذ المختارون، الذين يدرسون الإنسانيات، كلهم فرنسيون باستثناء عدد قليل تعود أصولهم إلى مختلف أنحاء أوروبا"⁽¹⁾.

- **الحلقة الخامسة:** وهي الكوليج الإمبريالي بالعاصمة، وقد تولاها الدكتور "بيرون" سنة (1857م).

- **الحلقة السادسة:** وهي مدرسة الآداب العالية في الجزائر، نشأت على يد "قاري" سنة (1881م): "ثم تحولت إلى جامعة سنة (1909م) (Université d'Alger)، وتعنى باللغة العربية العصرية وعلم الآثار الإسلامية والتاريخ وألحق بها معهد للدراسات الشرقية"⁽²⁾.

و: "خلال هذه الفترة بدأ اهتمام المستشرقين الفرنسيين في مدرسة اللغات الشرقية، وفي الكوليج "دي فرانس"، بالعربية الجزائرية، مثل أعمال الأب "بارجيس" و"بيهان"⁽³⁾.

فقد نشر "بارجيس" عدة أعمال عن تلمسان إثر زيارته للجزائر، وأصدر "بيهان" سنة (1851م) قاموسا بعنوان (عناصر اللغة العربية)، وقد وجهه خدمة للسواح الأجانب، معنى هذا أن السلطات الفرنسية لم تول اهتمامها بتعليم عمالها، عسكريين كانوا أو مدنيين، اللغة العربية الفصحى فقط، بل اهتمت أيضا بتعليمهم اللغة العامية (الدارجة) وهذا لسبر أغوار المجتمع الجزائري، والتعرف عليه عن كثب، كيف لا؟!، وقد: "أصبحت أرضية مسار المستشرقين، هي نفسها أرضية مسار جيوش الاحتلال والغزو، وأصبح المستشرقون مستشارين لهؤلاء وأساتذة للعربية، كما أصبحوا فيما بعد مستشارين لضباط الشؤون العسكرية الإسلامية، ومراقبين مدنيين في تونس والمغرب، وأصبحوا يقضون أو يبدأون على الأقل فترات خدماتهم التعليمية في الجزائر"⁽⁴⁾.

¹ - دانيال رينغ - رجل الاستشراق (مسارات اللغة العربية في فرنسا) - تح: ابراهيم صحراوي - دار التنوير - الجزائر - 2008 - ص 164

² - نجيب العقيلي - المستشرقون - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 141

³ - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 6 - (مرجع سابق) - ص 13

⁴ - دانيال رينغ - رجل الاستشراق - (مرجع سابق) - ص 172

ب- **الجمعيات الاستشراقية:** بدأ إنشاء الجمعيات الفرنسية الاستشراقية منذ القرن الثامن عشر: "وقد أسهمت في جمع جهود المشتغلين بالدراسات الاستشراقية، وكانت بمثابة نقطة الانطلاق الكبرى للاستشراق، حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية"⁽¹⁾، ومن أهم هذه الجمعيات:

1- الجمعية الآسيوية: تأسست في باريس سنة 1822، تزعمها "دي ساسي"، شارك فيها عدد كبير من المستشرقين الفرنسيين الذين استقروا في الجزائر، منهم: "بنجامين"، "فانيان"، "شاربونو"، وقد اهتمت الجمعية الآسيوية بالتراث العربي، ترجمة وتصنيفا ونشرا، وذلك من خلال مجلتها التي أنشأتها والتي سميت المجلة الآسيوية، وكانت: "تعنى بالعرب تاريخا وجغرافيا وثقافة وحضارة وفنونا، حتى عدت من أوسع مصادر الاستشراق في الغرب وأوثقها"⁽²⁾.

2- الجمعية الشرقية: وقد تأسست في باريس سنة (1841)، وكان من بين أهدافها التنسيق بين أعضاء المعهد الفرنسي، والقناصل، والرحالة، وضمنت قوانينها صراحة، ضرورة الاهتمام بالشرق والجزائر: "يجب أن نبذل جهدنا للهيمنة عليها (أي بلدان الشرق)، لصالح الحضارة - وكذلك الجزائر - هذه الأرض الإفريقية الواسعة التي كانت من قبل متوحشة (باربار) (Barbare) ومتمردة، وها هي اليوم تفتخر بقوانينها وفنونها وعاداتها وصناعاتها، وهي تحت الخطى نحو التقدم"⁽³⁾.

وقد قامت الجمعية الشرقية بإصدار مجلة الشرق التي اهتمت بالجزائر اهتماما كبيرا، وذلك من خلال الأخبار والمقالات الواردة فيها، وأصبحت بعد مدة من الزمن تسمى مجلة الشرق.

¹ - عبد الرحمن خرشي - فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري - (مرجع سابق) - ص 4

² - العقيقي - المستشرقون - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 147

³ - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 6 - (مرجع سابق) - ص 90

3- الجمعية الجغرافية: وقد تأسست في باريس، وكان جل اهتمامها استكشاف دول المغرب العربي، تسهيلا لعملية الاستعمار الفرنسي.

4- جمعية قسنطينة الأثرية: تأسست سنة (1852م) ومن أهم مؤسسيها "شاربونو"، وقد: "رسمت لنفسها هدفا منذ البداية، وهو استكشاف البقايا الكثيرة التي خلفتها الهيمنة القرطاجية و النوميديّة والرومانية والعربية على أرض هذا الإقليم من آثار ونقوش، وقد أصدرت هذه الجمعية عام (1852م) مجلة بعنوان: (مجموع ومواجيز وأبحاث الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة)"⁽¹⁾.

وقد ركزت اهتمامها في بادئ الأمر بالآثار الرومانية، ثم توسعت دائرة اهتمامها لتشمل التاريخ الإسلامي.

وقد ضمت الجمعية مدنيين وعسكريين: "وقد اعتبرها الباحث أول مجلة علمية في المغرب العربي كله"⁽²⁾.

5- الجمعية التاريخية الجزائرية: أنشئت سنة (1856) في العاصمة، وقد نشرت الجمعية التاريخية المجلة الإفريقية: "التي اهتمت بنشر المخطوطات المحلية والعربية والوثائق الأصلية، وسلطت الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف عصوره، ولكن بدرجات متفاوتة في الاهتمام، وتعتبر كما تقول "غوستاف ميرسيه": مكتبة تاريخية في حد ذاتها"⁽³⁾.

6- جمعية البحث العلمي: تأسست في عنابة سنة (1836)، والتي سميت فيما بعد (أكاديمية هيبون) وقد اتسمت بطابع أثري وديني.

¹ - محمد العربي معريش- الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق - (مرجع سابق) - ص 29

² - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج6 - (مرجع سابق) - ص 94

³ - المرجع نفسه - ص 95

ج- اللجان العلمية: وبدأ عمل هذه اللجان منذ عهد الاستعمار الفرنسي للجزائر، واستمر إلى غاية نهايته، واختصت بالبحث الجماعي في مختلف المجالات، ومن أهم هذه اللجان:

- لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر: تأسست سنة (1837)، ضمت مجموعة من المختصين، أغلبهم عسكريين، تضمنت مهمتهم كتابة بحوث عن الجزائر في مدة محددة ضمن أعضاء أصليين وآخرين احتياطيين، يرأسهم مسؤول مكلف بالمشروع وبتوجيهه، وقد شملت اللجنة التخصصات التالية: (1)

- 1- المناظر الطبيعية.
- 2- الآثار.
- 3- الجغرافيا.
- 4- الرسم.
- 5- الزبولوجيا/علم الحيوان.
- 6- النباتات.
- 7- الاثنوغرافيا/السلالات.
- 8- الفيزيولوجيا/علم وظائف الأعضاء والطب.
- 9- الانتومولوجيا/علم الحشرات.
- 10- الملابس واللوحات.
- 11- المعادن والتعدين.
- 12- التاريخ والنظم.
- 13- الهندسة المعمارية.
- 14- الجبولوجيا/طبقات الأرض.

¹- المرجع السابق - ص82

- 15- التاريخ الطبيعي.
- 16- الفيزياء وعلم المناخ.
- 17- الإحصاء والبحث في السكان.
- 18- الصحة وأمراض السكان.
- 19- إنتاج الأنماط الإنسانية (الرسومات...).

وقد باشرت هذه اللجنة عملها في الجزائر سنة (1840م) وقدمت نتائج بحوثها سنة (1842م).

- **لجنة الاحتفال المنوي بالاحتلال:** وقد تولى عملها أساتذة جامعة الجزائر، الذين أشرفوا على عملية التأليف والبحث، ترأسها "شارل بيار"، وقد حدد لهذه اللجنة عمل هام وواسع يتضمن أيضا إنشاء الإذاعة الجزائرية وإقامة النصب التذكارية، وإنشاء قاعة للفنون الجميلة، وهي التي أصبحت فيما بعد تدعى قاعة ببيربورد (ابن خلدون)، وإنشاء المدارس والورشات الخاصة بالفنون التقليدية، وأخيرا نشر الأعمال والبحوث⁽¹⁾.

ومن الكتب المتخصصة التي صدرت أيضا عن لجنة النشر: (2)

- اللباس الجزائري ل (جورج مارسيه).
- تطور الاستعمار خلال قرن ل (إيميل فيليكس قوتيه).
- تطور الجزائر ل (اسبيس).
- الشرق والرسم الفرنسي خلال القرن 19 ل (اليزار).

¹- المرجع السابق - ص 88

²- المرجع نفسه - ص 89

وعموما فقد تميزت هذه المرحلة بكونها مرحلة استطلاعية استكشافية، للتعرف على المجتمع الجزائري من خلال لهجاته وعاداته وتاريخه، وقد تميزت بقلة المستشرقين المتخصصين، لأنها كانت تعتمد على مستشرقين مترجمين، وهم في الغالب عسكريون.

2- المرحلة الثانية (1879-1930):

وتميزت هذه الفترة بتوسع نشاط المستشرقين الفرنسيين، سواء بإنشاء مدارس جديدة لتعلم اللغة العربية، أو بعقد مؤتمرات الاستشراق.

- مدرسة الآداب: وتعتبر هذه المدرسة، مدرسة الاستشراق الفرنسي في الجزائر، أنشئت سنة (1880م)، وتولى رئاستها في بادئ الأمر "هوداس" بمساعدة "بلقاسم بن سديرة" (1) وتولى "رينيه باسيه" تدريس الأدب العربي فيها، ليتولى رئاستها فيما بعد، ويخلفه في التدريس "فانيان".

"وبعد تحويل المدرسة إلى كلية سنة (1909م)، أصبح "باسيه" عميدا لها إلى وفاته، فإذا ذكرت مدرسة الآداب أو كلية الآداب خلال هذا العهد الطويل فكأنما ذكر اسم "رينيه باسيه" (2).

وقد تم تحويلها إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية تابعة لجامعة الجزائر.

وإن كان الاتجاه التاريخي هو الاتجاه الذي طغى على الاتجاه الأدبي والفلسفي قبلا على أغلب الدراسات، غير أن هذه المدرسة أبرزت أهمية اللغة العربية، باعتبار أنها اللبنة

¹ - بلقاسم بن سديرة: (حوالي 1842-1901م) ولد في مدينة بسكرة، التحق بالمعهد السلطاني، وسافر إلى فرنسا حيث درس في مدرسة تكوين المعلمين وأظهر تفوقا فيها، بعد عودته إلى الجزائر تولى التدريس في مدرسة ترشيح المعلمين، كما تولى التدريس في المدرسة العليا للآداب، وكان عضوا في الجمعية الآسيوية، ألف حوالي سبعة كتب لا تخرج عن نطاق تعلم اللغة منها: كتاب "الرسائل". أنظر: (بتصرف/ أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج8 - (مرجع سابق) - ص 52)

² - المرجع السابق - ص 29

الأساسية لدراسة تاريخ وحضارة الدولة المحتلة. وقد عمل "باسيه" بمساعدة "ابن سديرة" و"بوليفة"⁽¹⁾، على إنشاء كرسي البربرية، في كلية الآداب، وتولى تدريسها.

وقد اهتمت هذه المدرسة بلهجات بني ميزاب، القبائل، الأوراس، ودرست تاريخ الزوايا، والأولياء الصالحين، خاصة بعد أن أدركت فرنسا عمق الصلة بين الشعب الجزائري، وعاداته وتقاليده، وتمسكه بدينه الإسلامي.

ولهذا أولت إدارة فرنسا اهتماما بالغا بتعلم كل لهجات الشعب وركزت على اللغة العامية، فقد: "اهتم المستشرقون الفرنسيون في النصف الأول من القرن العشرين باللهاجات العربية العامية خاصة في المغرب، وبدأ الاهتمام بهذه الدراسات منذ بداية القرن الحالي، وتعززت هذه الدراسة على يد "وليام مارسيه" (Marcais) (1872-1956م)، الذي تحول من دراسة القانون إلى الدراسات العربية العامية، خاصة فيما يتعلق باللهاجات المغربية، والجزائرية، والتونسية"⁽²⁾.

- إعادة تنظيم كوليج دي فرانس: وهو المعهد الذي أنشأه الملك "بريمس" سنة (1530م) (Collège de France)، وأعد فيه كرسيين للعبرية واليونانية، وأضاف إليهما (الملك هنري الثالث) كرسيًا للعربية سنة (1587م)

ثم بعد توسع الاستعمار الفرنسي، أعيد تنظيم كوليج "دي فرانس" وأنشئت فيه كراسي مختلفة تنوعت بتنوع الشعوب المستعمرة، وكان الاستشراق الفرنسي في الجزائر هو المعني بذلك، حتى أن معظم الأساتذة الذين تولوا هذه الكراسي كانوا من مدرسة الجزائر.

¹ - عمر بن سعيد بوليفة: هو عمر بن السعيد بن آل بلقاسم بن عمر، ولد في قرية عدني بزواوة تولى عمه إدخاله إلى المدرسة الفرنسية الجديدة في زواوة سنة 1875م، بدأ سيرته معلما في قرية تمنزرت في 1904م، أرسلته السلطات الفرنسية إلى المغرب لدراسة اللهجات البربرية، له إنتاج غزير تشهد به أعماله الأدبية المتنوعة، منها "جمع مجموعة من الشعر الزواوي" ونشرها سنة 1904م، وقد ترجمها وعلق عليها، وله "جرجرة عبر التاريخ" تناول فيه حياة المدينة. أنظر: (بتصرف) أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج8 - (مرجع سابق) - ص 58

² - ساسي الحاج - نقد الخطاب الاستشراقي - (مرجع سابق) - ص 100

وقد عنى مارسيه: "باللغة الفصحى التي أعطى فيها محاضرات قيمة بالكوليج دي فرانس"⁽¹⁾.

- مؤتمر الاستشراق الرابع عشر: وكانت مؤتمرات الاستشراق تعقد على التوالي بين فترة وأخرى، ف: "منذ أواخر القرن التاسع عشر، طفق المستشرقون يعقدون المؤتمرات الدولية مرة كل ثلاث سنوات أو سنتين أو بعد أربع، وتشرف على تنظيم كل مؤتمر نخبة من علماء الدولة التي يعقد فيها لبحث جدول أعماله، ولها زيادتها أو إنقاصها، وتحديد موعد انعقاده ومدته"⁽²⁾.

وتعتبر الجزائر أول بلد عربي استضاف مؤتمرا للمستشرقين في الجزائر العاصمة سنة (1905م)، وقد احتضنته كلية الآداب تحت إشراف "رينيه باسيه" عميد مدرسة الآداب وعميد الاستشراق الفرنسي في الجزائر حينئذ.

وقد: "صادف انعقاد مرور ربع قرن على تأسيس مدرسة الآداب في الجزائر، وهي ذكرى لها أكثر من معنى بالنسبة للاستشراق الفرنسي"⁽³⁾.

وقد حاول المستشرقون الفرنسيون من خلال هذا المؤتمر إضفاء طابع الاستعمار على الجزائر، بتحويلها إلى الجزائر فرنسية، وهذا تأكيدا للعلاقة المتكاملة بين الاستعمار الفرنسي والاستشراق الفرنسي.

ضم هذا المؤتمر (500) مشترك، وصدر عنه مجموعة من الأعمال في مختلف الفروع العلمية وجولات ميدانية للتعرف على الآثار الرومانية والإسلامية.

وللعلم فإن المدرسة الفرنسية قد: "جعلت من نفسها الوريثة الشرعية والحقيقية للحضارة اللاتينية، الرومانية والديانة المسيحية في بلاد المغرب، فضخمتها وأبرزت معالمها وجعلت

¹- المرجع السابق - ص 100

²- نجيب العقيلي-المستشرقون- ج3 - (مرجع سابق) - ص 367

³- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج1 - (مرجع سابق) - ص31

من فترة الرومان وبيزنطة قديما، وفترة الاحتلال الفرنسي حديثا قواعد سليمة لربط جسر حضاري روماني فرنسي، وبنائه وإظهار معالمه واستغلاله في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي والديني، لتبرير وجودهم وبقائهم في هذه الأرض، وأهملت تاريخ هذه الشعوب المحتلة المليئة بالثورات والمقاومات والبطولات، وبالمقومات الحضارية والثقافية والتجارب النضالية"⁽¹⁾.

- إنشاء كرسي اللغة البربرية في مدرسة اللغات الشرقية: وتم ذلك سنة (1913م)، والقصد من ذلك كما سبق الإشارة إليه، هو لفت النظر إلى أهمية اللغة العامية، كوسيلة للتواصل مع المجتمع المحتل، ونافذة للتعرف على مكنوناته البسيطة والغامضة في آن واحد.

- مجلة العالم الإسلامي: صدرت عام (1906م): "عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب"⁽²⁾.

كانت تصدر كل ثلاثة أشهر، ثم تحولت فيما بعد إلى مجلة الدراسات الإسلامية برئاسة "ألفريد لوشاتليه"، الذي سبق له العمل في الجزائر كرئيس للمكتب العربي (العسكري) في ورقلة.

اهتمت بالتركيز على أهم الأحداث الجارية في العالم الإسلامي، وخاصة تلك التي تتعلق باحتلال الجزائر، وهو ما ركزت عليه السلطة الفرنسية، كما اهتمت أيضا بتصنيف الكتب.

¹- عبد العزيز فيلالي - دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي - دار الهدى - الجزائر - 2012 - ص 13

²- محمود حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - (مرجع سابق) - ص 43

3- المرحلة الثالثة (1930-1962):

وقد شهد الاستشراق في هذه المرحلة توسعا كبيرا، وذلك بإنشاء مجموعة معاهد متخصصة وتحويل المدارس الشرعية الثلاث إلى ثانويات مزدوجة، وإن كان الاستشراق قد تأثر فيما بعد بأحداث الحرب العالمية الثانية.

أ- إنشاء المعاهد المتخصصة: وقد كان الهدف من إنشائها هو الاهتمام بمجال البحث والتطبيق في مختلف التخصصات التي تحتاجها الدولة الفرنسية، ومن بينها:

- معهد البحوث الصحراوية: لقد اهتمت السلطة الفرنسية بمنطقة الصحراء اهتماما كبيرا نتيجة الكم الهائل الذي تزخر به الصحراء، سواء من ناحية المناخ، البيئة، التكوين البشري وتاريخ المنطقة، وترأسه السيد "مير": "واشترك في الدراسات فيه أطباء ومستشرقون وضباط ومستكشفون وعلماء في الجيولوجيا وغيرهم، كل في مجال تخصصه"⁽¹⁾.

- معهد الدراسات الشرقية: ركز هذا المعهد جل اهتمامه على التاريخ الإسلامي المتعلق بالمغرب العربي، ترأسه "جورج مارسيه": "وأنشأ المعهد (حوليات) ظهر منها عدة مجلدات، وإلى جانبها نشر أعمالا منفصلة عن المشرق العربي والإسلام في أندونيسيا، والأدب العربي المعاصر، والحياة اليومية في تونس، واللهجات العامية أو المكتوبة في الأندلس"⁽²⁾.

ب- تحويل المدارس الشرعية الثلاث إلى ثانويات: حاربت الإدارة الاستعمارية الفرنسية اللغة العربية منذ دخولها أرض الجزائر، وقد سعت بكل الوسائل إل فرنستها.

¹- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج6 - (مرجع سابق) - ص 101

²- المرجع نفسه - ص 101

فأنشئت المدارس الشرعية الثلاث في كل من (قسنطينة، تلمسان، الجزائر) أي في الشرق والغرب والوسط، وهي أكثر المدن عراقية في الجزائر والأغنى من الناحية الفكرية والدينية، وقد عرفت بتراثها العربي الإسلامي العريق.

وتم إنشاؤها بموجب مرسوم 30-10-1850 المادة الثالثة: "تؤسس على حساب الدولة في كل مدن: (المدينة، تلمسان، قسنطينة) مدرسة عليا من أجل تكوين مترشحين للوظائف المرتبطة بمصالح العبادة، العدالة، التعليم العام للأهالي، والمكاتب العربية"⁽¹⁾.

وقد انتقلت مدرسة المدينة فيما بعد إلى الجزائر العاصمة، وقد هدف الاستعمار الفرنسي من خلال إنشاء هذه المدارس محاولة كسب المجتمع الجزائري، من خلال تمويهه عن طريق الاهتمام بتدريس المواد الشرعية من جهة، والسيطرة على التعليم من خلال التحكم في مؤسساته من جهة أخرى.

وقد حددت مدة الدراسة فيها بثلاث سنوات تدرس فيها (اللغة الفرنسية، التاريخ والجغرافيا، الحساب، النحو والأدب العربي، علم التوحيد، الشريعة، الفقه، والهندسة).

وجاء مرسوم جويلية (1895م) لإعادة تنظيم هذه المدارس الشرعية ونص على ما يلي:⁽²⁾

1. مدة الدراسة بمدارس (الجزائر، قسنطينة، تلمسان) حددت بأربع سنوات.
2. يجب على المسلمين الذين يتقدمون للقبول في هذه المؤسسات أن يكونوا حائزين على شهادة التعليم الابتدائي والخضوع لامتحان القبول.
3. يشمل التعليم المواضيع التالية:
 - اللغة الفرنسية في التاريخ والجغرافيا، والقانون المعمول به والتنظيم الإداري.
 - الحساب، مبادئ في الهندسة، والعلوم الفيزيائية، والطبيعية.
 - اللغة العربية.

¹- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج3 - (مرجع سابق) - ص 307

²- بتصرف/ المرجع نفسه - ص386

➤ علوم الشريعة الإسلامية، وتطبيقاتها العملية.

➤ علوم الدين الإسلامي.

4. التلاميذ الذين يتجاوزون امتحان التخرج في نهاية السنة الرابعة، يتحصلون على شهادة دراسات المدارس.

وقد تحولت سنة (1944م) إلى ثانويات ذات مستويين (متوسط، ثانوي)، بينما تحول القسم العالي التابع لمدرسة الجزائر سنة (1946م)، إلى معهد الدراسات الإسلامية لإعداد المدرسين ورجال الدين، وبلغ طلبتها سنة (1950م) (289 تلميذ)، أما سنة (1951م) فإنها تحولت من المدارس الشرعية الثلاث، إلى ثانويات (فرنكو - ميزلمان)، فرنسي إسلامي (Franco musulmans)، اثنان في العاصمة (الجزائر)، وواحدة في قسنطينة، والرابعة في تلمسان، وقد عدد تلاميذها سنة (1953م) ب: (430) تلميذ.

ثالثاً: أهم رواد الاستشراق الفرنسي في الدراسة والنشر

هي بعض أسماء المستشرقين الفرنسيين الذين كان لهم دور بارز في دراسة ونشر التراث، نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر وهم:

1- أوغست شاربونو: Cherbonneau J. Aug (1813-1882م)

هو "جاك أوغست شاربونو"⁽¹⁾، ولد في فرنسا وتابع في المرحلة الأولى دراسته في مدرسة اللألسن الشرقية ولفت الأنظار إليه ببعض المقالات التي ترجمها عن العربية ونشرتها المجلة الآسيوية⁽²⁾.

أخذ العربية عن "دي ساسي" و"كوستان دي برسفال"، وانتدبته الحكومة الفرنسية لتنظيم مدارسها في الجزائر، فاهتم بالأمر اهتماماً عظيماً، فأقام في قسنطينة مدة، وكان ينشط على درس آداب العرب وآثارهم⁽³⁾.

في سنة (1861م) أصبح مدرساً في المدرسة العربية - الفرنسية بقسنطينة، وبعد سنتين أصبح مديراً للكوليج العربي - الفرنسي في الجزائر، وفي سنة (1871م) أصبح مديراً لجريدة (المبشر)، وهي جريدة رسمية كانت تصدرها إدارة الجزائر، باللغتين العربية والفرنسية.

ومن وظائفه أن أصبح مفتشاً للمدارس العربية الفرنسية، وبعد أن فرغ كرسي العربية المغربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس بوفاة البارون "دي سلان"، رجع "شاربونو" إلى هذه المدرسة كأستاذ للعربية المغربية (العامة)⁽⁴⁾.

1- الزركلي - الأعلام - ج2 - (مصدر سابق) - ص 10

2- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 20

3- نذير حمدان - مستشرقون (سياسيون، جامعيون، مجتمعيون) - مكتبة الصديق المملكة العربية السعودية - ط1 -

1988م - ص 80

4- أبو القاسم سعد الله - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - دار المغرب الإسلامي - بيروت - ط1 - 1996م - ص

أخذ (شاربونو) على عاتقه مهمة تحقيق ونشر آداب العرب في السودان، ولاسيما في أحمد بابا من بلدة تومبكتو، وكان أول من استرعى الأنظار إلى أسر ملوك الأغليبيين، وإلى تاريخ حياة عبد الله جد الفاطميين، وإلى رحلة العبدري إلى شمال إفريقيا لدرس ملوك بني حفص في تونس، ثم استدعته حكومته أستاذا للعربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس⁽¹⁾.

من آثاره:

صنف شاربونو العديد من الكتب المدرسية الموجهة للمدارس الابتدائية، كما ترجم قصص منتخبة، منها كتاب العرب المسلمين (الجزائر 1847)، والمخاطبات فيما يحتاج إليه العرب من الولاة (الجزائر 1858)، ومعجم فرنسي عربي في مجلدين (باريس 1886)⁽²⁾.

نشر مقالات متعددة في المجلة الآسيوية، مقالات متعددة في شعراء العرب وكتبهم، ونقل إلى الفرنسية تأليف قديمة "رحلة العبدري"⁽³⁾، أصل تكوين اللغة العربية الإفريقية (1858) والعامية في الجزائر (1861)⁽⁴⁾.

كما نشر بعض الأعمال التاريخية مثل وثائق حول (عبيد الله المهدي)⁽⁵⁾، تحقيق تاريخي حول الدولة الأغلبية، وقد علق أحدهم على دور شاربونو أنه: "كرس جهده في الجزائر لصهر العنصر الفرنسي والعنصر العربي"⁽⁶⁾.

¹- نجيب العقيلي-المستشرقون-ج1 - (مرجع سابق) - ص 186

²-المصدر نفسه - ص 186

³- العبدري محمد بن علي، ينسب إلى جده عبد الدار بن قصي القرشي، رحالة ولد في بلنسية، قام برحلة إلى مكة سنة 1289م، ألف كتاب "الرحلة المغربية"، وفيه وصف لأحوال البلاد التي زارها في القرن 13م. أنظر: (علي مولا - الموسوعة العربية الميسرة - ج4 - (مرجع سابق) - ص 2216)

⁴- المصدر نفسه - ص 186

⁵- عبيد الله المهدي الفاطمي (209هـ-322هـ/872م-934م): مؤسس دولة الفاطميين العلويين بالمغرب، ولد بالكوفة أو سلمية بسوريا، بويع بالقيروان (296هـ-909م)، مات بعد أن حكم 24 سنة. أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج4 - (مرجع سابق) - ص 2217)

⁶- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر - (مرجع سابق) - ص 22

2-رينيه باسيه: René Basset (1855-1924م)

ولد في فرنسا، تعلم في نانسي ثم في مدرسة اللغات الشرقية بباريس⁽¹⁾.

وفي الثامنة عشرة من عمره، وقعت في يده كتابة قديمة لم يعرف شيئاً من أمرها، فقيل له أنها كتابة عربية، فكان ذلك داعياً لدراسة تلك اللغة ونبوغه فيها، ولم يقصر نظره عليها بل أراد أيضاً أن يتقن بقية لغات الشرق، كالفارسية، والتركية، والحبشية، والقبطية، فأصبح من أكبر اللغويين العصريين، إلا أنه تخصص بالعربية وباللغات السامية، ومن هنا بان واتضح توجه "رينيه باسيه" إلى الاستشراق⁽²⁾.

وفي غضون الفترة بين (1873-1880) عمل "باسيه" في مدرسة الألسن الشرقية، وذلك قبل أن ينتقل إلى مدرسة الدراسات العليا في السوربون، وبعد ذلك وصل إلى الجزائر حيث ظل وفيها لمدرسة الآداب التي أصبح أستاذاً فيها سنة (1885م)، ثم مديراً لها في سنة (1894م)، وأخيراً عميداً في سنة (1909م)، وهي السنة التي تحولت فيها المدرسة إلى كلية الآداب⁽³⁾، انتخب من مديري دائرة المعارف الإسلامية، وعضواً في مجامع علمية كثيرة في باريس، لشبونة، مدريد، روما، دمشق،...، فقد جمع التدريس إلى التحرير، والتأليف والعضوية العاملة، والفخرية في عواصم مختلفة⁽⁴⁾.

من آثاره:

تنقسم آثاره إلى ثلاثة أقسام عربية وبربرية وحبشية، وقد استعان في بعضها بالمؤلفين العرب منها: الشعر العربي قبل الإسلام (1880م)، دراسات في اللهجات البربرية، وله فهرس مكاتب الزوايا (الجزائر-1886م)، نشر متن الخزرجية في العروض، وله في المجلة الآسيوية دراسة عن نشاط فرنسا العلمي في الجزائر وفي شمال إفريقيا منذ

¹ - الزركلي - الأعلام - ج2 - (مصدر سابق) - ص 39

² - لويس شيخو - تاريخ آداب العربية - ص385 www.al-mostafa.com PDF

³ - اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 39

⁴ - نذير حمدان - المستشرقون - (مرجع سابق) - ص 81

1830م⁽¹⁾. وبذلك فقد شمل اهتمام "باسيه" جوانب عديدة من الدراسات الاستشرافية: اللغة، الفولكلور، التاريخ، والدين.

3-أوكتاف هوداس : O.hodas (1840-1914م)

ولد في فرنسا، وقد دخل إلى الجزائر في بداية حياته العلمية، وبقي في هذا البلد حتى سنة (1884م) ، وبعد مدة قضاها في التعليم في المدرسة الثانوية بالجزائر، انتقل إلى وهران في سنة (1869م)، حيث شغل كرسي أستاذ اللغة العربية، ليعود إلى الجزائر ليتولى نفس المهمة، وهو الذي افتتح الدراسة في المدرسة العليا للآداب في الجزائر، تلك المدرسة التي أنشئت في سنة (1880)⁽²⁾.

ثم استدعي كأستاذ للعامية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وعضوا في مجلس المعارف العامة، وفي اللجنة التاريخية بقسم تاريخ المغرب⁽³⁾، انتقد "هوداس" ووصف بالتسرع في إنجاز بعض أعماله العلمية، ومع ذلك فإن هذا الباحث قد وضع تحت تصرف المؤرخين عددا من الوثائق غير المنشورة لا تزال على الرغم من بعض ما تتطوي عليه من الأغلاط في التفاصيل، تقدم خدمات جلييلة للبحث⁽⁴⁾.

ويعتبر "هوداس" من المستشرقين المحظوظين جدا، خاصة بعد إدراج دراساته في برنامج التعليم العالي، في فترة عرفت فيها الدراسات العربية تطورا كبيرا.

من آثاره:

ترجمة الأربع والستين سورة الأخيرة من القرآن (الجزائر -1864م)، مجموعة كتب مدرسية لتعليم العربية، اشترك مع الأستاذ "مارتل" (وكان من أساتذة اللبسيه) في ترجمة

1- بتصرف/ يحي مراد - معجم أسماء المستشرقين - (مرجع سابق) - ص 132
 2- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 37
 3- يحي مراد - معجم أسماء المستشرقين - (مرجع سابق) - ص 706
 4- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 38

كتاب "الأحكام في نكث العقود والأحكام" لابن عاصم الأندلسي⁽¹⁾، وهي أرجوزة في فقه مالك في (1698) بيتا، متنا وترجمة فرنسية، مع تعليق قانوني وشرح لغوي (الجزائر، باريس، 1883م-1893م)، وله رسالة في تيسير طباعة النصوص العربية (الجزائر 1884م).

له في المجلة الآسيوية كتاب فرنسي عربي للشؤون الإدارية والقضائية (1897م)، ورسالة الأشرف في المغرب ومزاحمتهم الأتراك على ولاية الجزائر⁽²⁾.

4-دوسلان: Baron de Guckin Mac Slane (1801-1878م)

ولد في بلفاست في إيرلندا سنة (1801م)، وقد حضر إلى فرنسا سنة (1830م)، رغبة منه في التعمق والتضلع في الإستشراق، ولم يلبث أن أصبح من أكبر تلامذة "سيلفاستر دي ساسي"، وفي سنة (1845م)، وبعد حصوله على الجنسية الفرنسية، أرسلته حكومته في مهمة إلى الجزائر، قدم عنها تقريرا إلى وزير التربية والتعليم، أرفقه بقائمة تضم أهم المخطوطات العربية التي تحتوي عليها المكتبة الوطنية بالجزائر، ومكتبة قسنطينة⁽³⁾.

بعدها عين في وظيفة كبير المترجمين في الجيش، وذلك في سنة (1846م)، ونتيجة لإتقانه اللغة التركية عين أستاذا لها في مدرسة الألسن الشرقية، ثم أعيد تعيينه مرة أخرى في منصب كبير المترجمين لولاية الجزائر.

¹- ابن عاصم الأندلسي (1309-1426م): هو أبو بكر بن عاصم القيسي، لغوي فقيه، ولد ومات بقرنطبة اشتغل في صباه بتجليد الكتب وارتقى في العلم حتى صار قاضي قضاة قرنطبة، نظم أرجوزة في الفقه المالكي تعرف بالعاصمية أو (تحفة الحكام في نكث العهود والأحكام)، تتكون من 1698 بيت، ألف "حدائق الأزاهر في مستحسنات الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر". أنظر: (علي الملا - الموسوعة العربية الميسرة - ج 1 - مرجع سابق) - ص 38

²- بتصرف/ العقيقي- المستشرقون - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 200

³- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر - (مرجع سابق) - ص 23

وفي سنة (1863م) رخص "لدوسلان" بإلقاء دروس في اللهجة العربية الجزائرية في مدرسة الألسن الشرقية، وفي سنة (1871م) عين بصفة نهائية أستاذ اللغة العامية في المدرسة.

من آثاره:

ترجمة كتاب مقدمة ابن خلدون، وكتاب تاريخ البربر لمؤلف مجهول، وتحقيق جغرافية أبي الفدا⁽¹⁾ بتعاون مع "رينو" لحساب الجمعية الآسيوية، وله تراجم المشهورين في الإسلام (1838م) ثم ترجمه إلى الإنجليزية في أربعة أجزاء (1824م).

صنف كتابا في تاريخي البربر والأسر الإسلامية التي ملكت في شمال إفريقيا (باريس 1847م)، وله فهرس للمخطوطات العربية السريانية في المكتبة الوطنية بباريس، بالعربية والفرنسية في أربعة أجزاء في (840) صفحة، لوصف (4665) مخطوط⁽²⁾.

5- جورج مارسيه: George marcais (1876-1962م)

هو فنان وعالم من أعلام الحضارة الإسلامية، تخرج من مدرسة الفنون الجميلة، ونال لقب دكتور في الأدب، وعين أستاذا للآثار الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر (1919م)، ومسيرا لمعهد الدراسات الشرقية في الجزائر سنة (1931م)، وانتخب عضوا في مجمع الكتابات والآداب سنة (1940م)⁽³⁾

¹- أبو الفدا (1273-1331م): هو الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي، أمير عربي مؤرخ وجغرافي ولد في دمشق، كان عالما أدبيا إلى جانب اشتغاله بالسياسة. له مؤلف جغرافي اسمه "تقويم البلدان"، وله مؤلف تاريخي اسمه "المختصر من أخبار البشر" وهو المعروف بتاريخ أبي الفدا. أنظر: (علي الملا - الموسوعة العربية الميسرة - ج1 - (مرجع سابق) - ص 68)

²- العقيقي - المستشرقون - ج1 - (مرجع سابق) - ص 180

³- المرجع نفسه - ص 253

من آثاره:

صنف الأبنية العربية القديمة في تلمسان سنة (1903م)، وله تاريخ العرب في بلاد البربر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر (قسنطينة في سنة 1913م)، وله في الفن الإسلامي والعمارة في مجلدين نفيسين، يحتويان على الظروف التاريخية والتطور الفني (باريس في سنة 1927م)، ثم أعاد نشره في (540) صفحة، بعنوان "العمارة الإسلامية في المغرب وتونس والجزائر والأندلس وصقلية (باريس في سنة 1954م)، تلمسان (منشورات سلسلة المدن الشهيرة) (باريس في سنة 1950م).

ومن مباحثه كتابة على قبر تلمساني (1918م)، منبر جامع الجزائر (هسبريس في سنة 1921م)، ضريح سيدي عقبة (حوليات معهد الدراسات الشرقية في سنة 1939م)، مدن الساحل الجزائري والقرصنة في العصر الوسيط (حوليات معهد الدراسات الشرقية في سنة 1955م)⁽¹⁾.

6- دولفان. ج: Delphing. G (ت-1919م)

تخرج في اللغات الشرقية من باريس، وانتدبته الحكومة الفرنسية مديرا لمدرسة وهران، حيث درس اللغة العربية بلغاتها ولهجاتها وتوفي في الجزائر⁽²⁾.

تعد مجموعة النصوص التي نشرها واحدة من أغنى وأندر مجموعات الألفاظ التي كونت حتى الآن في مجال اللغة العربية العامية، إنها تبرز عبقرية المؤلف في فن الرواية الشفاهية الصعب، ومن ثم فإنه لا يوجد كتاب قرأه المعنيون باللغة العامية الجزائرية بحماس أكبر من هذا الكتاب، كما أنه لا توجد وثيقة استفاد منها علماء الاجتماع وعلماء اللغة في شمال إفريقيا بأكثر مما استفادوه منه (كما صرح بذلك وليام مارسيه).

¹- المرجع السابق - ص 253

²- المرجع نفسه - ص 202

ومن جهة أخرى لفت نظر "دولفان" إنصاف المتعلمين الذين يلقاهم الإنسان في الأرياف، فكتب تقريراً عن مخالطته لهم وهو يمثل نموذجاً للغة التي يتخاطب بها الطلبة في الأرياف، على أن اهتمامه باللغة العامية لم يصرفه عن الاهتمام باللغة الفصحى⁽¹⁾.

من آثاره:

قصة ما جرى لعربيين من طلاب العلم في قرية العبيد قرب وهران (1887م)، كتاب تيسير العربية على الفرنسيين (1891م).

له عدة أبحاث عن الإسلام في الجزائر، منها كتاب العقيدة الصغرى المشتمل على آراء الشيخ السنوسي (1897)⁽²⁾، وله تاريخ الباشوات العثمانيين في الجزائر متناً وترجمة وتعليقاً (المجلة الآسيوية في سنة 1922)⁽³⁾.

7- الأب بارجيس: J.j.i.Barges (1810-1896م)

هو أستاذ العربية في مرسيليا، واللاهوت والعبرية في السربون، ومن كبار الصحفيين الفرنسيين، اشتهر بالعلوم الدينية، واللغوية، والفينيقية، وقد خلف كثيراً من البحوث الشرقية الرصينة⁽⁴⁾.

1- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 49
2- السنوسي: (832هـ-895هـ/1428م-1490م) هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي الحسني من جهة الأم، كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره، عالم في التفسير والحديث وعلم التوحيد، نشأ بتلمسان أخذ عن الحسن أبركان، ونصر الزواوي وغيرها توفي بتلمسان عن 63 سنة، له عقيدة أهل التوحيد وتسمى "العقيدة الصغرى" و"العقيدة الوسطى" و"العقيدة الكبرى" و"شرح الأسماء الحسنى في كراسين". أنظر: (عادل نويهض - معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - مؤسسة نويهض الثقافية بيروت - ط2 - 1400هـ - 1980م - ص 180)

3- العقيد - المستشرقون - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 202

4- يحي مراد - معجم أسماء المستشرقين - (مرجع سابق) - ص 131

من آثاره:

نشر منتخبات من "الفيض المديد في أخباره النيل السعيد" للمنوفي⁽¹⁾ بالعربية وترجمها إلى الفرنسية، مجوسيو فرعون (1843م)، ترجمة تاريخ بني زيان ملوك تلمسان للتنسي⁽²⁾ (1852م)، نشر ديوان ابن الفارض، وله معجم عربي جديد مطبوع في مرسيليا (1884م)، وحول الكتابات الفينيقية في متحف نابليون الثالث (1863م)⁽³⁾.

8- فور أدولف: Faure.a

وهو واحد من أهم أساتذة معهد الآداب العربية في تونس⁽⁴⁾.

من آثاره:

عرف ببعض ترجماته مثل: التشوف إلى رجال التصوف للشاذلي⁽⁵⁾ في 522 صفحة (الرباط 1985م)، وله أيضا التصوف والمدرسة الزهدية المغربية من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر (منوعات ماسينيوس ج1 سنة 1957م)، تطور السكان الأوروبيين في مكناس من عام (1911م) حتى اليوم (المجلة الجغرافية المغربية 1964م)⁽⁶⁾.

1- المنوفي (1443-1521م): هو أحمد بن محمد بن عبد السلام بن موسى أبو الخير المنوفي الأصل القاهري الشافعي، ويعرف بابن السلام، قرأ الفرائض والحساب وتلمذ للسخاوي بالحديث، من كتبه "الجواهر المضيئة في شرح الأجرومية" و"نخبة العربية". أنظر: (الزركلي - الأعلام - ج1 - (مصدر سابق) - ص 232)

2- التنسي: (ت 899هـ-1494م) هو محمد بن عبد الله بن عبد الجليل أبو عبد الله التنسي، مؤرخ، أديب وشاعر، من أكابر علماء تلمسان، وفيها نشأ وتعلم وأصله من تنس، له "نظم الدر والعيقان في بيان شرف بني زيان، ومن ملكهم من أسلافهم فيما مضى من الزمان"، و"راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح"، وفهرسة بأسماء مشايخه. أنظر: (عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر - (مرجع سابق)- ص 85).

3- العقيلي- المستشرقون- ج1 - (مرجع سابق) - ص 349

4- المرجع نفسه - ص 349

5- الشاذلي أبو الحسن (1196م-1258م): صوفي مشهور ومؤسس طريقة صوفية إسلامية تعرف باسم الشاذلية وقد تفرع منها نحو خمسة عشر طريقة أخرى، ولد في غمارة قرب تبسة، ويحكي آخرون أنه ولد في شاذلة وهو موضع بجبل زعفران في تونس، أقبل على العلم بشغف زائد حتى كف بصره فانقطع لطريق الصوفية، تلمذ على يد المراكشي عبد السلام بن مشيش. أنظر: (علي الملا - الموسوعة العربية الميسرة - ج4 - (مرجع سابق) - ص 1984).

6- يحي مراد - معجم أسماء المستشرقين - (مرجع سابق) - ص 522

9- دي جين: Guignes (1721-1800م)

من أعضاء معهد فرنسا والمعنيين بتدريس اللغة السريانية.

في سنة (1787) أمر لويس السادس عشر بتأليف جمعية من العلماء، لنشر مخطوطات مكتبة باريس الشرقية، فتولى رئاستها.

من آثاره:

تاريخ التتر والمغول والترك، نقلا عن المؤلفين العرب في خمسة مجلدات (باريس 1756م)، وقد قام بنشر كتاب عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس للتوجيني، والذي سيأتي تفصيل الحديث عنه في الفصل الثاني، كما ساعد أيضا على نشر قسم من مروج الذهب (1787م)⁽¹⁾.

10- سوينك: Sonnek.c

وهو مدير المدرسة الإسلامية العليا بقسنطينة، وأستاذ في مدرسة المستعمرات، وهو مترجم قام بجمع مجموعة من الأشعار الجزائرية، وعمل مترجما في الجيش⁽²⁾.

من آثاره:

نشر ديوان المغرب في أقوال عرب إفريقية والمغرب (باريس 1902م)، وكان قد ترجم الجزء الثاني منه إلى الفرنسية في باريس (1983م)، وست أغنيات عربية باللهجة المغربية (المجلة الآسيوية)⁽³⁾.

¹ - العقيلي - المستشرقون - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 161

² - اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 48

³ - يحي مراد - معجم أسماء المستشرقين - (مرجع سابق) - ص 458

11- ديغا : Dugat (1824-1894م)

ولد في فرنسا، وتخرج باللغات الشرقية، عين أستاذا للعربية في مدرسة اللغات الشرقية، وعضوا في الجمعية الآسيوية، وأوفدته حكومته إلى الجزائر وقد عني بالتاريخ العام ولاسيما جغرافية بلاد الإسلام وخلف بحوثا ومقالات نفيسة.

من آثاره:

كتاب تنبيه الغافل وذكرى العاقل للأمير عبد القادر الجزائري متنا وترجمة سنة (1850م)، وترجمة الشعر العامي سنة (1850م)، ورسالة في الطب زاد المسافر سنة (1853م).

وله مختارات من عرب إسبانيا، وتاريخ مستشرفي أوروبا من القرن الثاني عشر إلى القرن التاسع عشر بمقدمة تاريخية عن الدراسات الشرقية في جزأين (باريس 1868م)، وصنف تاريخا في فلاسفة المسلمين وفقهائهم سنة (1878م)⁽¹⁾.

12- الأب فنسنت : Vincent.P.I.H

فنان مونتاي مستشرق ورحالة فرنسي، شغف بدراسة القضايا الإسلامية والغربية، وقضى سنوات عديدة في دول المغرب والمشرق العربي والإسلامي، وانتهى به الأمر إلى إعلان إسلامه عام (1977 م)، ولقب نفسه باسم المنصور بالله الشافعي.

نشأ مونتاي في وسط كاثوليكي وتخلّى في وقت مبكر عن كافة الشعائر الدينية، فالمعتقدات المسيحية كانت غامضة بالنسبة له، والطقوس كانت تبدو له بلا جدوى، واكتشف القرآن الكريم لأول مرة من خلال قراءة ترجمة له للفرنسية، وكان ذلك في مدرسة سان سير خلال الفترة ما بين عامي (1934-1936 م)، وهي مدرسة عسكرية لتخريج

¹ - العقيلي - المستشرقون - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 139

الضباط في ضواحي باريس وكان هو واحدا من طلابها⁽¹⁾، تولى رئاسة معهد دراسة الكتاب المقدس في القدس.

من آثاره:

حماية شارلمان للأراضي المقدسة (مجلة الكتاب المقدس 1927م)، والكتابات الصفوية في الأردن، (مجلة الحياة والفكر 1941م)، وكتب وافرة في الآثار المقدسة⁽²⁾.

13- ليفي بروفنسال: Levi provençale (1894-1956م)

هو من أهم وأبرز المستشرقين الفرنسيين، ولد في الجزائر ونال الليسانس من كلية الآداب في سنة (1930م)، وفي سنة (1919م) انتدب للعمل في معهد الدراسات العليا المغربية في الرباط، وعين أستاذا فيه سنة (1920م)، ثم مديرا له سنة (1920م)، وفي تلك الأثناء قدم رسالة دكتوراه عنونها "مؤرخو الشرفاء" وتتمتها: نصوص الأوراة العربية وهي بحث في لغة جبل شمال المغرب، وفي سنة (1928م)، انتدبته كلية الآداب بالجزائر أستاذا لتاريخ العرب والحضارة الإسلامية، فقسم وقته بين الرباط والجزائر، وبين التدريس في معهد الدراسات في السوربون بباريس، حيث كان يدرس تاريخ العرب وكتاباتهم.

وعين فيما بعد أستاذا للعربية والحضارة الإسلامية بجامعة باريس، ولم يقتصر جهده على التدريس بل كان في سنة (1939م) مدير المطبعة العربية لدائرة المعارف الإسلامية.

كوفئ بروفنسال على جهوده في الاستشراق - إذ عد المرجع الأول في الغرب لتاريخ الأندلس - بأوسمة رفيعة وعضوية جمعيات عدة.

¹ - فنساي مونتاي أعلن اسلامه بعد 30 سنة من البحث - جريدة الاتحاد - القاهرة - عدد 05 - أغسطس-2013
(www.alittihad.a)

² - يحي مراد - معجم أسماء المستشرقين - (مرجع سابق) - ص 521

من آثاره:

نشر بمعاونة الأستاذ محمد بن شنب التقويم التاريخي لمطبوعات فاس (الجزائر 1922)، وله كتاب نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، منتخبة من كتاب "مفخر البربر" لمؤلف مجهول، ونشر بالرباط سنة (1934م)، وله مختارات من مؤرخي العرب في المغرب وهي نصوص محلية في (124) صفحة (باريس الطبعة الأولى سنة 1924م) والطبعة الثانية سنة (1929م) والطبعة الثالثة سنة (1948م)، وأعاد نشر كتاب إسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي في (272) صفحة (القاهرة 1938م)، وآخر الأعمال في الأدب المغربي (1914م-1921م) (هيسبريس 1922م)⁽¹⁾.

¹ - بتصرف/ العقبقي- المستشرقون- ج1 - (مرجع سابق) - ص 293-295

الفصل الثاني:

إسهامات الاستشراق الفرنسي في دراسة

ونشر التراث الجزائري

أولاً: أهم مجالات الدراسة والنشر في التراث الجزائري

ثانياً: منهجهم في الدراسة والنشر

أولاً: أهم مجالات الدراسة والنشر في التراث الجزائري

ما إن وطئت قدم الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر، حتى شرعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في تسخير كل إمكاناتها المادية والسياسية والاقتصادية لبسط نفوذها وتدعيم سيطرتها لتثبيت وجودها الاستعماري في الجزائر، فعمدت إلى تسخير عدد من كتابها وباحثيها الذين يعدون من فئة المستشرقين الذين انبروا للبحث والتقصي في مختلف القضايا المتعلقة بكل ما هو جزائري. إن على مستوى العادات والتقاليد والأعراف والدين والثقافة إلخ...، بعد أن: "أدركت أنها لن تستطيع فرض سيطرتها وإحكام قبضتها على شعوب المستعمرات، إلا من خلال دراسة مجتمعاتها وفهم شعوبها فهما جيداً، وهذا لا يكون إلا إذا انطلقت في دراسة هذه الشعوب من خلال إنتاجها الحضاري والتاريخي، ومن قيمها وقوانينها ونظمها المختلفة وأشكالها ومظاهرها الفكرية، الفلسفية والأدبية، وكذا العمل على دراسة النطاق الجغرافي الذي تشغله تلك المجتمعات".⁽¹⁾

ولرغبة الحركة الاستعمارية الملحة في إرساء سلطتها على قواعد وأسس قوية، شرعت في التعرف على خصوصيات الشعب الجزائري للسيطرة عليه من خلال دراسة تراثه العربي والإسلامي؛ فجدت كل قواها وقدراتها ومعارفها وترسانتها العسكرية والاقتصادية والسياسية لفرض قبضتها على كل نواحي الجزائر وأيضاً لجمع تراثها المعرفي والعلمي قصد الاستفادة منه وأخذه إلى المكتبات والمنشآت الثقافية في باريس وغيرها من دور الثقافة والمعرفة في الضفة الأخرى، لأنها أدركت قيمة هذه الكنوز الثمينة التي صنعتها حضارة إسلامية راقية في جميع الأعصر التي تعاقبت على بلاد المغرب الأوسط.

ولتحقيق هذه الغاية شرعت الإدارة الاستعمارية كخطوة أولى ومهمة بمحاولة التعرف على طبيعة هذا الشعب المُستعمر، في كل مناحي حياته (لغة، ديناً، تاريخاً وعادات...) فلم يتركوا مجالاً من مجالات البحث يخدم أغراضهم الاستشراقية إلا وطرقوه، ولعل أهم ميزة

(1) - إبراهيم لونيس - بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص

طبعت الحركة الاشتراكية الفرنسية هي التخصص؛ حيث جاءت أبحاثهم وأعمالهم في تلك المجالات منظمة ومدروسة.

1- في مجال اللغة:

اهتم المستشرقون الفرنسيون باللغة العربية الفصحى اهتمام الحاجة إليها، إذ كان لا بد من إتقانها للتمكن من الاطلاع على مخطوطات وكتب الدولة المستعمرة، كيف لا؟ وكيونة أمة هو ما دون في كتبها وأرخ حضارتها.

وبعد دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر لاحظ المستشرقون أن هناك لغة أخرى تجاري في أهميتها اللغة العربية الفصحى ألا وهي اللغة العامية أو الدارجة التي يستعملها أفراد المجتمع في حياتهم اليومية، فركزوا جهودهم: "لحصر اللهجات ومعرفة الأصول اللغوية والعرقية للسكان ومدى تأثير لهجة ما على ما جاورها".⁽¹⁾

وبذلك اهتموا بالإضافة إلى تعلم اللغة العربية الفصحى، بتعلم اللغة العربية العامية للتوغل في أعماق المجتمع الجزائري وتسهيل التواصل معه لإحكام السيطرة عليه، وإن كان اهتمام المستعمر الفرنسي باللغة العربية لم يكن من منطلق تدريسها، بل بالعكس فهو في الوقت الذي كان يحث فيه مترجميه وقادة جيشه على دراستها وتعلم قواعدها كان يغلق المدارس العربية ويستبدلها بمدارس لتعليم اللغة الفرنسية فشكل بذلك توأمة التعلم والطمس، تعلمه هو للغة العربية وطمس معالمها لدى أبناء المجتمع الجزائري للقضاء عليها، وبذلك فقد: "عاملت الإدارة الاستعمارية اللغة العربية وفق ثنائية الاهتمام والتدمير في آن واحد، واستعمالها كوسيلة لتوطيد وترسيخ تواجدها بالجزائر".⁽²⁾

كانت اللغة العربية سواء الفصحى أو الدارجة، بالنسبة للمستشرقين الفرنسيين لغة وظيفية وأداة لمعرفة أفكار وتاريخ الجزائريين، كما أنها كانت وسيلة الاتصال بالأهالي، وعليه فقد رأى هؤلاء مدى أهمية تعليم اللغة العربية من خلال إعداد مناهج لتسيير تعليمها للفرنسيين، وظهرت بذلك عدة دراسات ومعاجم وقواميس في هذا الشأن من بينها: قاموس

(1) - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 8 - (مرجع سابق) - ص 19

(2) - إبراهيم لونيس - بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص

لغوي (فرنسي - عربي) وضعه المترجم (بن جامين فانسانت) (Benjamin Vincent)، وقد تولت وزارة الحربية طبعه⁽¹⁾ وهو قاموس موجه للمترجمين المدنيين والعسكريين، كما قام المستشرق (أبراهام دانينوس) (Abraham Daninos) بتأليف قاموس (فرنسي - عربي) أيضا⁽²⁾ وقام المستشرق جان جوزيف مارسيل (J.J.Marcel) بنشر قاموس في باريس سنة (1837) تحت عنوان: (مفردات عربية وفرنسية) (Vocabulaire Français Arabe)، وكلاهما يحتوي على كلمات بالفرنسية ومقابلها بالعربية.

هذا ويعود الفضل في نشر أول كتاب في النحو الجزائري إلى السيد (جونى فرعون) وذلك سنة (1832م) والذي عنوانه ب: (النحو الإبتدائي للعربية الدارجة الموجهة للفرنسيين).

(Grammaire élémentaires d'arabe vulgaires l'usage des français) ثم قام فيما بعد بتبسيط هذه الدراسة وتعميمها بتلخيصها واختصارها.⁽³⁾ وذلك رغبة منه في تعميم الفائدة منها، ونشره تحت عنوان: (موجز النحو العربي البسيط)، كما نشر (برينيه) الموجز الذي حدد فيه خصائص اللهجة الجزائرية وأعطى فيه تفاصيل عن حياة السكان، وعنوانه بالكامل (موجز اللغة العربية الدارجة في مدينة الجزائر، وفي الأيالة الجزائرية سنة 1831م).⁽⁴⁾

وتحت عنوان: (الدروس العملية والنظرية للغة العربية)⁽⁵⁾ نشر (برينيه) كتابه الثاني واعتبر بحق مرحلة هامة في تاريخ البحث اللغوي في الجزائر.

ووضع كوسين دي برسفال (Coussin De Perceval) كتابا بعنوان: (نحو العربية الدارجة) أي (Grammaire de l'arabe vulgaire)⁽⁶⁾ وهو كتاب يجمع بين مختلف

(1)- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر - (مرجع سابق) - ص 08

(2)- المرجع نفسه - ص 08

(3)- المرجع نفسه - ص 11

(4)- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج6 - (مرجع سابق) - ص 42

(5)- المرجع نفسه - ص 42

(6)- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر - (مرجع سابق) - ص 12

اللهجات واعتبر من أهم الوسائل في تعلم اللغة العامية، ثم جاء المستشرق (دانينو) وألف قاموساً للمفردات ونشره في المجلة الآسيوية، ثم ظهر قاموس بحجم أكبر وأهم بعنوان: (المفردات الفرنسية - العربية) (vocabulaire français - arabe)⁽¹⁾ في كل من (الجزائر وتونس والمغرب الأقصى ومصر)، وقام بنشره سنة (1837م) المستشرق (جان جوزيف مارسيل) (J.J. Marcel).

وبالحديث عن بداية دراسة اللغة العربية في الجزائر، فإنه لم يبدأ تنظيمها تحت إشراف (برانسي) (Brensier) إلا في سنة (1838م)، على الرغم من أن المحاولات الأولى في هذا المجال بدأت منذ سنة (1831م)، وقد قام المستشرق (كور) (A. Cour) بعرض مفصل لهذه المحاولات في الدراسة التي وضعها تحت عنوان: (ملاحظات على كراسي اللغة العربية في الجزائر، قسنطينة، وهران)، (notes sur les chaises de la langue arabe)⁽²⁾.

ومن المستشرقين المتضلعين في اللغة العربية الفصحى (لوي جان بريزني)⁽³⁾ (L.J. Bresnier) والمعروف عن هذا المستشرق أنه كانت لديه خبرة كبيرة في مجال التربية والتعليم أهله فيما بعد لنشر العديد من الكتب اللغوية، لعل أهمها نشره لكتاب الأجرومية، وهذا ما يعكس مدى عمق معرفته باللغة العربية الفصحى.

كتب (بريزني) مقالا في سنة (1818) م شرح فيه طريقته في تعليم العربية، وهي عصارة جهده وخبرته في التعليم تحت عنوان: (التعليم العربي في الجزائر) (De

(1) - المرجع السابق - ص 09

(2) - كور - ملاحظات على كراسي اللغة العربية في الجزائر - المجلة الإفريقية - الجزائر - عدد 65-1924 - ص 20

(3) - لوي جاك بريزني: (1814-1869م) : تتلمذ على يد "دي ساسي" فأظهر في العربية نبوغا، سافر إلى شمال إفريقيا لإتمام بحوثه فتولى رئاسة مدرسة عربية في الجزائر وعلم فيها اللغة العربية حتى وفاته. انظر: (نجيب العقيلي - المستشرقون - (مرجع سابق) - ص 187)

(1) (l'enseignement de la langue arabe d'Alger) قسم فيه دروسه إلى ثلاثة

محاور:

- المحور الأول: دروس للتمرين على النطق باللغة العامية.
- المحور الثاني: دروس لمبادئ النحو العربي والأسلوب.
- المحور الثالث: دروس لتوضيح النصوص الأدبية والعلمية.

وفي السنة نفسها نشر كتابه المعنون: (رسم اللغة العربية المنطوقة في الجزائر في عهد الوصاية عليها) (expuisse de la langue arabe parlée à Alger et dans la régence d'Alger).⁽²⁾ وقد سجل فيه الخصائص التي تميز اللغة العامية الجزائرية عما سواها، كما نشر سنة 1845 كتابين،⁽³⁾ خلد بهما اسمه، الأول بعنوان: (créto manie arabe) ، وهو كتاب يشتمل على مجموعة من الرسائل والوثائق الرسمية، والثاني بعنوان: (كتاب نظري وتطبيقي لتعليم العربية) (théorique de la langue arabe).

وقد عد الكتابان قاعدة أساسية لتدريس اللغة العربية في الجزائر لزمان طويل، كما أن هذان الكتابان قدما خدمة جليلة لا يستهان بها في دفع حركة الدراسات العربية في الجزائر.

ومن المستشرقين البارزين أيضا والذين كان لهم دور فعال في دفع حركة الاستشراق في الجزائر (جاك أوغست شاربونو)، الذي ساهم بسلسلة كبيرة وضخمة من مؤلفاته القيمة في مجال الدراسات اللغوية من بينها: (قاموس فرنسي عربي وعربي فرنسي)، الأول كان موجها لتسيير تعلم القراءة للفرنسيين والثاني موجه لتسهيل تعلم الفرنسية للعرب.

(1) - بتصرف / إسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر - (مرجع سابق) - ص 13

(2) - المرجع نفسه - ص 14

(3) - المرجع نفسه - ص 14

ولأجل تحقيق هذا الغرض وهو تسهيل تعليم اللغة العربية للفرنسيين، ظهرت عدة دراسات من ذلك على سبيل المثال: (عناصر الجملة وترجمتها إلى الدارجة)⁽¹⁾ وهي عبارة عن مجموعة من القواعد والتمارين لتسهيل قراءة المخطوطات العربية وفهمها، ثم إعادة نشرها كما قام (دي برسفال) بنشر الطبعة الثالثة لنحو العربية الدارجة، ونشر (بلاد دو بران) (Bled de Braine) درس العربية المؤلف من النحو والتمارين الموجهة إلى الأوروبيين المقيمين بالجزائر وباقي أقطار شمال إفريقيا.⁽²⁾

وبالعودة للحديث عن أعمال المستشرق الفرنسي (شاربونو)، فقد كانت لأعماله المميّزة ذات الصيغة العلمية قيمة كبيرة مقارنة بالوقت الذي أنجزت فيه، والتي كرسها لدراسة اللهجات الجزائرية أهمها تلك التي تحمل عنوان⁽³⁾

- (التعريف المعجمي لعدة كلمات) (Définition lexicographiques de)
 .(plusieurs mots)

- (رسالة إلى ديفرمري عن النموذج الثامن المستعمل في العربية المنطوقة) (Lettre
 a defremery sur le paradigme d'une 8^{eme} forme usite dans
 (d'arabe parlé

- (منهجية التعامل مع الاقتران العربي باللهجة الجزائرية) (Traité méthodique
 (de la conjugaison arabe dans la dialecte algérien

وبالموازاة مع رغبة المستشرقين الفرنسيين منذ بداية الاحتلال في دراسة اللغة العربية ولهجاتها لحاجتهم لها في فهم الشعب الجزائري والاتصال به، كان اهتمامهم أيضا بدراسة الأمازيغية ولهجاتها كما سبق الذكر والتي كانت لأغراض سياسية أكثر منها علمية: "وهي

(1) - محمد العربي معريش - الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق - (مرجع سابق) - ص 241

(2) - المرجع نفسه - ص 242

(3) - اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر - (مرجع سابق) - ص 21

السياسة التي قامت على تبعيد السكان عن بعضهم وتقسيمهم إلى بربر وعرب وأقلية وأغلبية، لكي تظل الكلمة الفصل للفرنسيين أنفسهم".⁽¹⁾ وتحت شعار: (فرق تسد) وعلى هذا الأساس تمكنت السلطات الفرنسية من تقسيم نسيج المجتمع الجزائري وتفتيته إلى عدة طوائف عرقية، منها العرب والبربر وغيرها، وبذلوا في ذلك جهدا كبيرا، لولا لحمة الدين الذي كرس مبدأ « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »⁽²⁾. و: "يعود اهتمام الأوروبيين عموما والفرنسيين بوجه خاص بالبربرية إلى حوالي منتصف القرن 12 هـ / 18 م".⁽³⁾

ظهرت عدة مؤلفات تهتم باللهجة البربرية من بينها: قاموس ألفه الأب (هوغ) (Huygh) وهو قاموس قبائلي فرنسي.⁽⁴⁾ (Dictionnaire Kabyle Français) وقاموس بربر بجاية،⁽⁵⁾ الذي حث وزير الحرب الفرنسي على نشره فصدر الجزء الأول منه عام (1844م)، وهو عبارة عن جمع لمفردات البربرية وعباراتها.

والجدير بالذكر أن مصادر هذه الأعمال غالبا ما تكون شفوية.

وأصدر (هانوتو) (معجم عن لهجة جرجرة (زواوة) وذكر (دوفريه) نماذج من لهجة الهقار.⁽⁶⁾

وقد ظلت لهجة القبائل والتوارق طويلا محدودة الاستعمال مبهمة، لأنها غير مكتوبة، الى أن جاء المستشرقون الفرنسيون فأولوا لها اهتماما غير مسبوق مدونين بعض آثارها مستجدين في ذلك بالحروف العربية، وقد: "لاحظ المستشرقون أن لسان التوارق يختلف قليلا عن لسان بربر القبائل".⁽⁷⁾

(1)- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 8 - (مرجع سابق) - ص 30

(2)- سورة الحجرات: الآية 10

(3)- محمد العربي معريش - الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق - (مرجع سابق) - ص 271

(4)- إبراهيم لونيس - بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص

187

(5)- محمد العربي معريش - الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق - (مرجع سابق) - ص 240

(6)- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 6 - (مرجع سابق) - ص 48

(7)- محمد العربي معريش - الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق - (مرجع سابق) - ص 272

والملاحظ هو اهتمام المستشرقين بموضوع اللهجة العربية والبربرية، كون الإدارة الاستعمارية لم تكن مهتمة باللغة في حد ذاتها كوسيلة للتواصل مع الشعب الجزائري ومن منطلق أن الفرد يتأثر باللغة التي يتحدث ويتواصل بها أيما تأثير، وإنما لإحكام التوازنات الاستعمارية في المجتمع، وهذا التأثير بطبيعته يمتد إلى تفكيره وتصوراتهِ وعقائده ومشاعره، وهو الشيء الذي سعت السلطات الفرنسية إلى الكشف عنه ومن ثم تحقيق أغراضه الاستشراقية والاستعمارية على حد سواء.

2- في مجال الشعر:

بقي نظم الشعراء الجزائريين في شتى الأغراض مغمورا زمنا طويلا، خاصة ما كتب منه في العهد العثماني الذي ظل على الرغم من أن البعض يصفه بأنه عصر الجمود والركود الأدبي والثقافي، إلا أنه عرف ظهور مجموعة من الأدباء والشعراء الذين تخصصوا في تعاطي الشعر وإن ظل شعرهم هذا موزعا في بضع أبيات أو قصائد: "وكل ما نعرفه عن هذا الشاعر أو ذاك هو بعض الأبيات أو القصائد المثبتة عرضا في أحد المصادر التاريخية أو الفقهية أو المتفرقة في الوثائق العامة"⁽¹⁾.

ولقد تعدد قرض الشعر عند هؤلاء بين شعبي ملحون وفصيح، ولقي النوعان إقبالا لدى عامة الناس، خاصة وأنه يتناول مواضيع هامة ومتعددة مستوحاة في الغالب من بيئة المجتمع وأحواله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...، ولقد: "ارتبط الشاعر الشعبي الجزائري بقضايا وطنه وأمتة دائما فقاسمها الأفراح والأفراح، وساهم بشعره في نصره القضايا الوطنية والإنسانية العادلة، ولاسيما في الفترات الحرجة والصعبة التي مرت بها الأمة الجزائرية، فانبرى الشعراء الشعبيون في كل جهات الوطن إلى تنظيم الصفوف وتجنيد الناس لمحاربة المحتلين وحمل الجزائريين على التضامن ووحدة الصف والمشاركة في تمويل المقاومات ونصرتها"⁽²⁾.

وتعد قصيدة (دخول الفرنسيين إلى الجزائر)، التي كتبها عبد القادر الوهراني⁽³⁾ أيام احتلال احتلال فرنسا للجزائر سنة (1830م)، من أشهر قصائد الشعر الملحون التي لقيت رواجاً منقطع النظير، وظل الناس يتغنون بها زمنا طويلا، ذلك أنها تعتبر صورة ناطقة لمشهد

1- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج2 - (مرجع سابق) - ص 239
 2- العقريب نعيمة - تجليات المقاومة والنضال في الشعر الشعبي الجزائري - جامعة الجزائر - الملتقى الدولي حول الجزائر وثورتها التحريرية. manifest.univ-ouargla.dz/.../376
 3- عبد القادر الوهراني: هو أبو عبد الله مسلم بن عبد القادر العامري، كان هذا الأديب في شبابه خوجة الأغا المزاري، أحد أغوات مخزن الترك بوهران، ثم انتقل إلى خدمة الباي حسن وارتقى إلى مرتبة باش كاتب، ومنها أخذ لقبه المعروف به، وبعد دخول الفرنسيين وهران بمدة يسيرة ارتحل إلى معسكر ومات بها سنة 1833. أنظر: (سونيك-الديوان المغرب في أقوال عرب افريقية والمغرب - المطبعة الشرقية - باريس -1902- ص 4)

حي يجسد بشاعة وهول الدمار الذي شهدته الجزائر على يد المستعمر الغاشم، وهذا ما يؤكد عبد المالك مرتاض في قوله: "لا نجد لها- ولنؤكد ذلك تارة أخرى- نظيراً فيما اطلعنا عليه من شعر المقاومة شعبياً وفصيحا معاً"⁽¹⁾.

- نشر (ج. ديسبرمي) (J. Desparment): قصيدة (دخول الفرنسيين إلى الجزائر)⁽²⁾ سنة 1930، لما تؤرخه من وقائع عاصرها الشاعر ودونتها بكل أمانة.

ومطلع القصيدة هو:

بِالْحَمْدِ نَبْدًا ذَا الْقِصَّةِ وَنُعِيدُهَا
اسْتَعْفَرُوا وَتُوبُوا يَا مُسْلِمِينَ
تُوصِي عَلَى صَلَاةِ أَحْمَدَ لَا تُسَاوِهَا
ثَقُفْ مَنْ الْقَصَائِصِ وَنُصَبِ الْوَازِنِينَ
إلى غاية قوله:

تَعْفَرُ ذُنُوبَ أُمِّي وَأَبِي وَأَشْيَاخِهَا
وَالْغَائِبِينَ وَأَهْلِي وَالْحَاضِرِينَ
تَجْعَلُ مَقَامَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَجَنَانِهَا
بُجَاهِ سَيِّدِ الْأُمَّةِ جَدِّ الْحَسَنِينَ

رَانِي عَلَى الْجَزَائِرِ يَا نَاسَ حَزِينٍ

يبدأ الشاعر قصيدته بالحمد والإستغفار والصلاة على النبي الكريم عليه (أفضل الصلاة والسلام)، ما يوحي بعمق إيمان الشاعر وارتباطه الوثيق بالدين الإسلامي.

ويسترسل الشاعر في التصريح بمشاعره التي تحمل حسرة المهزوم والمتحسر على ضياع حرية وطنه وكرامة شعبه، بعد أن كانت الجزائر قوة جبارة صاحبة منة وفضل على سائر أوروبا بإنتاجها الوفير وغلالها الكثيرة والمتنوعة.

¹ - العفريب نعيمة - تجليات المقاومة والنضال في الشعر الشعبي الجزائري- (مرجع سابق).

² - ديسبرمي- دخول الفرنسيين إلى الجزائر - المجلة الإفريقية - الجزائر- عدد 71 - 1930 - ص 225

كَانَ سَنَجَافَ الْبَهْجَةِ وَوَجَافَهَا
الْأَجْنَاسُ تَخَافَهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرَيْنِ
الْفَرَانِصِيصُ حَرَكَ لِيهَا وَخَذَاهَا
لَأَهِي مَيَاتِ مَرْكَبٍ لِأَهِي مَيْتَيْنِ

وهي عاطفة جياشة تحمل في عمقها إحساس شاعر مرهف الحس يحترق فؤاده وجعا وألما لما آل إليه بنوا قومه، وهي عاطفة صادقة، ولهذا أسرت أفئدة الجزائريين لمدة ليست بالقصيرة، وما زال تأثيرها واضحا وجليا على كل من يطلع عليها.

ويسرد الشاعر تفاصيل احتلال الجزائر خاصة وأنه كان شاهد عيان على ذلك ما يجعل من قصيدته مصدرا تاريخيا موثقا.

وهذا ما شدّ انتباه المستشرق الفرنسي إليها، لأنها تجسد مشاعر الرفض المطلق الذي يشعر به كل جزائري حر لهذا المستوطن الجائر الغاصب.

- نشر (فانسننت) (B. Viencent): قصيدة (أبيات في سقوط الجزائر)⁽¹⁾ للشاعر محمد بن الشاهد⁽²⁾.

وقد نشر هذه القصيدة: "لأنها في نظره أكثر دلالة على موهبة الشاعر، وقد أورد نصها العربي وترجمه إلى الفرنسية مع تعليق بسيط"⁽³⁾.

وهي عبارة عن نظم فصيح على وزن البحر الطويل، في رثاء الجزائر وما آلت إليه بعد احتلالها من طرف العدوان الفرنسي: "وتعتبر هذه القصيدة في نظرنا من عيون الشعر العربي الحديث في موضوعها وروحها، وهي أيضا من أوائل شعرنا الوطني والسياسي"⁽⁴⁾.

1- فانسننت- أبيات في سقوط الجزائر - المجلة الآسيوية - باريس- عدد 03-1983- ص 503
2- محمد بن الشاهد (1206هـ-1792م): شاعر جزائري، من فقهاء المالكية، من أهل مدينة الجزائر مولدا ونشأة، وأصله من الأندلس. تولى الإفتاء على مذهب الإمام مالك سنة 1192هـ، وكان ينظم الموشحات ويلحنها ولاسيما في ذكرى المولد النبوي الشريف. أنظر: (عادل نويهض- أعلام الجزائر - (مرجع سابق) - ص 185).
3- أبو القاسم سعد الله- تجارب في الأدب والرحلة - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1983 - ص 113
4- المرجع نفسه - ص 112

ويبدأ الشاعر قصيدته بقوله:

أَمِنْ صَوْلَةِ الْأَعْدَاءِ سُورِ الْجَزَائِرِ
سَرَى فِيكَ رُغْبٌ أَمْ رَكَنْتِ إِلَى الْأَشْرِ
لَبِسْتِ سَوَادَ الْحُزْنِ بَعْدَ الْمَسَرَّةِ
وَعَمَّتْ بَوَادِيكَ الْفُتُونُ بِلَا حَصْرِ

ويختمها بقوله:

فِيَا عَيْنُ جُودِي بِالْدُمُوعِ سَمَاحَةً
وَيَا صَاحُ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ لِحَالِقِي
وَيَا حُزْنَ شَيْدٍ فِي الْفُؤَادِ وَلَا تَسْرِ
فَصَبْرًا عَسَى عُسْرٌ يُبَدِّلُ بِالْيُسْرِ

فهو في بداية نظمه يبث نجواه وما يحس به من حزن في تساؤله عن سبب سقوط أسوار بلاده، هل هو الخوف والجبن أم الخيانة والغدر؟

ويتابع الشاعر تصوير أوجاعه التي تنم عن شاعرية الرجل وإحساسه المرهف وهو ينعي حداد موطنه فلم يبق له بعد ضياع هيبته سوى الحسرة والسواد، ثم يعود بصوت المعاتب الغاضب موجها قوله لأهل الجزائر الذين أضاعوا دربهم فضاع منهم شعور الأمن والأمان، وكأن ما أصاب أسوار الجزائر من دمار شامل، إنما هو لعنة من السماء.

ويسرد الشاعر أخبار ما ارتكبه جيش الاحتلال من مجازر والتي لا تعد ولا تحصى، الأمر الذي دفع الأهالي إلى الفرار والهجرة خارج أرض الوطن حفاظا على حياتهم، ومن جرائم المحتل التي لا تغتفر قطع الأشجار - التي حسب رأي الشاعر - كانت بعناية الله تعالى فداءً لأرواح البشر، فلو لم يقطعوها لقطعوا بديلا عنها رؤوس العباد، وقد فعلوا ذلك دون رافة ولا رحمة.

مع أن المستشرق الفرنسي (فانسننت) لم يذكر هذا التفسير بل أعطى للبيت معنى آخر يخدم إنسانية المستعمر الفرنسي في قوله: "أن منتهى إنسانية الجيش الفرنسي هو أنه صب جام غضبه على الشجر بدل البشر"⁽¹⁾.

وهو ما يؤكد تحريف المعنى للغاية التي تخدم غرض المستشرق في تصوير ما يعاكس الواقع.

وينتهي الشاعر نظمه بالنواح على حاله بعد هجرة أحبائه وبقائه وحيدا، وهو الشاعر الضرير الشاكي عُسر حاله إلى الله عز وجل.

ويبدو أن المستشرق الفرنسي قد شهد في هذه القصيدة اعتراف الشاعر بانتصار سيف الكفر على سيف الحق كما اعتقد وأراد: "لفت نظر المستشرقين إلى أهمية الموضوع الذي عالجه الشاعر وهو أن الاحتلال قد جعل صوت الكفر يعلو على صوت القرآن - في اعتقادهم وحسب مفهومهم - وهذه قضية تهم طبعاً المستشرقين الذين كانوا هم الممهدين لاحتلال العالم الإسلامي والضالعين في ركاب الإستعمار"⁽²⁾.

- نشر (الإسكندر جولي): (ملاحظات على الشعر الحديث عند البدو الجزائريين)⁽³⁾، وهي عبارة عن دراسة فنية ونوعية أيضاً للشعر الشعبي في الجنوب، وذكر منه هذه الأنواع: الزغوية، والنّم (بكسر النون)، والمدح، والفؤل (بضم القاف المعقودة)، والهجوة، والقطّاعة (بشد الطاء) وهي أغنية الطريق أو الحداء، والعبد وهو شعر الحرب والأعراس، والغناء وهو الشعر المرفوق بصوت آلة الطرب"⁽⁴⁾.

¹ - فانسننت - أبيات في سقوط الجزائر - (مصدر سابق) - ص 507

² - أبو القاسم سعد الله - تجارب في أدب الرحلة - (مرجع سابق) - ص 113

³ - جولي - ملاحظات على الشعر الحديث عند الرحالة الجزائريين - المجلة الإفريقية - الجزائر - عدد 45 - 1901م

- ص 208

⁴ - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 8 - (مرجع سابق) - ص 316

وذكر (جولي) في هذا الجزء من الدراسة والتي نشرها في المجلة الإفريقية سنة (1901م) نوعين من هذا الشعر وهما (الزغوية، الغنائية)، وإن كانت الأولى الأكثر شهرة عند رحالة الجنوب، وعرف جولي الزغوية بأنها غناء رتيب بطيء، مصحوب بأنين، وموضوعها هو الغزل في النساء.

وكلمة زغوية مأخوذة من الشكل زغا (ناح، بكى)، وقد كان الأوروبيون يتخيلون أن رحالة الجنوب - وهم ينشدون شعرهم - أنهم ينوحون أو يبكون وهذا لجهلهم لغتهم.

ويشير (جولي) إلى أن الزغوية تقوم على منهج واحد لا تحيد عنه، حيث يبدأ الشاعر بالتعبير عن حزنه الشديد الذي يُدم قلبه ويُرهب روحه، ثم يشرع في وصف المرأة التي يحبها وغالبا ما يكون هذا الوصف مبالغا فيه من شدة الوجد والهيام.

وفي غضون ذلك يستطرد الشاعر في وصف البيئة المحيطة به دون المساس بالفكرة الأساسية (وهي وصف المرأة التي يحبها)، فينقل الشاعر مشاهد عن الحياة الرعوية أو الحربية (الخيال، الجمال، الصيد) ويؤكد جولي أن دور الإستطراد أو السرد غالبا ما يكون ثانويا لكنه الجزء الأهم لمخطط أو تركيبية الزغوية، في حين يؤكد سعد الله أن الموضوع الرئيس في الزغوية هو الرحلة وهذا في قوله هي: "شعر يرتجله الشعراء في الغالب للتغلب على طول الطريق، أما الموضوع فهو دائما قصة عن الرحلة التي ترد فيها أسماء الأماكن"⁽¹⁾.

ويعرض (جولي) لهذا النوع من الشعر الشعبي في الجنوب، ويتحدث عن نموذج للتعريف أكثر بالزغوية، وهو عبارة عن :

- أبيات للشاعر: علي بن لخضر، في غزل الشيخة بنت المولود وهي امرأة من أولاد كحل وهم فرع من قبيلة أولاد عيسى من أولاد نايل، الذين يسكنون الوسط الجزائري.

¹-المرجع السابق - ص 317

ويفتح قصيدته بقوله: (1)

فَعَدَّتْ قَافِرَةٌ دَارَتْ أَيَّامَ الْحَمَّانِ صَابَتْ سَجْرَةَ بِلَادُنَا يَا تَشْطَانِي

بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لُدَّةَ زَاهِرَةَ تَرْيَانِ سَفَطَتْ وَرَقَتَهَا عَلَى شُوفِ عَيَانِي

يستهل الشاعر قصيدته ببث أوجاعه المريرة التي يكابدها لفراق حبيبته، فهو هنا لا يصف الطبيعة الحسية، إنما يصور طبيعة روحه المولعة بمحبوبته ثم يضيف قائلاً: (2)

أَنَا مَانِي شَيْ عَلَى خَضَرَ سَجْرَةَ بُسْتَانِ بِي وَاحِدَةً جَنُّهَا مَالِكُ جَنِّي

الشَيْخَةَ عَيْنِ مُكَنْبِلِ طُولِ الزَّمَانِ وَهِيَ بِنْتُ الْمُؤَلُودِ حُبِّكَ زِدَانِي

مقرا بأن من يصفها بالذبول كورقة خريف ليست ورقة شجرة إنما هي حبيبة تملك وجدانه فشغف بحبها، وهي الشبيخة بنت المولود التي أعياها حبها من شدة الوجد والهيام.

ويتابع وصف عذابه وأساه إلى أن يباشر وصف محبوبته بقوله: (3)

خَدَّ الشَيْخَةَ كَالْوَرْدِ وَبَيْنَ نَعْمَانِ إِذَا فَتَحُوا الْإِثْنَيْنِ مَا بَيْنَ السَّوَانِي

فَمُكُّ يَعْشَى عَلَى الزَّيْرَدِجِ وَالْيَامَانِ رِبْقُكَ طُبُّ لِّلْسُقْمِ ثَابِتٌ دَاوَانِي

وقد أبدع الشاعر في وصف مفاتها كامرأة جميلة سلبته عقله وروحه إلى أن يختم أبياته بقوله: (4)

يَا بِنْتُ الْمُؤَلُودِ حُبِّكَ زِدَانِي

وللاشارة فإن الشطر الأول من البيت الثلاثين لم يذكره المترجم لأنه مفقود.

1- جولي - ملاحظات على الشعر الحديث عند الرحالة الجزائريين - (مصدر سابق) - ص 209

2- المصدر نفسه - ص 210

3- المصدر نفسه - ص 215

4- المصدر نفسه - ص 217

أما العناية فقد عرفها جولي بأنها: شعر مرفوق دائما بإحدى الآلات الوترية وهي لا تؤدي في الخيم ولكن في القصور، في الأطلس الصحراوي أو بني ميزاب، ويعرفها سعد الله بأنها: (الغناء) و: "هو الشعر المرفوق بصوت آلة الطرب"⁽¹⁾.

موضوعها هو المرأة أو الحب حسب رأي (جولي)، وإن كانت هناك مواضيع أخرى تذكر على شكل استطراد دون الحياد عن الموضوع الأساسي الذي هو في الغالب (الحب والمرأة)، والتي تعبر أحيانا عن مصلحة دينية والتي تعتبر المحرك الوحيد لأعمال وأفعال العرب، وقد ذكر فيها نموذجا واحدا للشاعر سي ابراهيم بن شيخ بن الدين من أولاد عيسى بالأغواط، ويبدأ قصيدته بقوله:⁽²⁾

سَلَبْتَنِي ذَهَ الْخُودَةَ

أَدَّتْ عَقْلِي غَدَا

وَالكَبْدَةَ مَصْنُودَةَ

وَحَرَ قَلْبِي غَزِيرَ

ويتابع الشاعر بث شكواه ومواجهه التي يعانيتها في سبيل من يحب إلى أن يباشر وصف حبيبته بقوله:⁽³⁾

ذَاكَ الْخَدَّ الْوَاضِحَ

كَيْفَ شَمْسِ الصَّبَاخِ

زَادَ إِلَيَّ قَلْبِي تَجْرَاحَ

¹- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - (مرجع سابق) - ص 316
²- جولي - ملاحظات على الشعر الحديث عند الرحالة الجزائريين - (مصدر سابق) - ص 228
³- المصدر نفسه - ص 229

كَيْفَ جُرْحِ الذَّكِيرِ

فَرَجَّ عَنِّي نَزَاتِحَ

يَا الرَّبَّ الْخَبِيرِ

ليختم الشاعر قصيدته بالإفصاح عن عدم قدرته على الصبر لفراق محبوبته مما زاد من تحول جسمه وسوء حاله حتى أصبح يرى أن ليله أطول من ليل غيره وفي ذلك يقول: (1)

وَقَفْتُ أَنْ فَرَقْتُنَا الْأَزْدَالَ

زَادَ حَالِي ذُبَالَ

عَابَدَ غَيْرَ النَّسْوَالِ

وَنَسَأَلُ حَتَّى الْيَشِيرِ

يَا قُدْرَةَ لَيْلِي طَالَ

وَلَيْلُ غَيْرِي قُصِيرِ

- نشر سونيك كتاب: (الديوان المَغْرِبِ في أقوال عرب افريقية والمَغْرِبِ)، وهو كتاب جمع فيه ما كان يسمعه عن سكان شمال افريقيا من أشعار لفظاحلة الشعر الشعبي أمثال ابن قيطون وابن مسايب، وذلك سنة (1902) وكلها قصائد نادرة قام بجمعها في تلك الحقبة مشافهة من أفواه الشعراء أو السكان الذين كانوا يرددونها. (2)

1- المصدر السابق -ص 232

2- محمد بن قيطون: من مواليد سيدي خالد بسكرة، ولا يعرف له تاريخ مولده، توفي في أواخر القرن التاسع عشر حسب عبد الحميد حاجيات. أنظر: (ملحق أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، اعداد الطالب أحمد قنشوبية، البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية "منطقة شمال افريقيا نموذجا" (1850-1950)- اشراف الدكتور العربي دحو- 2008 -ص 346)

والديوان يضم (117) قصيدة، تنوعت موضوعاتها وأغراضها الشعرية ما بين غزل ورتاء ومدح، وقد التزم سونيك بذكر شعراء شمال إفريقيا إلا أن شعراء الجزائر وتونس كان لهم النصيب الأوفر من الديوان، وربما يرجع سبب ذلك إلى إقامته آنذاك بمدينة قسنطينة، غير أنه لم يتحدد بزمان معين، فكان بعض الشعراء من القرن السادس عشر كالشاعر لخضر بن خلوف وكان بعضهم من القرن الثامن عشر كالشاعر ابن مسايب، والبعض الآخر من القرن التاسع عشر كمحمد بن بلخير.⁽¹⁾

ذيل سونيك ديوانه بفهرسة قام من خلالها بذكر عنوان القصيدة والتعريف أو الترجمة لصاحبها والفترة التي عاش فيها، وأحيانا يعتذر عن الترجمة للشاعر لجهله به أو لأسباب أخرى.

افتتح سونيك ديوانه تقليدا بالكثير من شعراء الشعر الشعبي بقصيدة في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهو موضوع مألوف عند الشعراء يفتتحون به قصائدهم حتى لو كانت في أغراض أخرى.

وإلى عرض ملخص لقصيدتين من هذا الديوان على سبيل الذكر لا الحصر:

الأولى هي قصيدة للشاعر بلقاسم الحداد⁽²⁾ في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتي افتتح بها سونيك ديوانه وهي بعنوان: "يا فاهم الأشراح"⁽³⁾ وهي قصيدة في الوعظ مطلعها:

يَا فَاهَمَ الْأَشْرَاحِ واصغى لي ياكلُ فاهمَ

¹ - محمد بن بلخير: ولد سنة 1806 تقريبا، وتوفي سنة 1896، حسب روايات الشيوخ الكبار، وقد عاد قيل ذلك منهك القوى من سجن كالفى بكور سيكا الذي وضعته فيه فرنسا وهو في سن الثمانين وقضى به 7 سنوات، وكانت وفاته بعد اطلاق سراحه بسنة تقريبا، كان مولده في منطقة بين عين تموشنت ووهران. أنظر: (ملحق أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث - (مرجع سابق) - ص 333).

² - بلقاسم الحداد: من أولاد رحمون، وهم قبيلة من عمالة قسنطينة، له قصائد عديدة لا سيما في كلام الجد، لكن معظمها تلف قيل أن حياته امتدت في القرن الثاني عشر وأنه عمر مدة طويلة ومات مكفوف العينين. أنظر: (سونيك - الديوان المغربي في أقوال عرب افريقية والمغرب- (مصدر سابق)- ص 203)

³ - سونيك - الديوان المغربي في أقوال عرب افريقية والمغرب- (مصدر سابق)- ص 1

وَفَطَنَ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَظَهَرَ كُلَّ الصَّبَاحِ

يَا سَعْفِي وَالْفَجْرُ عَلَّمَ وَعَزَمَ الْمُرُوحُ

وهو نداء وجهه الشاعر إلى كل من يفهم خطابه ويسمع نداءه مذكرا إياه بوقت الرحيل (الموت) والعمل على الاستعداد له.

وهذا ما يدخل فيما يعرف بالشعر الوعظي، حاول الشاعر بأسلوب الناصح انطلاقا من عاطفته الدينية التأثير في السامع بالتركيز على أحب وقت إلى الله عز وجل وهو وقت الفجر والذي فيه تعرج الأرواح إلى خالقها وبارئها مؤثرة لقاء ربها عن ملذات الدنيا وفي مقدمتها النوم، بعد سماعها لصوت الأذان مناديا أن حي على الفلاح.

وليزكّر الشاعر بعظمة الخالق عز وجل والتي حق أن يسخر العبد كل حياته لعبادته سبحانه وتعالى، وابداء شكره على عديد نعمه التي لا تعد ولا تحصى، "وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها"⁽¹⁾، قام بوصف بدائع خلقه من اقبال صبح وإدبار ليل، ومن تغريد طير وشجر وزهر، وكأنه يقول للغافل ما بالك يا هذا تغفل عن ذكر الله والاقبال عليه وكل مخلوقاته تكبر وتسبح بحمده ليلا نهارا حيث يقول: ⁽²⁾

هَبْ النَّسِيمُ الصُّبْحُ ظَهَرَ وَالرُّوْضَ بَحْسَنَهُ مَشَهَرَ

وَالخَيْلِي وَالوَرْدُ الْأَحْمَرُ وَالنَّسْرِي يَا صَاخ

وَالسُّوسَانَ ابْيَضَ مَقْصَرَ وَالْقُلُ زَادَ اشْبَاخَ

وللتأكيد على فضل الصلاة على أشرف خلق الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) يقوم الشاعر بالدعوة إلى الإكثار من الصلاة والسلام على خير خلق الله والذي

¹- سورة النحل- الآية: 18

²- المصدر السابق - ص 02

بذكره تنال الشفاعة والريح والفلاح في الدارين، ذلك أن سر فلاح ونجاح العبد هو حبه للمصطفى الهادي (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول: (1)

يَا سَعْفِي وَالْفَجْرُ ظَاهِرٌ وَاصْغَى لِي كُلُّ حَاضِرٍ
كَثُرَ بِالصَّلَاةِ عَلَى الطَّاهِرِ تَعْنَمُ كُلُّ أَرْيَاحٍ
بَعَثَهُ إِلَهَ الْقَادِرِ جَا لِنَا نَاصِحُ

ليختم الشاعر قصيدته بالإشارة إلى نفسه بأنه هو ناظم هذه الأبيات وبأن اسمه مشهور عند العامة والخاصة دون فخر أو رياء، ويبلغ سلامه لجميع من استمع لنصحه وعمل به في قوله: (2)

اسْمِي مَشْهُورٌ بِالْحَضْرَا بَلْقَاسَمٍ مَنْ غَيْرِ فَخْرَا
نَنْشَى فِي الْأَلْفَاظِ فَخْرَا مِنْ شَدِّ الْأَجْرَاحِ
وَسَلَامِي لِي هُنَايَا وَلِجَمِيعِ الْفَصَاحِ

يَا سَعْفِي وَالْفَجْرُ عَلِمُ

والقصيدة الثانية هي رائعة من روائع الشعر الملحون، قصيدة عنقاء مطولة تحمل في ثناياها أجمل معاني الحب والاخلاص والتضحية، هذه المنظومة التي عنوانها "عزوني يا ملاح"، والتي قال عنها سونيك: " هي رثاء لمحمد بن قيطون بن سيدي خالد، وهو من الفصحاء المشهورين في وقتنا". (3)

1- المصدر السابق - ص 03

2- المصدر نفسه - ص 04

3- المصدر نفسه - ص 209

إذن القصيدة هي في الحقيقة قصة واقعية تحكي قصة حب جمعت بين شابين هما حيزية وسعيد⁽¹⁾، وقد تضاربت الآراء حول هذه القصة، فهناك رواية تقول: أن حيزية وابن عمها سعيد تحابا منذ الصغر إلا أن الأعراف والتقاليد وقفت في طريقهما وحالت دون زواجهما، وانتهت بموت الحبيبة قهرا على فراق حبيبها وهام هذا الأخير على وجهه ضائعا في الصحراء بعد موتها، أما الرواية الثانية فتقول: أن حيزية وابن عمها تحابا وتزوجها لكن الموت فرق بينهما بعد مرض حيزية مرضا خطيرا توفيت بعده مباشرة، وذهب سعيد بعد وفاتها إلى الشاعر الشعبي بن قيطون وطلب منه أن يرثي حبيبته في قصيدة فاستجاب الشاعر له ليريح نفسه.

وسواء كانت الرواية الأولى هي الأصح أم الثانية، فقد برع الشاعر بن قيطون في تأريخ أشهر قصة حب عفيف في تاريخ المجتمع الجزائري، واستطاع بشاعريته الفذة أن يخلد اسمه ضمن فطاحلة الشعر الشعبي الذين لا يشق لهم غبار.

ومطلع القصيدة يقول فيه الشاعر: ⁽²⁾

عَزُونِي يَا مَلَّاحَ فِي رَايسِ لَبْنَاتِ سَكَنْتَ تَحْتِ اللُّحُودِ نَارَ مَقْدِي
يَا خِي أَنَا ضَرِيرٌ بِيي مَا بِيي قَلْبِي سَافِرٌ مَعَ الضَّامِرِ حِيزِي

والملاحظ في قصيدة حيزية أن الشاعر بن قيطون قد اتبع أسلوب القصيدة العربية القديمة، وهو تقليد يتمسك به غالبية شعراء الملحون، وقد تناولت القصيدة أغراضا عدة كالفخر والفروسية مثلا، إلا أن موضوعها الرئيس هو الرثاء الذي افتتح به الشاعر

¹ - حيزية وسعيد: من قبيلة الزواودة، أحد بطون رياح من بني هلال، اشتهرت بكثرة شعرائها لذلك فهم يقدرون الشعر وفنونه ويعرفون قيمته وأثره في النفوس. أنظر: (ملحق رسالة دكتوراه في الأدب العربي الحديث - (مرجع سابق) - ص 346).

² - المصدر السابق- ص 82

قصيدته ثم ينتقل بعد ذلك إلى الغزل المشبوب بالحزن واللوعة، أين تذكر الشاعر أيام الحب والعشق التي جمعتها بمحبيبته وفي ذلك يقول: (1)

يَا حَسْرَاهُ عَلَى فَيْبِلٍ كُنَّا فِي تَأْوِيلٍ كِي نَوَّازِ الْعَطِيلِءِ شَاوِ النَّقْضِيِّ
مَا شَفْنَا مَنْ دَلَّالٌ كِي ظَلَّ الْخَيَالِ رَاحَتْ جَدِّي الْعَزَالِءِ بِالْجَهْدِ عَلِيِّ

ثم يسترسل في وصفها بأروع وأجمل الأوصاف التي خلدت جمالها على مر الأزمان حيث يقول: (2)

طَلَّقْتُ مَمْشُوطَ طَاحِ بَرَوَايِحِ كِي فَاحِ حَاجَبُ فُوقِ اللَّمَّاحِ نُونِينِ بَرِيِّ
خَذَّكَ وَرْدُ الصَّبَّاحِ وَقُرْنُفُلٍ وَضَاحِ الدَّمُ عَلَيْهِ سَاحِ مَثَلِ الضَّوَايِ

ثم يعود إلى رثاء حبيبته والبكاء على قبرها بعد أن واراها التراب فيقول: (3)

نَبْكِي بَكِّي الْفِرَاقِ كِبْكِي الْعُشَّاقِءِ زَادَتْ قَلْبِي حُرَاقُ حَوْضَتِ مَايِ
زَادَتْ قَلْبِي عَذَابِ مَصْبُوعَةً الْأَهْدَابِ سَكَنْتُ تَحْتَ الثَّرَابِ قُرَّةَ عَيْنِي

ليختم قصيدته باللجوء إلى الله سبحانه وتعالى ليغفر له ويلهمه الصبر على فراقها الذي أشعل النار في قلبه وروحه حيث يقول: (4)

هَذَا حُكْمِ الْإِلَهِ سَيِّدِي مُوَلِّضِي الْجَاهِ رَبِّي نَزَّلَ قُضَاهُ وَأَدَى حِيْزِي
صَبَّرْنِي يَا إِلَاهَ قَلْبِي مَا تَبَدَّاهِ حُبِّ الزَيْنَةِ آدَاهِ كِي صَدَّتْ هِي

1- المصدر السابق - ص 82

2- المصدر نفسه - ص 82

3- المصدر نفسه - ص 85

4- المصدر نفسه - ص 85

وقد ختم بن قيطون قصيدته بذكر تاريخ نظمه لها وهو 1295هـ 1878م أي بعد ثلاثة أيام من وفاتها وفي ذلك يقول: (1)

تَمَّتْ يَا سَامِعِينَ فِي الْأَلْفِ وَمِيتِينَ كَمَلْتُ تَسْعِينَ وَزَيْدًا خَمْسًا بَاقِي
 كَلِمَةً وَلَدُ الصَّغِيرِ فُلْنَاهَا تَفْكِيرُ شَهْدُ الْعَيْدِ الْكَبِيرِ فِي الْغَنَائِي
 فِي خَالِدِ بْنِ سَنَانَ بْنِ قِطُونِ فَلَانَ قَالَ عِ اللَّيِّ زَمَانَ شَفْنَاهَا حَيِي
 قَلْبِي سَافِرٌ مَعَ الضَّامِرِ حِيزِي

وبناء على هذه النماذج يتبين مدى تنوع مواضيع الشعر الشعبي، وقد اهتم المستشرقون بدراساتها فلم يقصروا بحثهم في الشعر السياسي فقط بل تعرضوا أيضا لشعر الغزل لما فيه من دلالة على عاطفة جياشة لدى رحالة الجنوب، خاصة وأن الصحراء ظلت محط أنظار الفرنسيين لمدة طويلة حتى تمكنوا من التوغل فيها، والتعرف على بيئتها وطبيعتها أقوامها.

¹ - المصدر السابق - ص 86

3- في مجال التراجم:

اهتم المستشرقون بالترجمة لكبار الكتاب والأدباء والشعراء والعلماء الجزائريين، رغبة منهم في معرفة مدى مكانة هؤلاء المفكرين وأصالة فكرهم، وهذه التراجم تنوعت بين عامة وخاصة، فالعامة نعني بها: "التأليف التي اشتملت على أكثر من ترجمة سواء كانت تتناول تراجم مدنية معينة أو ناحية أو عصر".⁽¹⁾

أما الخاصة فهي: "التي كتبها أصحابها هادفين الى ترجمة شخص بعينه كترجمة المقرئ لابن الخطيب".⁽²⁾

وسنبداً بعرض بعض النماذج التي قام المستشرقون بنشرها فيما يخص التراجم العامة:

- نشر السيد (قان) (GAIN) كتاب: (عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف^(*))

غريس^(**)،⁽³⁾ لمؤلفه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني.⁽⁴⁾

وهو كتاب في الأنساب ضم أشرف منطقة غريس في القرن الحادي عشر، وهي مسقط رأس الأمير المجاهد عبد القادر بن محي الدين، وأبو عمرو عثمان بن زيان المشهور بالصنهاجي.⁽⁵⁾

(1)- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج2 - (مرجع سابق) - ص 350

(2)- المرجع نفسه - ص 350

(*) - الأشرف: جمع مفردة شريف: يدل أصل الكلمة على الارتفاع والعلو أو تطلق على الشخص الذي له آباء متقدمون في الشرف، والأشرف هم رؤساء القبائل ذات الشأن والجاه وكان بيدهم تدبير شؤون القبيلة أو شؤون أهل المدينة. انظر: (الشريف كمال دحومان الحسن - أشرف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري - دار الخلدونية - الجزائر - ط1 - 1430 هـ - 2009 م - ص 39).

(**) - غريس: منطقة قرب معسكر.

(3)- قين - عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس - المجلة الإفريقية - الجزائر - عدد 35 - 1891 - ص (241-280)

(4)- عبد الله التوجيني: هو عبد الرحمان بن عبد الله التوجيني وكنيته أبو زيد، نشأ ديناً صالحاً، منشغلاً بما يعنيه، أخذ عن مجموعة من المشايخ منهم: محمد السنوسي، شرح الأجرمية وخرج الكافية وحواشيها. انظر: (عبد الله التوجيني - عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس - دار الخليل القاسمي - الجزائر - ص 30).

(5)- عثمان بن زيان: (ق 11 هـ - ق 16م) المشهور بالصنهاجي: نحوي عالم بالفقه، مات بقرية بن صنّاج، من آثاره كتاب في (النحو)، وكتاب في (التوحيد والفقه). انظر: (عادل نويهض - أعلام الجزائر - (مرجع سابق) - ص 196).

ووصفه أبو القاسم سعد الله بأنه من التآليف المختصرة في التراجم النثرية وبأنه يحتاج الى تعليق وتبسيط "من العنوان يتضح أن هذا العمل يتناول الأولياء والصلحاء والعلماء والأشراف في ناحية اغريس بالذات، وقد شعر مؤلفه أن عمله يحتاج الى تبسيط وبيان، فأشار على تلميذه محمد الجوزي الراشدي⁽¹⁾ شرحه فرحب بالفكرة وشرحه شرحا طويلا تجاوز الألف ورقة وسماه (فتح الرحمن في شرح عقد الجمان)⁽²⁾.

وهو كتاب قيم يجمع بين تراجم الأعلام ومرجع في تاريخ الجزائر، وقد قدمت دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع للطبعة التي حققها بالعبارات التالية "فسيرا منا على النهج الذي التزمناه من نشر تراثنا، نقدم لقرائنا الكرام رسالة لا تخلو من أهمية في بابها، ربما أفادت الطلبة الباحثين في تاريخ الجزائر، وربما أفادت كذلك أهالي منطقة معسكر، ومن جاورها تترجم باختصار لبعض أعلامها، وتبين أنساب بعضهم في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، وهي في البدء والختام دالة على وجود كتبه . وإن قلوا . لتاريخ وطننا في تلك الفترة من الحكم العثماني"⁽³⁾.

وقد أعيد شرحه وتبسيطه أيضا من طرف العلامة محمد بن أحمد أبو راس المعسكري⁽⁴⁾، وسماه (إيضاح الغميس وأنوار البرجيس بشرح عقد الجمان النفيس)، وعموما فإن هذا الكتاب قد ضم مجموعة من الفقهاء المتصوفين لذلك فهو يعد من تراجم المتصوفين.

(1) - محمد الجوزي الراشدي (لم نعثر له على ترجمة).

(2) - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج2 - (مرجع سابق) - ص 353

(3) - عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني - عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس - دار الخليل القاسمي - الجزائر - ط1 - 1425 هـ - ص 03

(4) - محمد بن أحمد أبو راس المعسكري: (1150 هـ . 1238 هـ/1737م . 1823م) ولد قرب مدينة معسكر حفظ القرآن الكريم واستوعب العلوم العربية الاسلامية على علماء وفقهاء عصره، تصدى للتدريس والافتاء زهاء 36 عاما بمعسكر خلف وراءه 136 مخطوطة بين قصيرة وطويلة. انظر: (يحيى بوعزيز - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة - دار العرب الاسلامي - بيروت - ط1 - 1995م - ج2 - ص 234)

- نشر (أدريان دلباش) (Aderien Delpech) ملخص كتاب: (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان)⁽¹⁾ لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني (وسياتي الحديث عنه لاحقاً)، ويعتبر من أهم المعاجم في التراجم ألف في بداية القرن الحادي عشر، وهو كتاب خاص بتراجم العلماء والفقهاء الذين عاشوا في تلمسان وقد: "ترجم البستان الى الفرنسية السيد فنزالي، وأخذ منه الأب بارجيس كثيرا في كتاباته عن تلمسان، ونشر نصه بالعربية محمد بن أبي شنب، الجزائر سنة (1908)".⁽²⁾

وقد لخص فيه المستشرق (أدريان دلباش) لبعض الأعلام الذين ذكرهم ابن مريم في كتابه البستان معتمدا على الترتيب الهجائي مبتدأ بسيدي البجوي،⁽³⁾ ومنتهيا بيحيى بن عبد الله محمد بن عبد العزيز.⁽⁴⁾

- نشر (شاربونو) ملخصا عن كتاب: (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)⁽⁵⁾ لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني.⁽⁶⁾

ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية للباحثين والدارسين، يترجم الحياة العلمية في القرن السابع الهجري في بجاية (بالمغرب الأوسط)، وهو سجل حافل بتراجم عشرات العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء وغيرهم ممن عرفتهم المدينة: "وهو كتاب مفيد في

(1)- أدريان دلباش - ملخص البستان قاموس موسوعي للأولية والعلماء بتلمسان - المجلة الافريقية - الجزائر - عدد

1884 - 1884 - ص 133

(2)- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج2 - (مرجع سابق) - ص 355

(3)- سيدي البجائي: هو من أكابر الاولياء، توفي بها عام 950 هـ. انظر: (ابن مريم - البستان في ذكر العلماء والاولياء بتلمسان- المطبعة الثعالبية- الجزائر - ط1-1908م - ص 102)

(4)- يحيى بن عبد الله محمد بن عبد العزيز: الفقيه الولي الصالح كان من قضاة العدل والدين والفضل والصلاح. انظر: (ابن مريم - البستان - (مصدر سابق) - ص 307).

(5)- شاربونو - - مقتطفات من كتاب عنوان الدراية في علماء بجاية- المجلة الآسيوية- عدد 7- 1856- ص 438

(6)- أبو العباس الغبريني: (644هـ-704هـ) ولد في بجاية حفظ القرآن الكريم، درس الفقه والحديث والأصول والتفسير، شغل وظيفة التدريس والقضاء. أنظر (أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني- عنوان الدراية في المائة السابعة ببجاية- تح: رابح بونار - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- ص12)

دراسة الآداب المغربية، إذ يزخر القرن السابع الهجري . الثالث عشر ميلادي بالعلماء الذين حفل بهم القرن، وكان الكتاب ضمن مصادر ابن خلدون في تاريخ البربر، اعتمد شاربونو على نسخة وحيدة، وقد أعطى فيه نبذة سريعة عن سير العلماء كالشيخ أبي مدين شعيب".⁽¹⁾

هذا وقد أولى المستشرقون الفرنسيون للتراجم الخاصة الاهتمام نفسه الذي خصوا به التراجم العامة، وركزوا بصورة خاصة على الشخصيات البارزة والمعروفة بين أبناء قومها والتي كان لها تأثير مميز على الأفراد ونذكر من بينها:

- ترجم (شاربونو) لمحمد السنوسي بقوله: "محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي من قبيلة بني السوس ويلقب أيضا بالحسني نسبة للحسن بن علي بن ابي طالب من جهة أم ابيه، وهو عالم تلمسان وصالحها وزاهدها وكبير علمائها، ولد (830) هـ، تلقى اول علمه عن والد ثم عن ابي نصر الزواوي والحسن "أبركان، وعلوم كثيرة عن شيوخ أجلاء، كان متواضعا، صبورا، كثير الصمت والحياء، والوقت الذي يقضيه بعيدا عن الصلاة والدراسة، كان يقضيه برفقة السلطان لحل قضايا ومشاكل الناس، له (38) مؤلفا مكتوبا منها: (المقرب المستوفي على الحوفي أو الحوفية ، العقيدة الكبرى ، العقيدة الصغرى (...)

عرف أيضا عن السنوسي الفتاوى و الأحكام الشرعية ورسائل و منشورات حول مواضيع مختلفة، توفي سنة (892) هـ.

مضيفا ذكر بعض العلوم وأسماء من أخذ عنهم منها: (شرح الصحيحين) أخذه عن الامام الثعالبي، وبعد أن علمه للسنونسي رخص له بتعليمه".⁽²⁾

(1) - أبو مدين شعيب: (594هـ-1198م) ابن الحسن الأندلسي التلمساني، أصله من الأندلس أقام بفاس وسكن بجاية توفي بتلمسان وهو من مشاهير الصوفية، له (مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب) أنظر: (الزركلي - الأعلام - مصدر سابق) - ص166

(2) - شاربونو - كتاب الجزائر في العصر الوسيط (مستندات تاريخية حول السنوسي - طبعه ومؤلفاته) - المجلة الافريقية- الجزائر- عدد 14- 1870- ص 72

ونلاحظ أن الاختلاف الوحيد الوارد بين ما ذكره شاربونو وترجمة عادل نويهض للسنوسي هو تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة. (1)

- ترجم (رينيه) لأحمد بن يوسف المريني الراشدي (2) ويذكر أنه: "ولد في قلعة بني راشد، وهي قرية صغيرة تقع بين معسكر وغيلزان، ضلت قصة شبابه مجهولة لدى المؤرخين وإن كانت قد حيكّت حوله الأساطير والحكايا ، ولقب مبكرا بالولي الصالح (مرابط)، سافر الى بلاد المشرق فرارا من حكم الزيانيين في تلمسان، وعرف بهجائه لحكمهم، فلقب بشاعر الهجاء في الجزائر، توفي (931 هـ)، وبعد مرور قرنين ونصف على وفاته قام باي وهران محمد الكبير ببناء ضريح له، كونه شيخ متصوف وصاحب كرامات". (3)

وربما كان الهدف من الترجمة لهذا العالم هو ذلك الغموض الذي صاحب حياته خاصة وأنه اعتبر شاعر هجاء وولي صالح في آن واحد.

- ترجم (شاربونو) لمحمد تنسي جاء في ترجمته: "محمد بن عبد الله بن عبد الجليل القصري المولود بتنس أو مؤرخ بني زيان من حفظة القرآن الكريم متقن لجميع فنون الأدب الإسلامي، درس وتعلم على أيدي مشاهير المشايخ والمعلمين مثل: ابن مرزوق، ابن النجار، ابن عباس التلمساني...، من أهم كتبه بدون منازع تحت عنوان (نظم الدر والعيقان في دولة بني زيان)، والثاني (راح الأرواح).

وأشار (شاربونو) الى بحث أو مقالة، أظهر فيها الكاتب براعة أو معرفة كبيرة وهو: "الجواب المطول عن مسألة اليهود التوات"، توفي هذا المؤرخ الفذ في شهر جمادى الثاني من عام (1894م)". (4)

(1) - أورد عادل نويهض في كتابه معجم أعلام الجزائر في ترجمته للسنوسي أن تاريخ مولده في سنة (832هـ/1428م) وأن تاريخ وفاته سنة: (895 هـ/1490م). انظر: (عادل نويهض - معجم أعلام الجزائر - (مرجع سابق) - ص 180)

(2) - أحمد بن يوسف المريني الراشدي (لم نعثر له على أي ترجمة في أي مصدر آخر).

(3) - رينيه باسيه - الاقوال الهجائية الساخرة لسيد أحمد بن يوسف - المجلة الاسيوية - باريس - عدد 08. 1890

- ص 205

(4) - شاربونو - الكتاب المسلمين الجزائريين (ملخص حول محمد التنسي) - (مصدر سابق) - ص 212

وقد حجب شاربونو تاريخ ميلاد المترجم له.

ومن أهم الأعمال التي ركز عليها (شاربونو) في ترجمته لمحمد التنسي، هو كتابه الذي يحمل عنوان: (نظم الدر والعيقان في دولة بني زيان) (Le collier des perles et d'or vierge on histoire de la famille des Beni Ziane)، وقد ذكر (شاربونو) أن التنسي قسمه إلى خمس أجزاء، ضم الجزء الأول سبعة أبواب أو فصول أهمها الباب السابع الذي أولى له المستشرقون عناية خاصة وهو يحمل عنوان: (بيان شرف بني زيان) (Histoir de la dynastie de Beni Ziane).

ويتبين لنا من خلاصة ما ذكرنا سواء عن التراجم العامة أو الخاصة، الجهد الذي بذله المستشرقون الفرنسيون في ترجمة بعض كتب التراجم التي خصت حواضر العلم والأدب في الجزائر كتلمسان وبجاية، ولعل سبب ذلك مرده كونها تعتبر موسوعات تضم أدق التفاصيل عن شخصيات أعلام عايشوا التطور الزمني لتاريخ الجزائر منذ القدم. فهي بذلك تؤرخ لأحداث عاصروها وقد ركزوا في التراجم الخاصة على من عرفوا بأنهم متصوفون أو أولياء صالحين من أصحاب الكرامات، لتسليط الضوء عن مدى صحة ما يقال عنهم أو بيان الحقيقة من الأسطورة فيما يخص أخبارهم، خاصة وأن بعضهم بني لهم ضريح يدل على مكانتهم عند قومهم.

4- في مجال الرحلات:

ركز الباحثون في تاريخ الجزائر جل اهتمامهم على دراسة كتب الرحلة التي ألفها أصحابها عن تجربة شخصية واقعية، حيث وجد فيها المستشرقون أرضية خصبة لإشباع فضولهم لما تحويه من حقائق تخص الأمة الجزائرية وحضارتها، ف: "لأدب الرحلات مكانة عالية بين التصانيف المختلفة، وذلك لما يحويه من فوائد يندر اجتماعها في موضع آخر، ولذلك تجد إقبالا من أهل الذوق والفنون، فلكتب الرحلات عناية بالشؤون الدينية والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية لقاطني الديار".⁽¹⁾ التي يمر بها الرحالة، وفيها أيضا إلمام بتاريخ المدن وأسمائها وأخبارها.

ولقد إهتم المستشرقون الفرنسيون بالرحلات التي دونها أعلام الجزائر بصفة مميزة، خاصة وأنها تعتبر دليلا ممتازا لتضاريس الجزائر وأقاليمها، وطبائع أفرادها، خاصة في الأماكن البعيدة التي صعب على فلول جيش الإستعمار الفرنسي بلوغها كأقاصي الصحراء الجزائرية: "وقد أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولاسيما خلال القرن 18، فكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج، وبذلك تكون رحلات حجازية، وبعضها نتيجة لطلب العلم وتكون بذلك رحلات علمية، ولكن الجزائريين بالقياس إلى كتاب الرحلات المغاربة، كانوا قليلي الإنتاج ولعل ذلك راجع إلى أن عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنيهم".⁽²⁾ وعلى الرغم من قلة إنتاجهم في هذا المجال -الرحلات- إلا أن تنوعه وغناه بما حواه من معلومات قيمة دفع الفرنسيون إلى اعتماده كخارطة طريق خدمة لأغراضهم التوسعية. ومن بين الرحلات التي استرعت اهتمام المستشرقين:

(1)- بتصرف/ احمد بن عبد المحسن العساف - رحلات الحج في كتب الادباء والعلماء والمستشرقين .

<http://www.albayan-magazine.com/files/alhaj/3.htm>

(2)- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج2 - (مرجع سابق) - ص381

- نشر (دافيزاك): (رحلة الحاج ابن الدين الاغواطي⁽¹⁾ الى الصحراء)⁽²⁾ وقد جمع فيها الكثير من الأخبار عن الصحراء وواحاتها وعادات سكانها، ومن خلال حديثه عن بعض أقطار الجزيرة العربية يتبين أنه حج فعلا: "كما أنه وصفه للدرعية عاصمة أول دولة سعودية وهابية، يدل على أنه لم يتوقف عند زيارة الحجاز، وقد ذهب إلى وصف أماكن من إفريقية- مثل شنقيط، وتمبكتو وغدامس... إلخ- لا نعرف بالضبط أنه زارها بنفسه رغم أن كلامه يوحي بذلك".⁽³⁾

وقد كتبها ابن الدين بطلب من القنصل الأمريكي بالجزائر حينها السيد (وليام هودوسون)، وقد استفاد منها الأوروبيون فهي بمثابة كشف لأغوار الصحراء .
و يجهل لحد الآن حقيقة ما إذا كان ما دونه ابن الدين عن هذه الرحلة هو ما نشره دافيزاك فقط أم أن ما كتبه لنفسه عن رحلته قد ظل مفقودا، وهذا ما رجحه عميد المؤرخين أبو القاسم سعد الله.

- نشر (بير بروجي) (رحلة العياشي)⁽⁴⁾ تحت عنوان: (voyage dél- Aiachidan le sud de l'Algérie) سنة (1846)⁽⁵⁾، قام أبو سالم العياشي بهذه الرحلة في القرن الحادي عشر للهجرة، وهي رحلة حجازية وجهتها كانت إلى الديار المقدسة، وقد رصد فيها هذا الفقيه العالم أخبار المدن التي مر بها في طريقه: "فقد عمد

(1)- الحاج ابن الدين الأغواطي: يبدو أنه لم يكن معروفا على مستوى الجزائر في وقته، ويؤكد بعض متقفي الأغواط أن عائلة ابن الدين مازالت موجودة وأنه كان معروفا في وقته، وأنه كتب عملا استحوذ عليه الفرنسيون، وعلى الخصوص شيخ بلدية مدينة الجزائر. أنظر: (أبو القاسم سعد الله - مجموع رحلات (رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين) -المعرفة الدولية - الجزائر -2011- ص 80).

(2)- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج2 - (مرجع سابق) - ص 386

(3)- ابو القاسم سعد الله - مجموع رحلات - رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين - (مرجع سابق) - ص 81

(4)- العياشي: (1037 هـ . 1090 هـ/1628 . 1679م) هو أبو سليم عبد الله بن أبي بكر العياشي المالكي، ولد بقبيلة آيت عياش، كان أبوه شيخ زاوية وهو الذي أشرف على دراسته، أكمل دراسته بفاس، أين توفي بسبب الطاعون، له كتاب: (الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية)، وكتاب (اقتفاء الآثار بعد ذهاب أهل الآثار). انظر: (البار عبد

القادر - الجزائر في رحلة أبي سالم العياشي - ص 3). Manifest.univ-ouargla.dz

(5)- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر - (مرجع سابق) - ص 17

أبو سالم العياشي بحرص الفقيه العالم، وبخصوصية عين الرحالة اليقظة إلى تسجيل وتدوين كل ما صادفه في طريقه أثناء رحلته الموسوعية من أفكار ومعتقدات وأعراف وعادات وطقوس وممارسات، تداخل في تكوينها الخرافي بالديني، وشارك في نشأتها الاجتماعي والاقتصادي، وتعاون على تشكيلها اليومي والمعيشي جنباً إلى جنب مع الثقافي والمكتسب".⁽¹⁾

وقد رصد الرحالة الفقيه في رحلته هذه بعض المظاهر المتعلقة بطقوس الشعوذة والخرافة، والتي لا تمت للدين الإسلامي بأي صلة والبعيدة كل البعد عن الغرض الحقيقي للزوايا، حيث أن الرحالة لم يغفل عن منح الحياة الدينية والعقائدية . في تلك الفترة من الزمن أي في القرن الحادي عشر، نصيباً وافراً من الاهتمام، خاصة وأن هذه الفترة قد عرفت وهنا في عصب الأمة الإسلامية، فانتشرت البدع وكثرت الزوايا والطرق الصوفية. وقد ركز العياشي في رحلته هذه على تسليط الضوء على ظروف الحياة المعاشة في كل المجتمعات التي زارها بنظرة الناقد الموضوعي حتى أنه رصد معاملاتهم التجارية وحركة أسواقهم.

مع الإشارة الى أن رحلته قد تناولت حياة الكثير من الأعلام من مختلف البلاد. ولذلك حُقَّ أن يقال في حقها أنها موسوعة جامعة شاملة، ولعل هذا ما جعل المستشرقين الفرنسيين يهتمون بنشرها لأنها تقدم تحليلاً مفصلاً للحياة العربية والإسلامية خاصة في الجانب الديني، الذي استنتجت من خلاله تشتت الأمة رغم توحيدها تحت لواء الدين الإسلامي بين طرق الطائفية ما سهل فيما بعد تقسيمها وتفتيتها إلى دويلات.

- نشر (فور بيقي): (كتاب فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته)⁽²⁾ لمحمد أبو راس، ويعد أبوراس أكثر الرحالة شهرة عرف بكثرة تجواله داخل البلاد وخارجها.

(1) - عبد الله بن محمد العياشي - الرحلة العياشية (1661 . 1663م) - تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي - دار

السويدي - أبو ظبي - ط 1 - 2006 - مج 1 - ص 14

2 - فوربيقي- فتح الاله و منته بفضل ربي و نعمته- المجلة الاسبوية - باريس- عدد 9- 1899- ص396

و كتابه هذا "نوع من السيرة الذاتية، تحدث فيه المؤلف عن أهله وبيئته وشيوخه وعلومه وأسفاره ومن لقيهم من علماء المغرب و المشرق، و ما سئل عنه من المسائل العلمية و إجابته على ذلك، و أخبر بذكر مؤلفاته في فرع من فروع المعرفة الشائعة في وقته" (1) ولعل تنقله و ترحاله في بلاد المغرب وتونس وفي مختلف أنحاء الجزائر، هو ما دفع هذا المستشرق للاهتمام بترجمة رحلته، ضف لذلك ما حوت هذه الرحلة من بعض النماذج العلمية (فقهية أو لغوية...)، وغيرها مما يميظ اللثام عن فكر ثلة من العلماء والفقهاء في زمن رحلة أبو راس، وإن كان هذا المحتوى لم يلب شغف المستشرق الفرنسي (فوربيقي) "حيث أنه قال أنها غير مهمة". (2)

ويشير أبو القاسم سعد الله إلى أن أبو راس الجزائري " كتب فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربّي ونعمته وخصص فيه فصلا عن رحلاته في المغرب والمشرق عرضت له هنا وهناك وبعض الأخبار عن العلماء". (3)

وهذا ما يدل على أن غاية المستشرقين الفرنسيين في ترجمة كتب الرحلة إنما كان البحث عن أهم ما يخدم أغراضهم التوسعية.

- نشر (أدولف فور) كتاب: (أنس الفقير و عز الحقيير)⁽⁴⁾ لأبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني⁽⁵⁾، وهي على خلاف غيرها من الرحلات لم تعن بوصف أقاليم أو مدائن ومجتمعات، ولكنها عنيت بوصف الحياة الصوفية في دول المغرب في القرن 08هـ، وهذا النوع من الرحلات يسمى بالرحلات الزيارية، وهي التي يعتمد صاحبها

1- محمد أبو راس الجزائري - فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربّي ونعمته - تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- ص07
2- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- ج2- (مرجع سابق)- ص393
3- المصدر نفسه - ص 393
4- أبو عباس أحمد بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني- أنس الفقير و عز الحقيير- تح: محمد الفاسي وأدولف فور - المركز الجامعي للبحث العلمي- الرباط - 1965م.
5- ابن قنفذ القسنطيني (740هـ-764هـ/1340م-1363م): هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني المشهور بابن قنفذ، عالم وقاضي صوفي، اشتهر بالرحلة في بلاد المغرب. أنظر: (عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر- (مرجع سابق)- ص 268)

في سفره على زيارة أضرحة الأنبياء و الأولياء، أو ملاقاتة الأحياء من الصالحين و المتعبدين".⁽¹⁾

وقد كان جوهر هذه الرحلة الحديث عن "أشهر أولياء المغرب سيدي أبي مدين الغوث"⁽²⁾، و أصحابه و تلاميذه".⁽³⁾

خصّها ابن قنفذ بذكر أضرحة الأولياء الصالحين، الذين قام بزيارتهم وهم أصحاب الكرامات كما عرف عنهم، مع ذكر من لقيهم من الزهاد والعباد المتصوفين. ويعكس اهتمام المستشرق أدولف فور بنشر هذا الكتاب، الذي يعد من أقدم الكتب المؤلفة في تاريخ الحركة الصوفية في المغرب، إلى مدى اهتمام الاستشراق الفرنسي بعقيدة أهل المغرب كونها المترجم الفعلي لقوتهم، وجعلهم أمة متماسكة تواقّة للحرية والعزة والسؤدد، ورافضة للاستعمار بكل أشكاله وألوانه وحتى حضارته المزيّفة القائمة على قتل الشعوب، وامتصاص إرادتها وتطلعاتها .

1 - ابن القنفذ القسنطيني- أنس الفقير و عز الحقيّر- (مرجع سابق)-ص01.
 2 أبو مدين الغوث: شعيب بن الحسن الأندلسي، إمام مشهور، وولي صالح زاهد فاضل عارف بالله، تخرج على يده كثير من الأولياء، أولي الكرامات. أنظر: (ابن مريم - البستان- (مصدر سابق)-ص108).
 3 ابن قنفذ القسنطيني- أنس الفقير و عز الحقيّر- (مرجع سابق) ص01

5- في مجال الدين:

تفطن الاستعمار الفرنسي منذ دخوله إلى الجزائر، إلى مدى قوة الصلة بين الفرد الجزائري والدين الإسلامي، حيث أن كينونة كل أمة ترتكز أساسا على سلامة عقيدتها.

فقد أولى المستشرقون الفرنسيون اهتماما بالغا بدين الشعب الجزائري- الإسلام - فصبّوا كامل جهدهم في التنقيب والتفتيش في مؤلفات العقيدة والفقهاء لكبار العلماء والفقهاء والمتصوفين الجزائريين، الذين كان لهم الدور البارز في الحفاظ على تعاليم هذا الدين عبر قرون من الزمن، ما ساهم في بقاء الفكر الجزائري متيقظا الى غاية دخول الإحتلال الفرنسي الى الجزائر سنة (1830) حيث: " كانت الجزائر قبل الإحتلال تعج بالمساجد التعليمية و المدارس والزوايا التي كان الطلاب يتلقون فيها التعليم، وكانت نسبة تعليم الأولاد سنة (1830) تبلغ وفقا لإحصاءات بعض المسؤولين الفرنسيين 20% من مجموع الأولاد الجزائريين، و هي نسة عالية إذا ما قورنت بالمجتمعات المتقدمة يومذاك، وقد كان في العاصمة وحدها (12) مدرسة ثانوية، وعدد الزوايا التعليمية (349) زاوية، اما الإنفاق على التعليم الإسلامي فكان أساسا من دخل الأوقاف (الحبوس)".¹

لم يبق منها سنة (1862): " إلا (67) مؤسسة ثلثها معطل لا دور له"² وهذا ما يدل على أن الإحتلال الفرنسي منذ دخوله الجزائر وهو يشدد في إلغاء كل إنتماء حضاري لهذا الشعب سواء للغته العربية أو لدينه الإسلامي.

وقد أبدى المستشرقون الفرنسيون اهتمامهم بمعرفة كنه هذا الدين من خلال نشر بعض كتب الدين التي ألفها أصحابها في أطوار مختلفة من التاريخ نذكر منها:

- نشر (لوسيانى): (شرح عقائد السنوسي)³ والتي اصطلح عليها فيما بعد بالعقيدة

الكبرى، والعقيدة الوسطى، والعقيدة الصغرى، وسماها (المقدمات) وذلك سنة (1908)

¹ صالح عوض - معركة الاسلام والصليبية في الجزائر - الزيتونة للإعلام والنشر - ص 212

² رمضان حينوني - واقع الثقافة في ظل الإحتلال الفرنسي في الجزائر - www.myportail.com/actualites-nes-web-2-0.php?id=3089

³ لوسيانى - السنوسية - المجلة الإفريقية - الجزائر - عدد 42 - 1898 - ص 376

و قد أشار أبو القاسم سعد الله أن عقائد السنوسي كانت مسيطرة على الدارسين لهذا العلم سواء داخل الجزائر أو خارجها، فتجاوزت بذلك الأقطار العربية و الإسلامية.

واعتبر سعد الله أن أهم عقائد السنوسي هي العقيدة الصغرى: "لوضوحها و اختصارها و هي المعروفة (بأم البراهين)" (1)

وقد قام بشرح عقيدة السنوسي الكثيرون، من بينهم الورتلاني (2) الذي قام "بشرح وتحشية عمل السنوسي" (3)

وتعتبر العقيدة السنوسية رسالة صغيرة الحجم، تتضمن أهم مبادئ العقيدة التي تخص إثبات صفات الألوهية، و لهذا عدت من أحسن المؤلفات في التوحيد.

- نشر (لوسيانى) أيضا كتاب: (الدرة البيضاء في الفرائض) لعبد الرحمن الأخضرى (4) وهو كتاب عني بالفرائض و المواريث و تقسيم التركات.

و هذا ما يدل على اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالتعرف على الدين الإسلامي لمحاربتة، ذلك أنهم ترجموا حتى الكتب المتعلقة بالحقوق والواجبات، خاصة وأن أداء الأمانات وحفظها من أقدس الواجبات التي حرص الإسلام على العناية بها.

- نشر (هنري بيرس) الفصل الذي سماه الونشريسي (5): (المستحسن من البدع) في كتاب: (المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب) (6).

¹ أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي-ج2- (مرجع سابق)-ص93
² الورتلاني: هو الحسن بن محمد السعيد الورتلاني رحالة، مؤرخ، فقيه، مال إلى التصوف، ولد ونشأ في قبيلة بني ورتيلان (قرب بجاية)، له "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ويعرف بالرحلة الورتيلانية. أنظر: (عادل نويهض-معجم أعلام الجزائر - (مرجع سابق) - ص 340).

³ المرجع نفسه- ص97
⁴ عبد الرحمن الأخضرى (920 هـ - 982 هـ / 1514 - 1575م): هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضرى الجزائري ولد قرب بسكرة وهو عالم زاهد، تولى التعليم منذ ربيع عمره الثاني وكانت مؤلفاته تدرس في جامع الزيتونة ومازالت مشهورة بين طلبة العلم، وخصوصا المغاربة والافارقة، له كتب (السلم في المنطق)، وكتاب (منظومة في الفلك تسمى السراج). انظر: (عمار المختار بن ناصر الاخضري - الضياء على الدرّة البيضاء في الفرائض - مطابع الرشيد - المدينة المنورة - ط 2 - 1990 - ج 1 - ص 05).

⁵ الونشريسي(834-914/1430م-1509م): هو أحمد بن يحيى بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، التلمساني أبو العباس، فقيه كبير حامل لواء المذهب المالكي، أقام بفاس فكان عالمها و مدرستها و مفتيها، له كتاب (نوازل المعيار) وكتاب (الفروق) في مسائل الفقه. أنظر: (عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر- (مرجع سابق)-ص343)

⁶ أبو القاسم سعد الله-تاريخ الجزائر الثقافي-ج1- (مرجع سابق)-ص125

وهو كتاب قيّم ونفيس جمع جملة من فتاوى و اجتهادات فقهاء الأندلس و المغرب العربي، فهو "عبارة عن التجارب المعاشة الموثقة و ليس دراسة نظرية أو افتراضية لمسائل فقهية"¹

ومع أن الكتاب ضمّ مجموعة من الإجابات المتعلقة بأداء العبادة والفرائض، والتي مكنت الناس من إيجاد الحلول الملائمة لما استشكلوه من أمور دينهم و دنياهم، إلا أن المستشرق الفرنسي هينري بيرس لم يولي اهتمامه إلا بالفصل المسمى:(المستحسن من البدع) نشره في الجزائر سنة (1946م).

ما يدل على أن اهتمام المستشرقين الفرنسيين كان منصبا حول معرفة الفجوات البينة في دين الشعب الجزائري، ليسهل عليهم التشويش عليه حسب اعتقادهم.

فالبدع هي ما دفعت المستشرقين في البحث فيما أسموه: (الإسلام الجزائري) وهو مصطلح أوجده الحركة الاستشراقية الفرنسية، وتعني به «الإسلام» كما يمارسه الجزائريون الذين يتهمونهم بعدم اعتناقه عن وعي وعدم ممارسته عن فهم ودراية، وإنما هو عندهم نوع من التقاليد الموروثة والفولكلور الذي يظهر في المناسبات، وقد أصدروا كتبا كثيرة في هذا الشأن منها كتاب (دوتي):(الإسلام الجزائري)، وكتاب: (قديسو الإسلام الجزائري) لـ (تروملي).²

وقد رصد المستشرقون كل ما يخرج عن نطاق القرآن و السنة وعدوه من البدع التي حادت بالشعب الجزائري عن منهج الدين الإسلامي القويم وقصدوا بها "الممارسات الدينية والشعائر الإسلامية، كما أصبحت عليه بعد70سنة من الإحتلال، وهي ممارسات بعيدة كل البعد عن روح الاسلام وتعاليمه، فهي تعني التخلف العقلي والتزمت وضعف الأفق و الشعوذة، وهي السحر والدجل والتخريف والزرذات والوعادات والذبائح عند قبور الأولياء

¹المرجع السابق- ص126

² ابراهيم لونيس- بحوث في التاريخ الاجتماعي و الثقافي للجزائر ابان الاحتلال الفرنسي- (مرجع سابق)- ص183

والصالحين، وهي عقائد النفع و الضر في مشايخ الطرق الصوفية وفي الأحجار والأشجار والآثار، هذا هو الإسلام الجزائري في نظر الفرنسيين ومستشرقهم¹.
هو الإسلام الذي أرادت له الإدارة الفرنسية أن يحيا، بعد أن قضت على كل مظاهر الحضارة التي كانت تميز الدولة الجزائرية من دور علم ومساجد وكتاتيب، حيث أصبحت جميعها ممتلكات تابعة للدولة الفرنسية فقد عمدت منذ دخولها الجزائر إلى "تحويل المساجد الى كنائس و إلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية وإفساح المجال للمبشرين لإرجاع هذا الشعب إلى حضيرة الدين المسيحي في زعمهم"².
وساهمت بثنى الطرق في ظهور ما لا يمت للدين الإسلامي بصلة، خاصة وأنها كانت المشرفة على تعيين رجال الدين العاملين بصفة رسمية في المؤسسات الدينية، وهذا ما أشار اليه السيد (برك) في قوله: «لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الإسلامي إلى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلا من الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلا إذا ما أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصا منقطع النظير»³.

ولعل أشدّ الضربات قسوة هي تلك التي وجهت الدينية في الجزائر، هو كون أن من يسعى لتدميرها يشرف عليها، خاصة وأنها ساعدت للحياة في ظهور البدع وطرق الشعوذة و الدجل وحادت بالزوايا عن مسارها المعهود قبل الاحتلال، وهو تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتعليم: "ففي المدن والأرياف عاش معظم المتصوفة يلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد بعيدا عن صخب الحياة، مؤثرين العزلة والعبادة، يعملون على تعليم العامة والمريدين مبادئ الدين، فان اشتهر أحدهم أسس له مركز لاستقبال الزوار وتعليم الطلبة ويقوم الناس بالتبرع لهذا المركز، فيصبح المكان يعرف بالزواوية والمتصوف يعرف بالمرابط، وهكذا يصبح لكل مدينة زواياها ومرابطيها الذين يحرصون على حمايتها من

¹ أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي-ج6- (مرجع سابق)-ص52

² - شاولس حباسي- من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962 دار هومة- الجزائر- ص13

³ - توفيق المدني- هذه هي الجزائر- (مرجع سابق)-ص148

النكبات الطبيعية ومن طمع الطامعين¹ إلى إقامة الزردات وتقديم الذبائح وغيرها من الطقوس الغربية عن الأمة الجزائرية المسلمة، وهذا ما يفسر اهتمام المستشرقين الفرنسيين بحياة الأولياء والدرابوش فقد: "نشر (ألكسندر جولي) عدة دراسات عن (الأولياء و أساطير الاسلام)، في المجلة الإفريقية ومجلة العالم الإسلامي، وكان مهتما بالدرابوش الذين يسميهم أولياء طبقا لعقائد العامة".²

وبهذا عملت الإدارة الفرنسية بكل ما أوتيت من جهد على محاربة الإسلام باعتباره نور العقل، ونشر الأمية والجهل وفتح الطريق لنشر دينها المسيحي لتضمن التبعية الأبدية للأمة الجزائرية معتنقين في ذلك فكرة: "أن الدين المسيحي ضروري لتحقيق أغراض الفرنسيين بالجزائر، وأن فرنسا ستبقى أطول في المكان الذي تغرس فيه صليباً من المكان الذي ترفع فيه علما فقط".³

¹ - بتصرف/أبو قاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي-ج1- (مرجع سابق)- ص263

² - أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي-ج6- (مرجع سابق)- ص52

³ - شاوش حباسي- من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر - (مرجع سابق)- ص22

6- في مجال التاريخ:

من البديهي أن يسترعي تاريخ الدول المستعمرة اهتمام الدولة المستعمرة، لأنها بذلك تمهد الطريق لاحتلال تلك الأقاليم في أقصر فترة ممكنة، من خلال التعرف على بيئة تلك الدول جغرافيا واجتماعيا وسياسيا ودينيا واقتصاديا...

غير أن المستشرقين يعزون لأنفسهم الفضل في دراسة تاريخ الأمة العربية والإسلامية، بغض النظر عن غايتهم التوسيعية.

وقد أكد الفيلسوف الفرنسي (كلود كاهين): "أن الاستشراق هو الذي أخذ المبادرة في العصور الحديثة لدراسة تاريخهم الخاص- أي العرب والمسلمين- وأنه لولاه لكانوا عاجزين على أن يقولوا عن ماضيهم نصف ما يستطيعون قوله اليوم بطريقتهم الخاصة"¹. ولقد اهتم الاستشراق الفرنسي بنشر وترجمة كتب التاريخ التي برع مؤرخو الجزائر في تأليفها عبر قرون من الزمن، ولعل من أبرزها:

- نشر (ألفرد بال) كتاب: (بغية الرواد) لمؤلفه زكريا بن يحيى، وهو كتاب قيم يخص تاريخ دولة بني عبد الواد^(*)، ويصف الأحداث المتعلقة بهذه السلالة "ويرجع الى المستشرق (ألفرد بال) فضل تعريف كتاب: (بغية الرواد) الى المؤرخين وجمهور المثقفين، الذين وجدوا فيه فوائد عديدة، من حيث مضمونه التاريخي، وكذلك من حيث الاطلاع على الحياة الفكرية في المغرب في القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي وخصوصا في المجال الأدبي"².

وقد فصل هذا الكتاب في مراحل جد مهمة من تاريخ الجزائر خاصة في منطقة تلمسان التي عرفت منذ القدم بأنها حاضرة العلم و الأدب، ويقول فيها ابن خلدون: "مدينة عريقة في التمدن، لذيدة الهواء، عذبة الماء، كريمة المنبت... وبها للملوك قصور زاهرة اشتملت

¹ - مولود عويمر-مقاربات في الاستشراق والاستغراب- (مرجع سابق)- ص15
^(*) - بنوا عبد الواد: هم فرع من الفروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة الكبيرة، استقروا منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية للجزائر. انظر (زكريا بن يحيى بن خلدون- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تح: عبد الحميد حاجيات - وزارة الثقافة-الجزائر-2007م- ص 72).

² - زكريا بن يحيى بن خلدون - بغية الرواد- (مرجع سابق)- ص67

على المصانع القائمة والصروح الشاهقة والبساتين الرائفة مما زخرت عروشه ونمقت غروسه".¹

-نشر القسيس (بارجيس) مقتطف من كتاب: (نظم الدر والعيقان في شرف بني زيان)، للشيخ عبد الله بن عبد الجليل التنسي، تحت عنوان: (تاريخ بني زيان ملوك تلمسان)، وهو القسم التاريخي لهذا الكتاب، و قد تضمن أهم الأحداث والشخصيات التي عرفتها الدولة الزيانية، ويعتبر: "المصدر الوحيد لتاريخ دولة بني زيان في فترة تزيد عن 70 سنة"²

وتعد فترة حكم دولة بني زيان أو (بني عبد الواد) من أهم الفترات التاريخية المشرقة في مسار الأمة الجزائرية، وذلك للتطور والازدهار الذي عرفته تلمسان في عهدهم فقد اشتهرت: "بكونها الحضارة السياسية والثقافية والعلمية، واستوطنها كثير من العلماء والأدباء، وازدهرت فيها الثقافة والحرف والصناعة والفنون، وبلغت درجة كبيرة من التطور الفكري والاقتصادي بواتها أن تحتل مكانة الصدارة منافسة بذلك أكبر المراكز الفكرية والعلمية بالمغرب الاسلامي مثل القيروان وفاس وقرطبة".³

وقد ساهم حكامها الذين تميزوا بتنافسهم الشديد للحفاظ على ما بلغته دولتهم من الرقي والاستقرار في دفع عجلة التحضر، من خلال دعمهم للحركة العلمية عن طريق بناء المدارس، وتشبيد المساجد وإنشاء المكتبات العامة، فقد نشطت في هذه الفترة حركة التأليف والنسخ، وكان لا بد من إيجاد مكتبات تحوي هذا الإنتاج ليستفيد منه طلبة العلم، وكان لهم دور كبير في الإنفاق على دور العلم، وتحفيز نشاط العلماء، والعناية بجهد المتعلمين.

¹ زكريا بن يحيى بن خلدون-بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - بير فنتانة- الجزائر-1903 - ص09
² محمد بن عبد الله التنسي-تاريخ بني زيان ملوك تلمسان-مقتطفات نظم الدر والعيقان في بيان شرف بني زيان-تح محمود آغا بوعياذ-موقف للنشر-الجزائر-2011م-ص53
³ صالح بن قربة - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر- المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954- الجزائر-2007م-ص135

ولهذا تميزت فترة حكم بني زيان بإنتاج علمي وفير إذ: "يعتبر إنتاج القرن التاسع من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي، ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين أو العلماء والمؤلفات".¹

ولعل خصوصية هذه الفترة وتميزها من ناحية التطور العلمي والأدبي هو ما دفع القس (بارجيس) للعناية بهذا المؤلف ونشره وترجمته.

-نشر (فور ببيقي) كتاب: (الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية)، للشيخ محمد أبو راس، أو هي: (الحلل السندسية فيها جرى بالعدوة الأندلسية).²

وهي عبارة عن نظم يتكون من (181) بيت ووصفها أبو القاسم سعد الله بأنها: "قصيدة غريبة الشكل، أجرت جواربها بريح البلاغة في بحر بسيط".³

وقد تضمن هذا الكتاب رؤية واضحة لتاريخ بلاد الأندلس وعلاقتها ببلاد المغرب: "حيث كان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق والأندلس ويتبادلون معهم الكتب والمصنفات وشتى ألوان المعارف و يتدارسونها، فكانت الحركة مستمرة بين فاس وتلمسان وتونس وغرناطة والشام ومصر والعراق والحجاز للاستزادة من العلوم والإجازة والتعمق أكثر في دراسة الفقه وأصوله وسائر العلوم".⁴

مع عرض للفترة التي انتصر فيها مسلمو الجزائر على فلول الإسبان وتحرير وهران من أسرها.

-نشر (فيرو): (كتاب العدواني)⁵ لمؤلفه الشيخ محمد بن عمر القسنطيني العدواني.⁶

1- أبو قاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي-ج1- (مرجع سابق)- ص39
 2- محمد أبو راس الناصري- الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية- تح: فورببيقي- بيرفونتانة- الجزائر- 1903- ص70
 3- أبو قاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي-ج2- (مرجع سابق)- ص331
 4-رشيد الزواوي-التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الاسلامي-مجلة الحضارة الاسلامية -عدد01-1993- ص324
 5- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي-ج2- (مرجع سابق)- ص332
 6- محمد بن محمد بن عمر القسنطيني العدواني (لم نعثر له على ترجمة).

وهو كتاب خاص بالتاريخ المحلي، يضم أخبار الحياة الدينية والاجتماعية في القرنين التاسع والعاشر.

ويري السيد (فيرو) أنه: "كتاب يتناول تاريخ سوف وصحراء قسنطينة وغرب تونس وطرابلس، وقد قال عنه: أن العدوانى كتبه بأسلوب خيالى وبسيط يكاد يكون شعبيا، وهو يؤرخ ويذكر التقاليد الشعبية للسكان والحوادث التى كان شاهد عيان عليها، أو التى جمعها من أفواه الناس".¹

هذا ما يؤكد فكرة اهتمام المستشرقين الفرنسيين، بكل ما يخص بيئة المجتمع سواء أكانت هذه المرأة التى تعكس واقع تفكيرهم حقيقة أم من وحي الخيال، فالأولى تجسد واقعا مؤرخا، والثانية تطبع واقع الأسطورة والخرافة الذى كان متفشيا فى المجتمع الجزائرى إلى حد كبير.

- نشر (فيرو) أيضا كتاب: (الأخبار فيما مر على بجاية)² لابراهيم المرينى البجائى.³ ويعتبر كتابا نفيسا وقيما لما يحويه من أخبار مدينة بجاية التى كانت تعتبر الى جوار تلمسان حاضرة للعلم والعلماء فى العهد الإسلامى و التواجد العثمانى فقد: "تناول فيه المرينى تاريخ بجاية فى العهد الإسلامى و الإسبانى، و استلاء العثمانيين عليها فى عهد صالح رابى باشا سنة(992م)، ووصفا لأحوالها الاجتماعية والسياسية، وكذلك أحوال قسنطينة وما حولها".⁴

وقد تعرض فيه للأهوال التى واجهتها بجاية، حيث أنها تعرضت لمحاولة تدمير شامل لكل معالم وآثار الحضارة الإسلامية من قبل الإسبان، حيث أنها عرفت فى عهد بنى مرين نفس التطور الذى عرفته تلمسان فى عهد بنى زيان، الذى تلاشى على أيدي المرينيين الذى كان لهم دور كبير فى ازدهار المغرب الأوسط فى فترة من الزمن، و:"مما

¹ - المرجع السابق- ص332

² - فيرو - غزو بجاية من طرف الإسبان - المجلة الإفريقية - الجزائر- عدد 12 - 1868 - ص 245

³ - ابراهيم المرينى البجائى (لم نعثر له عن ترجمة).

⁴ - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافى-ج2- (مرجع سابق)- ص334

لاشك فيه أن تلك النصوص المنقوشة التي تزخر بها مساجد و مدارس بني مرين بالمغرب الأوسط وتحديدا بمدينة تلمسان الزيانية، إنما تعبر قبل كل شيء عن تدين مؤسسيها و تمسكهم بالدين الاسلامي الحنيف، وتعظيم العلم وأهله و إبراز أهمية هذه المؤسسات في التعليم وتكوين الأطر الدينية، ونشر العلم والثقافة الإسلامية تدريسا وتفسيرا ودراسة وتأليفا، كما يمكن النظر اليها أيضا من زاوية اعلامية ودعائية على اعتبار أنها تمثل شكلا من أشكال الدعاية لحكمهم، حتى يصفوا عليه صبغة شرعية تتال رضا الناس".¹

وعلى هذا يكون الاستشراق الفرنسي قد تعرض بالتحليل لحضارتين عرفت فيهما الأمة الجزائرية تطورا وازدهارا كبيرا.

-نشر (أورنو) كتاب: (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار)² للشيخ أبو راس الناصري الجزائري، وهو كتاب تاريخي قيم، تناول فيه أبو راس التعريف بقيمة التاريخ و أبرز مدونيه عبر سنين خلت، ويصف فيه النوائب التي تداولت على مدينة وهران، وكفاح باياتها المستميت ضد جحافل الإسبان.

خاصا بمدح باي وهران محمد الكبير الذي كان له فضل كبير في إحرار النصر على الإسبان وفتح وهران: "غير أنه تناول فيه أيضا أخبار بلاد السودان وعادات الطوارق والصحراء والتجارة بين المنطقتين، وتحدث عن ملوك الثعالبة، وتاريخ تلمسان، وكان قد أورد في هذا الجزء أيضا بعض أخباره الخاصة في الحج".³

هذا وقد ضمن كتابه هذا بعض القصائد التي عبّرت عن فرحة الأدباء و الشعراء في ذلك العصر بانتصار الاسلام والمسلمين.

وهو بذلك كتاب جد مهم لكل باحث في تاريخ العرب والمسلمين جملة، لا تاريخ الجزائر فقط.

¹- صالح بن قربة وآخرون - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر- (مرجع سابق)- ص172

²- أورنو- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار- المجلة الإفريقية- الجزائر- عدد 22- 1878- ص434

³- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي- ج2- (مرجع سابق)- ص345

وأيا كانت غاية المستشرقين الفرنسيين من ترجمة هذه الكتب ونشرها فالمؤكد أنهم استغلوا خدمة لأغراضهم لا أكثر، فقد: "تبني هؤلاء المؤرخون الفرنسيون نظرية غير صحيحة هي أن الجزائر محل عبور مرت عليها عدة حضارات ولم تستقر فيها، وذلك لتبرير وجود الإستعمار الفرنسي في بلادنا".¹

¹- ابن قربة و آخرون- تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من حلال المصادر- (مرجع سابق)- ص307

7- مجالات أخرى:

لم يكتف المستشرقون الغربيون بما بذلوه من جهد في التعرف على تراث الأمة الجزائرية من خلال ما درسوه ونشروه من كتب في شتى المجالات السابقة الذكر، بل توسع مجال بحثهم إلى ميادين أخرى متنوعة تلامس جميعها عمق المجتمع الجزائري، وعليه فقد طالت بحوثهم وقراءتهم للتراث أدق التفاصيل المتعلقة بتاريخ الجزائر، فاهتموا بالعمران كالمساجد والأبنية الأثرية والقصور، وتناولوا بالتحليل العادات والتقاليد والأمثال المتداولة بين الأفراد.

أ- في مجال العمران: بعد دخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر، عمّت المدينة فوضى عارمة وبعد أن تم لهم احتلالها احتلالا كاملا: "علّقوا اللافتات في كل مكان وكتبوا عليها بأنهم لن يعتدوا على حرمة الجوامع والأماكن المقدسة"⁽¹⁾.

غير أن الحكومة الفرنسية لم تتأخر في نكث عهدها بعدما اطلعت عليه من جمال الهندسة العربية الإسلامية فأعجبت بزخرف المساجد ما دفعها إلى الاستيلاء عليها وتحويلها إلى كنائس فقد: "كان بمدينة الجزائر وحدها قبل الاحتلال (112) مسجدا لم يبق منها إلا (05) فقط، أما الباقي فقد هدم تهديما، وحول اثنان من أكبرها إلى كنائس مسيحية منها مسجد كتشاوة الذي أصبح كاتدرائية، ومسجد علي بن بشي الذي أصبح "قدسية الانتصار" "⁽²⁾.

وقد كانت المساجد محط أنظار الإدارة الفرنسية منذ دخولها الجزائر، لأنها اطلعت على الدور الذي كان يمثله المسجد في حياة الجزائريين، فقد كان: "ملتقى العباد، ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في

¹ - عزيز سامح التر - الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية - تر: محمود علي عامر - دار النهضة العربية - بيروت - ط1-1989م - ص 652

² - توفيق المدني - هذه هي الجزائر- (مرجع سابق) - ص 140

المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب، وكان المسجد أيضا هو الرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي، لأنهم يشتركون جميعا في بنائه، كما كانوا جميعا يشتركون في أداء الوظيفة فيه".⁽¹⁾

ولهذا اهتم المستشرقون الفرنسيون بدراسة تاريخ المساجد في الجزائر ورصدها حيث:
- نشر (ديفوكس) دراسة عن: (المباني الدينية) في الجزائر العاصمة سابقا،⁽²⁾ أقر فيها أن الجزائر العاصمة كانت تزخر بعدد هائل من المساجد، حيث بلغ عددها عند الإحتلال (92) مسجدا مالكيا و(14) مسجدا دون حساب الزوايا.
- نشر (فيرو) دراسة عن: (محافظة قسنطينة، المؤسسات الدينية قديما)⁽³⁾، ويؤكد في دراسته هذه أن قسنطينة كانت تحوي عددا لا بأس به من المساجد بلغ عددها (71) مسجدا.

وقد سبق وأن نشر (فيرو) دراسة عنونها: (ملاحظات عن بجاية الأسطورة والتقاليد)⁽⁴⁾، أكد فيها أن بجاية قد اشتهرت بالمساجد القديمة.
ويتبين من خلال هذه النماذج مدى ولع المستشرقين الفرنسيين بالتعرف على كل ما يخص التراث الجزائري، وخاصة ما يتعلق منه بالعقيدة الإسلامية، حتى لو كان عبارة عن منشآت وأبنية.

هذا وقد اهتم المستشرقون بالآثار التي خلفتها الحضارات القديمة، خاصة وأن الجزائر كانت محطة للعديد منها، ولعل أهمها الحضارة الرومانية والنوميديية حيث:
- نشر (دوسلان) نص رسالة إلى السيد رينود في المجلة الآسيوية⁽⁵⁾ يؤكد فيها شغفهم برصد كل ما يتعلق بماضي الحضارات التي حطت رحالها بأرض الجزائر، فيقول:
"التحقت بمعسكر بانتة بغرض الاطلاع على خرائب وأطلال «لامبيزا» (Lambaiza)

(1)- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 1- (مرجع سابق) - ص 246

(2)- ديفوكس - المباني الدينية في الجزائر العاصمة سابقا - المجلة الإفريقية- الجزائر - عدد 6 - 1862 - ص 372

(3)- فيرو - محافظة قسنطينة المؤسسات الدينية قديما - المجلة الإفريقية- الجزائر - عدد 12 - 1968 - ص 121

(4)- فيرو - ملاحظات عن بجاية (الأسطورة والتقاليد) - المجلة الإفريقية - الجزائر - عدد 03 - 1858 - ص 45

(5)- البارون دوسلان - رسالة إلى السيد رينود - المجلة الآسيوية - باريس - عدد 04 - 1845 - ص 163

عن النقوش والنصب، وكذلك نقل النقوش النوميديّة التي ادعى اكتشافها وقتذاك عن النصب المسمى من الأوروبيين بقبر ملوك النوميديين . لعل ماسينييسا هو المقصود هنا(؟) والمسمى من الأهالي «مدغاسن»، الشخص الذي يعده ابن خلدون ضمن أعرق أسلاف البربر، إن التصميم إغريقي، بني بحجارة ضخمة وهو يعادل نصب «قبر الرومية» الواقع بين الجزائر العاصمة وشرشال، بيد أن خرائب لامبيزا من شأنها أن تشغل هاويا ستة أشهر كاملة".(1)

ب- في مجال الأمثال:

تعد الأمثال الشعبية خلاصة تجارب أمة بعينها دون غيرها، فهي: "إحدى الخصوصيات الثقافية التي يتسم بها شعب من الشعوب".(2)

وقد اعتنى المستشرقون الفرنسيون بدراسة ونشر الأمثال الشعبية، لأنها صورة ناطقة عن عمق هذا المجتمع عبر التاريخ، حيث يمكن أن تكون الأمثال الشعبية: "واحدة من المصادر التي يمكن من خلالها التعرف على عادات الناس وأسلوب حياتهم، فهي المرآة التي تعكس واقع الناس وأسلوب حياتهم كما هي بلا أي زخرف".(3)

ولهذا السبب اهتم المستشرقون الفرنسيون بالبحث في أطراف الجزائر قاطبة عن أبرز ما يتداوله العامة على ألسنتهم من أمثال حيث:

-نشر (رينيه باسيه): (الأمثال في مقاطعة وهران) (4) ، وهي عبارة عن مجموعة من الأمثال الشعبية التي سرت على أفواه الناس في منطقة وهران وضواحيها، جمعها سيدي أحمد بن يوسف وتخص مناطق من الغرب (معسكر ، مستغانم، تلمسان....)، مع أنه ذكر أيضا مجموعة أمثال أخرى من مناطق مختلفة منها: (العاصمة، قسنطينة، البليدة، المدية، بوسعادة، الصحراء...)، والمتفحص لهذه الأمثال يدرك أنها تصور المجتمع

(1) - محمد العربي معريش - الإستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق - (مرجع سابق) - ص 474

(2) - غادة محمد سعيد - الأمثال الشعبية - ص 01 - www.kotobarabia.com

(3) - المرجع نفسه - ص 01

(4) - رينيه باسيه - الأمثال في مقاطعة وهران - المجلة الآسيوية - باريس - عدد 08 - 1890 - ص 228

الجزائري على أنه مجتمع متعدد الأقاليم والعادات والطباع، فكل منطقة تختلف عن الأخرى، وكل واحدة ترى في نفسها ما لا يتوفر عليها غيرها، وهو ما ينمي روح القبلية بين أفراد المجتمع الواحد، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- "مَطْرَزِينُ اللِّسَانِ، مَتَحْرَمِينُ كَيْفِ الحَصَانِ، قَلِيلُ الإِحْسَانِ، قُلْ ذَلِكَ مَنَ أَهْلُ تَلْمَسَانَ". (1)

وترجمه (رينيه) بقوله: لُعْنُهُمْ مَزْرَكُشَّةٌ، مَتَحْرَمِينُ كِي فَحْلِ الخَيْلِ، بُخْلَاءُ فِي المَعْرُوفِ، قُلْ هُمْ أَهْلُ تَلْمَسَانَ.

- "اللِّي رِيْتَهُ طَوِيلٌ وَحَايِرٌ (طَوِيلًا وَحَايِرًا) أَعْرَفَهُ وَوَلِيدُ الجَزَائِرِ". (2)

وترجمه بقوله: اللِّي تَشُوْفَهُ طَوِيلٌ وَمَدْهُوشُ أَعْرَفَهُ وَوَلِيدِ العَاصِمَةِ.

- "اللِّي فِي يَدِهِ كَسِيرَةٌ وَقَدِيدَةٌ، أَعْرَفَهُ وَوَلِيدُ البَلِيدَةِ". (3)

وترجمه بقوله: اللِّي حَكَمَ فِي يَدِهِ خُبْرٌ وَلَحْمٌ أَعْرَفَهُ وَوَلِيدُ البَلِيدَةِ.

- "اللِّي وَاقِفٌ عَلِي كُدْيَةٍ، لَابَسٌ كَسِيَّةٌ، فِي يَدِهِ عَصِيَّةٌ، وَيَقُولُ لِلْبَلَاءِ أَجِي لِيَا، أَعْرَفَهُ مَنَ أَوْلَادِ المَدِيَّةِ". (4)

ترجم (رينيه) هذا المثل كالاتي: اللِّي يُوقِفُ عَلَي تَلَّةٍ صَغِيرَةٍ لَابَسٌ مَعَطْفٌ صَغِيرٌ، حَاكَمٌ فِي يَدِهِ عَصَا صَغِيرٌ، يَقُولُ لِلشَّرِّ أَرْوَاحُ تَلْقَانِي نَتَحْدَاكُ، أَعْرَفَ أَنُو مَنَ أَوْلَادِ المَدِيَّةِ.

وأضاف (رينيه) وصفا لبعض من سكان مدينة المدية، وهم بنو حسان المقيمين على الطريق بين المدية والأغواط، وقد كانوا موضوع بعض الأمثال التي جمعها سيدي يعقوب بن جميل⁽⁵⁾ وتتكون هذه القبيلة من ستة فروع تنتمي إلى قبائل أخرى وهي:

(1)- المصدر السابق - ص 258

(2)- المصدر نفسه - ص 261

(3)- المصدر نفسه - ص 267

(4)- المصدر نفسه - ص 278

(5)- يعقوب بن جميل: هو المرابط سيدي يعقوب الشريف المزامن لسيدي أحمد بن يوسف، ولد في اسبانيا، هاجر إلى المغرب سنة 1499، بقي فيها إلى غاية سنة 1521، بعد أدائه مناسك الحج استقر في البلدة وتوفي فيها). أنظر: (رينيه باسيه - الأمثال في مقاطعة وهران - المجلة الآسيوية - باريس - عدد 08 - 1890 - ص 278)

(أولاد معيزة) وهم السكان الأصليون، وكانوا يعيشون في الغابة على طريقة المتوحشين مع أنهم مسلمين، حيث أتى أولاد هلال المعروفون من قبل بأولاد عامر، والذين استقروا بالقرب منهم على طريق ابن زكور، والبقية هم: أولاد فركان، أولاد طاريف، أولاد إبراهيم، أولاد قراج.

- "إِذَا صَبَّهَ عَوِيَّةَ وَوَذِيئَةَ قُلُّ هُوَ وُلِيدٌ قَسَنْطِينِيَّةٌ".⁽¹⁾

وترجمه (رينيه) بقوله: جَمَالُ الْقَسَنْطِينِيِّينَ فِي آدَانُهُمْ وَأَعْيُنُهُمْ.

وما يلاحظ في ترجمة (رينيه) هو الاهتمام بأدق الوصف وأضاف إلى ذلك ذكر بعض القبائل والأنساب في سكان المدينة، وكأنه يعد دراسة عن طبائع المجتمع الجزائري بشهادة شاهد من أهله، والأكد أن هذه الدراسة أفادت المستشرقين الفرنسيين في التعرف على خفايا شعب صار تحت سيطرتهم.

وقد أولت فرنسا عناية بالغة في كشف النقاب عما تستره رمال الصحراء من خفايا صعب عليها في بادئ الأمر الإطلاع عليها، فلم تجد أبلغ من أمثال تلك المنطقة للحصول على مطلبها، فنشر (هنري باسيه) دراسة عن: (الأمثال في منطقة الأهقار)⁽²⁾

يتبين من خلال هذه الدراسة التي أجراها حول الأمثال الشعبية المتداولة في منطقة الأهقار أن الطوارق شعب يتميز بحسن الخلق وخفة الروح ما يساعد على تمتين أواصر الثقة بين الأفراد بالإضافة إلى الكرم، الصدق، الأمانة، وروح التضامن العالية، كما أنهم يعتمدون في اتخاذ قراراتهم على رأي من هو أكبر منهم خبرة وشجاعة، ويتميز الطوارق بحبهم الشديد لأرضهم وتمسكهم بها رغم قساوتها عليهم ويكرهون العنف والتسلط، ويعشقون الحرية والترحال دون قيد؛ ويشددون على الحذر والتيقظ بل ويعتبر ذلك واجبا.

(1)- المصدر السابق - ص 293

(2)- هنري باسيه - الأمثال في منطقة الأهقار - المجلة الإفريقية- الجزائر- عدد 63- 1922- ص 490

ج- في مجال العادات والتقاليد:

تعد عادات وتقاليد كل مجتمع مرآة عاكسة لمدى أصالته وتمسكه بانتمائه الحضاري، وهذا ما استرعى اهتمام المستشرقين الفرنسيين، فجددوا أنفسهم للبحث فيما تعارف عليه الناس منذ القدم وسرى بينهم على أنه تقليد أو عادة، وإن كان ذلك لا يعيب الاستشراق الفرنسي لو كانت غايته التعرف فقط على حضارة هذا الشعب: "فالتراث الإنساني ليس ملكاً لأحد والتقاء الحضارات وتبادل الثقافات معروف مشهور، والتأثير والتأثر بين الشعوب حتم لازم".⁽¹⁾

لكن ماذا لو كان هذا الاهتمام صادر عن سلطة محتلة تسعى بكل جهدها لطمس هوية شعب بأكمله؟

وهذا ما نستشفه من خلال ما درسه المستشرقون الفرنسيون من عادات وتقاليد هذا الشعب من خلال بعض النماذج منها:

- نشر (ادموند ديستنج) (Edmond Destaing) دراسة عن: (الأعياد والعادات الموسمية عن بني سنوس).⁽²⁾

وهي دراسة مفصلة لعاداتهم في فصل (الشتاء والربيع)، حيث تعرف جبال بني سنوس شتاء بارداً قارساً خاصة وأن الثلوج تغطي الجبال لعدة أيام، وتعرف منطقة لازرو بمرحلة (السبعة) وهي سبعة أيام وسبعة ليالٍ، يبدأ حسابها بدخول شهر مارس وتهب في هذه المدة رياح قوية باردة مصحوبة بأمطار وثلوج.

ويعتقد أهل المنطقة أن هذه الأيام السبعة تضم يوماً يسمى يوم الدمار، حيث يمس كل مخلوقات الله، فيقوم الناس بالدعاء والرحمة والمغفرة من الله والإكثار من الصدقات والعطايا.

(1) - محمود محمد طنّاحي - مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط 1 - 1984 - ص 15
(2) - ادموند ديستنج - الأعياد والعادات الموسمية عن بني سنونس - المجلة الإفريقية - الجزائر - عدد 50 - 1906 - ص

وبعد مرور سبعة أيام يظهر اللقلق ثم السنونو وأخيرا الغراب، فإن رآه الشخص لأول مرة عليه الوقوف وإلا سيصيبه المرض أو حتى الموت، ثم يأتي بعدها الجراد الذي يطرده السكان بالاستعانة بالفقيه الذي يقوم بكتابة بعض الكلمات والآيات على جناح الجراد وبهذا تخرج من البلاد جميعا.

في أوائل أبريل تكون الرياح قوية ومن كل الجهات وتسمى بـ (النطح)، وتكون الأمطار المتساقطة حينها مؤذية للمحاصيل كلها، لذا يوصي الكبار الصغار من جيل إلى جيل بتقادي استعمالها للسقي لأنها تقتل النباتات بكل أنواعها "يَا رَبِّ هُوَاهَا وَلَا مَاهَا"⁽¹⁾ يتخلل أيام النطح ليال تسمى بالليالي البيضاء، حيث يتشكل الجليد على كل شيء في الليل، وفي الصباح الباكر يصبح كل شيء أبيض وهو ما يؤذي النبات أحيانا. وفي اليوم الثالث من ماي يكتب لهم الفقيه على أربعة من أوراق الزيتون ثم يعلقونها على مساكنهم في البساتين، وهذا ما يطرد النمل نهائيا.

وتسمى ما بين (27 أبريل و03 ماي) بأيام نيسان، وهي سبعة أيام مباركة، فهي أيام رحمة . تماما كما كانت أيام الحسوم أيام عذاب ونقمة . فيتداوى بمائها ويغتسل ويشرب منه، ويستعملها الطالب للكتابة والتداوي وتنظيف المسجد، وتستعملها المرأة في بيتها للطبخ، ويقال أنه يساعد في إطالة الشعر، وتعرض له الماشية أيضا لكي تصح، ويجمع الحلزون ويطبخ ويؤكل لأنه مبارك بهذه المياه وصدفاته ترمى بعيد عن الطريق لأن من يدوس عليها يمرض.

هذه هي عادات بني سنوس التي شددت اهتمام المستشرق الفرنسي (ادموند ديستنج)، فقام بنشرها، وأول ما يلاحظ عند قراءة هذه الدراسة هو حجم الخرافة التي تسيطر على تفكير أهل هذه المنطقة والإستعمار شارك وعمل على تطريسيها وانتشارها أكثر حتى يسود بسيادة العقل الخرافي على أهلها، وبغض النظر عن تجليات مظاهر الطبيعة التي قد توافق عاداتهم إلا أن إيمانهم بقدرة الفقيه (الطالب) بإبعاد الأذى أو بجلب المنفعة والخير

(1)- المصدر السابق - ص 250

وتطيرهم بما لا يضر ولا ينفع يكشف عن درجة ارتباط هؤلاء بالأسطورة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على جهل وعقل متهرئ، وهي الغاية التي يسعى إلى تأكيدها المستشرق من خلال هذه الدراسة.

- نشر (ل. جونيالون) (L. Gongnalons): (الأعياد الرئيسية لسكان ورقلة "الرواقية"⁽¹⁾) وهي دراسة عرض فيها أهم الأعياد التي يحتفل بها أصحاب هذه المنطقة باجتماعهم وقيامهم بطقوس معينة تميزهم عن غيرهم. ويتميز الاحتفال بهذه الأعياد بحركة غير مألوفة ونشاط غير اعتيادي، وتتمثل في أربعة أعياد:

- حفلات الزواج التي تميزها الرقصات الليلية التي تسمى (تاكونكا)، وتدوم حتى بداية الصيف، وتقام هذه الرقصة حسب اعتقادهم لتسهيل عملية الزواج؛ لأن عدد البنات في زمن ما أصبح أكثر بكثير من عدد الذكور بسبب الحمى، مما أثار مخاوف الأهالي من خطر العزوبية، فقررت العائلات الغنية القيام بتنظيم رقصات (تاكونكا)، أين تتجمع الفتيات وتتجلن بأجمل الملابس والحلي وتتعطن وترقصن على صوت (الغيطة والطبول)... وهذا تحت أنظار الشباب الذين يتابعون البنات بدقة لكي يختاروا منهن الزوجة المستقبلية.

- نزهة السرير للالّة منصور، الزوجة التي هربت من السرير وهي محملة فيه، في طريقها إلى بيت زوجها، واعتبر اختفاؤها هذا غريبا وخياليا، واعتبرت كأنها مرابطة، ومنذ ذلك الحين وهم يطوفون بهذا السرير كرمز لخيانة الرابطة الزوجية، وحسب اعتقادهم فإن لا أحد يجرؤ على نزع الغطاء عن هذا السرير الذي هو على شكل قفص وإلا سيصاب بالعمى، مع العلم أن لالّة منصور هي فتاة جميلة اختيرت لأحد الأغنياء في رقصة (تاكونكا).

(1) - ل. جونيالون - الأعياد الرئيسية لسكان ورقلة (الرواقية) - المجلة الإفريقية- الجزائر- عدد 53- 1909- ص86

- كرنفال بوشايب أو عيد عاشوراء، يبدأ باليوم الأول من محرم ويدوم خمسة عشر يوماً، يحتفلون فيه بالاستهلاك المفرط للفول (عيد الفول) حتى التخمة، ثم في المساء يمنح للأهالي فرصة للتنزه في الليل والقيام بطقوس الاحتفال بعد التكرار بالأقنعة وهذا للتسلية.

- عيد الربيع وهو مطابق تقريباً لاحتفال الواحد والعشرون مارس، وهو يوم راحة لسكان ورقلة، أين يلبسون لباس العيد ويخرجون للتجول في الواحة ويجمعون الورود المتفتحة ويتزينون بها.

وبالإضافة إلى هذه الأعياد الرئيسية هناك عيد آخر يسمى (عيد السود) وفيه يتجه سكان ورقلة إلى المرابط (بابا مرزوق) وهذا تحت صوت (الدربوكة والقراقب) ويذبحون له نعجة تقرباً منه.

ونلاحظ مرة أخرى تكرار المشهد نفسه لتوثيق ارتباط الشعب الجزائري بعالم الخرافة والأسطورة، فعلى الرغم من أن هذه الدراسة ركزت على الجنوب الجزائري الذي يتميز أهله بثقافة دينية مميزة، إلا أن هذه الممارسات التي قام المستشرق الفرنسي بنشرها، توحى بدرجة الجهل التي سمحت لهم باعتناق هكذا أساطير وخرافات، مع توثيق ارتباطهم أيضاً بزيارة الأضرحة وتقديم القرابين وهو ما يناهض تعاليم ديننا الحنيف.

وحتى لو كانت هذه الممارسات عند فئة قليلة أو محدودة من الناس، إلا أن الاستشراق الفرنسي استغلها لضرب العقيدة، والتشكيك في درجة الوعي لدى الشعب الجزائري.

ثانيا: منهجهم في الدراسة والنشر

تعد الحركة الاستشراقية الفرنسية من الحركات الواعية المسطرة لأهدافها المحددة لمراميها حيث أنها لم تترك مجالاً من مجالات الحياة إلا وكان لها فيه قولاً وحكم خاصة المجالات الثقافية والحضارية، ولتحقيق أهدافها استتفرت كل الأدوات المنهجية والتحليلية والنقدية، وانكبت على تراثنا العربي الجزائري وعكفت عليه في شبه رهينة تجمع مخطوطاته المتناثرة هنا وهناك، ولعله من الانصاف هنا أن نقر بالدور الذي كان لهم في السبق في نشر هذا التراث منذ القرن الماضي وأنهم: "أول من نبهنا الى كتب ونوادير ومخطوطاتنا وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصاً لولاهم لم نعرفها".¹

والمتعمّن في إنتاج المستشرقين الفرنسيين من خلال دراساتهم وأبحاثهم ونشرهم لتراثنا الجزائري يدرك أن الفعل الاستشراقي قد طال: "الأشخاص والأفكار والأشياء، أي النخب الفكرية بإنتاجها وتأويلها وكذا المضمون الفكري للإنتاج وطرق ووسائل الإنتاج".²

وهذا ما يعكس شغف وولع هؤلاء بإحياء التراث العربي عامة والجزائري خاصة بالبحث والتقصي والتنقيب، وبعيدا عن دوافع المستشرقين في البحث في تراثنا فقد تكبدوا الأهوال والصعوبات في رحلة بحثهم . عن مظان كتبنا التراثية . التي تجاوزت الورق الى الترحال وركوب المخاطر، فقد كان منهم من اعتمد على: "فنيات بحثية في غاية الدقة والصرامة المنهجية وانهكوا انفسهم في طلب مواد بحوثهم".³

والجدير بالذكر هنا، أنه على الرغم من أن فضل المستشرقين في وضع اللبنة الأولى لمناهج التحقيق والنشر، إلا أنهم لم يكونوا السباقين في هذا الميدان: "وإنما سبقوهم علماء الاسلام المتقدمون فكتبوا فيها فصولاً عن المقابلة بين النسخ، إصلاح الخطأ، علاج السقط، علاج الزيادة، علاج المتشابه...".⁴

1 - صلاح الدين المنجد - قواعد تحقيق المخطوطات - دار الكتاب الجديد - بيروت - ط7 - 1987 - ص 07
 2 - محمد معريش - الاستشراق الفرنسي في المشرق والمغرب من خلال المجلة الآسيوية - (مرجع سابق) - ص 292
 3 - عبد الرحمن خرشي - فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري - (مرجع سابق) - ص 97
 4 - حاتم صالح الضامن - نشر التراث العربي الاسلامي عند المستشرقين - مجلة آفاق الثقافة والتراث - مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي - عدد 49 - 1426 هـ/2005م - ص 117

وبالعودة الى الحديث عن فضل المستشرقين في دراسة تراثنا العربي والجزائري ونشره فقد نصب هؤلاء أنفسهم لهذه الغاية وهي تحقيق التراث ونشره، فجاء إنتاجهم في هذا الميدان غزيرا ومتنوعا بغزارة وتنوع تراثنا: "ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا أن التاريخ لم يعرف من بين أمم الأرض وشعوبها أمة بلغت في تراثها من التراث المكتوب مثلما بلغته الأمة العربية الاسلامية كما وكيفا، سعة وشمولا في شتى مناحي الأدب والعقيدة والفكر والعلوم والفنون".¹ والتراث الجزائري جزء لا يتجزأ من هذا التراث ولا يستهان به من هذا الإرث الثقافي والحضاري الذي تزخر به الأمة الاسلامية.

ومع أن جهود المستشرقين في إثارة التراث وخدمته للكشف عن أصوله ومطائه، حقيقة لا ينكرها عاقل، وهو ما يؤكد محمد كرد علي على أنه: "لولا عناية المستعربين بإحياء آثارنا لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ...".²

فإن المتطلع للكتب التراثية التي أخرجوها لا تخلوا من جوانب النقص والقصور، ولعل من البديهي قبل التطرق الى الحديث عن خصوصية تعاطي المستشرقين الفرنسيين مع نصوصنا التراثية يجدر بنا أن نشير الى أن تعاملهم مع هذه النصوص وقراءتها قد اعتمدوا فيه على الترجمة* للتمكن من نقل الموروث الثقافي الجزائري والاستفادة منه، ولعل هذه الحركة - حركة الترجمة - كان لها دور بارز في التعريف بهذا التراث العريق، مع أن الهدف الرئيسي للاستشراق الفرنسي في اعتماده على الترجمة كان: "للتعرف على الأقطار العربية وتعلم لغاتها في ظروف قياسية وشروط مقبولة".³

1 - مصطفى يعقوب عبد النبي - تراثنا العلمي والسبيل الى إحيائه - مجلة آفاق الثقافية والتراث - عدد 51 - (مرجع سابق) - ص 101

2 - مولود عويمر - مقاربات في الاستشراق والاستغراب - (مرجع سابق) - ص 21
* - الترجمة (هي حقل معرفي مشترك تؤدي دور الوسيط بين نصين الاصلي (لغة المصدر) وبين اللغة التي ينتقل إليها النص (لغة الهدف). انظر: (عبد الرؤوف خريوش - دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب - ص 02 (<http://www.qou.edu/arabic/magazine/issued15/research5.htm>)).

3 - أرنست مرسويه - الترجمة في الجزائر - تر: حسين خمري - دار أقطاب الفكر - الجزائر - 2006 - ص 10

و لعل أول ما يلفت انتباه الباحث أو الدارس عند اطلاعه على إنتاج المستشرقين سواء تعلق الامر بالأشخاص أو الأفكار أو التراث المادي الغني و المتنوع ، يجد أن قراءتهم لهذا التراث تعتمد على نظرة افتراضية مسبقة انطلقوا منها في استقراءهم و تحليلهم لكل ما وقع تحت أيديهم: "فالمستشرقون يتعاملون مع النصوص والكتب أي الموروث الذي أنتجه العقل الشرقي لكن بمنهجية غريبة... وهذه النظرة أو المنهجية هي التي حولت الاستشراق في البداية الى أداة من أدوات الحركة الاستعمارية"¹.

وعلى الرغم من أن المستشرقين حرصوا على أن يضيفوا على أنفسهم هالة الهيبة بالإشادة بدقتهم وتجردهم للبحث العلمي وقدرتهم على التمحيص والتدقيق، وكذا ادعائهم بتقديس العلم وتكريس منهجه العلمي في أبحاثهم من خلال تلك المصطلحات التي تختفي وراءها أغراضهم واحقادهم للإسلام والمسلمين، والتي من أهمها البحث الأكاديمي وحرية الرأي وقيمة العقل، إلا أنهم أول من ضربوا بهذه المصطلحات عرض الحائط وداسوا عليها بأقدامهم، في الوقت الذي رفعوا فيه راية التقدم باسمه.²

ولعل أهم الخصائص التي تميز منهج المستشرقين الفرنسيين في دراستهم للتراث الجزائري واستقراءه من خلال دراستنا لإسهاماتهم في إحياء تراثنا دراسة ونشرا:

1/ خضوعهم للأهواء وعدم تجرد البحث العلمي النزيه: يعتمد المستشرقون الفرنسيون في تحرير أبحاثهم ودراساتهم في التراث الجزائري على الأحكام المسبقة من منطلق وهمي: "فيتبعون في أذهانهم... فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لإثباتها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهتمهم صحتها بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيرا ما يستنبطون الأمر كله من حادثة جزئية"³.

1 - مولود عويمر - مقاربات في الاستشراق والاستغراب - (مرجع سابق) - ص 24

2 - بتصرف/ عبد العظيم الديب - المستشرقون والتراث - دار الوفاء للطباعة - قطر - ط3 - 1413 هـ/1992م - ص

27

3 - مصطفى السباعي - الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم) - دار الوراق - ص 55

وهذا ما نلاحظه في دراستهم لعادات وتقاليد الشعب الجزائري، وخاصة التركيز على طقوسهم وشعائهم التي تستند الى الأسطورة والخرافة، على الرغم من أنها شائعة عند أقلية بعينها أو عند فئة محددة من فئات المجتمع الجزائري، وليس ظاهرة معممة على كل فئاته، فأسقطوا من خلالها حكمهم بجهل وتخلف هذا الشعب، بل ونسبوا تلك المهارات إلى الدين الاسلامي بهدف الضرب في العقيدة الإسلامية وتحريفها، بوصفها عقيدة تستند الى الخرافات والسحر والشعوذة وما إلى ذلك.

وهذه المصادرات والميول الشخصية لا تمت بصلة إلى المناهج العلمية التي تعتمد على التجرد من كل هوى أو ميل شخصي: "إذ شرط المنهج الأول وأساسه التجرد من الأهواء وعدم الوقوع تحت سلطانها، فلا يميل الهوى بالباحث لإثبات ما يوافق هواه ونفي ما عداه، فما بالناس بمن يحدد الغرض أولاً والنتيجة مسبقاً، ثم يبدأ بالبحث عما يؤيدها والتفتيح عما يثبتها، فهذا ليس علماً وليس بحثاً".¹

وهذا هو دأب المستشرقين يحددون لأنفسهم غاية ثم يجمعون لها معلومات لا علاقة لها بالموضوع في غالب الأحيان ويقدمونها بعد تمويهه، ويبنون عليها نظريات وأسس لا وجود لها إلا في أنفسهم وأذهانهم.

ولتوضيح منهج المستشرقين في اعتمادهم في أبحاثهم ودراساتهم على: "فرضيات محدودة ليس لها مبررها في الواقع ثم يبحثون عما يؤيد صدق فرضياتهم".² اعتمادهم بشكل ملفت للنظر واهتمامهم بالقضايا والموضوعات التي من شأنها إثارة النعرات وخدمة القبلية بين أفراد المجتمع الواحد لتفتيت وحدته وتماسكه، وخلق مختلف الطوائف والقبائل المتناثرة هنا وهناك كاهتمامهم بنشر الأمثال الشعبية التي جمعها الشيخ سيدي أحمد بن يوسف والتي تصف شرائح المجتمع الجزائري في مختلف أقطار الوطن - شماله وجنوبه ، شرقه وغربه

¹ - عبد العظيم الديب - المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامي - رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر - ط1- 1411 هـ - ص 70

² - عبد الرحمن خرشي - فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري - (مرجع سابق) - ص 97

- بأوصاف وطبائع مبالغ فيها، ونفس الشيء بالنسبة للشعر الشعبي الذي قال عنه الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن اهتمام المستشرقين بنشره ودراسته يخدم القبلية بين أفراد المجتمع أكثر مما يخدم القومية الوطنية.

وعليه فالمنتبع لأعمال المستشرقين في دراساتهم: "والتي تبدو في ظاهرها عملا علميا سليما إلا أنه وبالفحص الدقيق أثبتت أن كثيرا منها مصنوع لانطلاقهم في تلك الدراسات من دافع شخصي هو الرغبة في تجريح وتوهين العقيدة الدينية".¹

وهذا ما يتنافى وطبيعة البحث العلمي الخالي من الأغراض والنوايا- التي تعتمد تصيد الأخطاء- والذي لا صلة له إطلاقا بالرغبة: "في الطعن والتجريح العلمي والبحث عن نطاق الضعف والقوة والتشويه".²

2/ عجزهم عن تمثّل الثقافة واللغة: إن الحديث عن اللغة يجرنا بالضرورة للحديث عن الثقافة، فكلاهما وجهان لعملة واحدة، فاللغة هي ترجمان ولسان الثقافة التي هي مرآة الشعوب لما تحمه من عقائد وتاريخ وقيم وأفكار لذا فمن البديهي أن تكون هذه الثنائية المتمثلة في اللغة والثقافة شرطا لازما لخوض غمار ميدان البحث، ذلك أن: "ثاني شروط المنهج إدراك اللغة والاحاطة بأسرارها والتي هي أداة البحث، وإدراك ثقافة الأمة التي ترغب في التقصي عن تاريخها وعقائدها وعمرانها وحضارتها ودينها".³

والمستشرق عادة يفتقر الى هاذين الشرطين، فكيف له أن يكون كفؤا في البحث والاستقصاء في مجال من مجالات التراث، وكيف لنتائجه أن تكون موضوعية دون أن يستوفي في شخصه هذان الشرطان، وهذا ما نلاحظه في الكتاب الذي قام المستشرق الفرنسي (ألفرد بال) بتحقيقه ونشره، فعلى الرغم من أن الفضل يعود لهذا المستشرق في

¹ - محمد حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية - (مرجع سابق) - ص 81

² - المرجع نفسه - ص 82

³ - المرجع نفسه - ص 82

التعريف به لجمهور المؤرخين - ونقصد بذلك كتاب: (بغية الرواد) لزكرياء يحيى بن خلدون الذي سبق الحديث عنه والذي أرخ لمراحل هامة من تاريخ الجزائر - إلا أن نسخته التي قام بنشرها : "جاءت سقيمة لا تخلو كل صحيفة منها من أخطاء لغوية أو كتابية أو نحوية".¹

ولعل السبب في إخراج نشرته ضعيفة كونه كان جديد عهده بالدراسات العربية والاسلامية ولم يكن في مستوى يؤهله للإحاطة بأسرار اللغة العربية وإجادتها.

3/ التعسف في التفسير: وهو نوع من أنواع خيانة المنهج ناتج عن استنتاج النصوص التراثية استنتاجا خاطئا بسبب سوء الفهم والتحامل على كل ما هو عربي وإسلامي، ولعل تحليل المستشرق فانسانت لقصيدة الشاهد خير دليل على ذلك وذلك في قول الشاعر في البيت الثاني عشر:

وَمِنْ لُطْفِهِ أَنْ السُّيُوفَ أَتَتْ لَنَا وَسَلَّتْ عَلَى الْأَشْجَارِ تَقَطَّعُ بِالثَّمْرِ²

حيث حرّف المستشرق البيت عن معناه بإعطائه دلالة أخرى، فالشاعر قصد به تجسيد بشاعة جيش الاحتلال عندما أتى بسيفه على كل ما صادف طريقة من شجر وثمر، وكان ذلك من رحمة الله - فداء لرؤوس البشر، في حين فسّر (فانسانت) ذلك بإنسانية جيش فرنسا الذي صبّ غضبه على الشجر بدل البشر، وهذا نوع من سوء الإستنتاج للنصوص، وسوء العرض والتضليل المقصود.

ولعله مما يدخل في سوء التفسير تلك الأخطاء غير المتعمدة التي يرتكبها المستشرقون بسبب بعض العراقيل التي تعترضهم كمترجمين، كمشكلة قراءة النسخ الخطية التي تكتب بطريقة سيئة من طرف النساخ أو نسيانهم لعلامات الترقيم والوقف، أو بتغييرهم لموقع

¹ - أبو زكرياء يحيى بن خلدون - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - تح: عبد الحميد حاجيات - (مرجع سابق) - ص 68

² - - فانسانت - أبيات احتلال الجزائر - المجلة الآسيوية - (مصدر سابق) - ص 506

الأحرف أو ما يعرف بالتصحيح، وهذا ما يوقع المستشرق في الخطأ ويجعله يقرأ النسخة بطريقة غير سليمة وبالتالي فهمه فهما مغلوطينشأ على أساسه نتائج خاطئة.

هذا بالنسبة لأهم الخصائص العامة التي ميزت منهج المستشرقين الفرنسيين في قراءتهم للتراث الجزائري، أما فيما يتعلق بطريقة تعاملهم مع تراثنا تحقيقاً ونشراً، فقد تميزت المدرسة الفرنسية بخصائص انفردت بها عن غيرها من المدارس الأخرى فقد حاول الاستاذ (ريجيس بلاشير) والاستاذ (جان سوفاجيه) في كتابهما: (قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها) أن يقدموا وجهة نظر الاستشراق الفرنسي في تحقيقه ونشره للتراث العربي، ولعل من أهم الخصائص التي ميزت هذه المدرسة في تحقيقها ونشرها للكتب التراثية نوردها باختصار:

1/ الاعتماد على وصف نسخ المخطوط المراد تحقيقه ونشره وصفاً دقيقاً كما هو الحال بالنسبة لتحقيق السيد (أدولف فور) لكتاب: (أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطيني)¹ حيث يصف رقم النسخ المعتمد عليها والمكان الذي جلبت منه، عدد أوراقها أو صفحاتها، عدد الأسطر في كل صفحة ومقاس كل صفحة، حالة المخطوطة أو النسخة ما إذا كانت جيدة أو مهترئة أو مبتورة.

هذا وقد يغفل المحقق عن هذا العمل أي وصف النسخ المخطوطة والإكتفاء بتخريج النص مباشرة، كما هو الشأن بالنسبة لتحقيق المستشرق (ألفريد بال) لكتاب: (بغية الرواد) لمؤلفه زكرياء يحيى بن خلدون.

2/ إثبات الفروق بين النسخ الخطية في الهوامش.

3/ افتقارهم الى التدقيق في قواعد ضبط النصوص وذلك على مستوى:

¹ - محمد الفاسي / أدولف فور - أنس الفقير وعز الحقير - (مرجع سابق) - ص 166

أ/ تخريج النصوص من مصادرها الأصلية، فالمدرسة الفرنسية: "لا تميل الى تخريج النصوص من مظانها، على الرغم من أن هذه المظان تعد نسخا ثانوية للأصل المنشور، فقد تقوم تحريفا أو تصلح سقطا".¹

ب/ عدم اعتنائهم بتوضيح النص لكي يفهمه القارئ، وذلك بالتعليق على جملة القضايا الواردة في المصنف أو شرح غريب الكلمات والمفردات الغامضة والمبهمة، بل يكتفون بالنزر اليسير من الشرح والتبسيط*، حيث: " يقدمون الكتاب كما يحسبون أنه يريد المؤلف دون شرح لغريب أو تفصيل لمبهم".²

ج/ لا يحفلون بتخريج وضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بل يعتمدون الى الإشارة الى موضع الآية وتهميشه بكلمة قرآن (Quran).

د/ عدم ميلهم إلى تخريج أسماء الأعلام والإكتفاء في غالب الأحيان بذكرها فقط.

هـ/ تذييل الكتاب المحقق بجدول لتصويب الأخطاء الواقعة في المتن لتحديد الخطأ وتصحيحه ثم ذكر رقم الصفحة وحتى السطر، وذلك في شكل جداول.

و/ بالنسبة للفهارس الفنية الخاصة بالأعلام والأماكن والأمثال وغيرها، فأحيانا يوردونها في نهاية التحقيق وأحيانا يغفلون عنها.

وربما ما ساهم في إخراج نصوصهم بشكل يفتقر نوعا ما إلى الدقة مقارنة بغيرهم هو:

- عدم التمكن من اللغة بشكل متقن، فمعظم المستشرقين الذين تصدروا لتحقيق التراث الجزائري ونشره هم جنود في الميدان وليسوا متخصصين إذ أن: "تحقيق

¹ - إيداد خالد الطباع - منهج تحقيق المخطوطات - (مرجع سابق) - ص 17
* - يعتمد المستشرق الى كتابة الكلمة بالأحرف اللاتينية كما تنطق، مثلا: كلمة لا حد وهي كلمة عامية تكتب بالشكل

التالي: La had، ويوضع مقابلها بالعربية الفصحى لا أحد كما في البيت التالي:

بِاسْمِكَ بُدَيْتُ يَا غَانِي مَنْ بُدَا بِاسْمِ الْمَوْلَى سُورَةَ حُصِينِ

لأخذ غيره ثاني ثم الصلاة على محمد صاوي الجبين

أنظر: (سونيك - المعيار المغربي في أقوال عرب افريقية والمغرب - (مصدر سابق) - ص 203)

² - المرجع نفسه - ص 17

المخطوطات في حد ذاته عملية صعبة وشاقة في الوقت وتتطلب دأبا وخبرة شديدين إضافة الى خبرة المحقق وتمرسه بفن التحقيق من جمع المخطوطات أو صورها والمفاضلة بينها وضبط النص والاستدراك على النساخ فيما وقع منهم من أخطاء النسخ من تصحيف وتحريف وغير ذلك من أسس التحقيق وقواعده".¹

- عدم دربتهم على أساليب الكتاب الجزائريين من جهة لاختلاف الثقافة والبيئة واللغة، ومن جهة أخرى لعدم تخصصهم في فن الكتاب أو المصنف المراد تحقيقه ونشره.

ومجمل القول في تعامل المستشرقين الفرنسيين مع تراثنا الجزائري ومنهجهم في قراءته، يتلخص في أنهم عكفوا عليه بالجمع والنقل ثم النسخ والمقارنة بين مختلف نصوصه التراثية، فكانت دراساتهم ونشرهم في شكل ملخصات ومواجيز، وذلك باقتطاع أجزاء أو مقتطفات من تلك النصوص ثم التعرض لها بالشرح والنقد والتعليق والإضافة، أو بالتوطئة والتمهيد وأحيانا أخرى كانوا يعمدون إلى تحقيقها ونشرها كاملة.

¹ - مصطفى يعقوب عبد النبي - تراثنا العلمي والسبيل الى احيائه - مجلة أفاق الثقافة والتراث - (مرجع سابق) - عدد 51 - ص 106

الفصل الثالث:

أثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية على
بعض المفكرين الجزائريين (محمد بن أبي
شنب "أنموذجا")

أولاً: حياته ومكانته العلمية ونشاطه في حقل الاستشراق

ثانياً: نماذج من أعماله في الدراسة والنشر

ثالثاً: منهجه في الدراسة والنشر

أثر المدرسة الاستشراقية على بعض المفكرين الجزائريين (محمد بن أبي شنب أنموذجاً)

شهدت الجزائر في القرن التاسع عشر والقرن العشرين نهضة فكرية وعلمية لها صفحات ساطعة ومشرفة في تاريخ الفكر الإسلامي وحتى العالمي، وميز هذه الحقبة بروز شخصيات استحققت صفة الأعلام عن جدارة، سواء كانت هذه الأسماء قد اختارت في التعريف بإنتاجها الأدبي والعلمي لغة المستعمر ألا وهي اللغة الفرنسية أو لغة الوطن الأم وهي اللغة العربية.

ومحمد بن أبي شنب واحد من هؤلاء العلماء الأفاضال الذين كان لهم دور بارز في دفع حركة نشر التراث العربي الإسلامي بصفة عامة، والجزائري بصفة خاصة، وله فضل كبير في المحافظة على تراث هذه الأمة الذي هو سر وجودها وضمان بقائها وعنوان كينونتها على الرغم من أنه نشأ بين روافد المدرسة الاستشراقية الفرنسية، وعدّ من أبرز روادها حتى أنه نافس بجهد كبار المستشرقين بل وتفوق على بعضهم، ما رسخ في ذهن الغالبية من الدارسين فكرة أن الدكتور محمد بن أبي شنب كان ابناً وفيها لهذه المدرسة، وأنه سعى في مشواره العلمي الحافل لخدمة الاستشراق أكثر من سعيه إلى نشر التراث، وخدمة قضية وطنه.

وربما يعود سبب هذا الاعتقاد السائد لدى معظم الباحثين والمفكرين في كون أن شخصية العلامة محمد بن أبي شنب ظلت مغمورة إلى زمن غير بعيد، وهذا لندرة الدراسات التي تناولت جهوده الفكرية والأدبية، وهو ما يحتم علينا تسليط الضوء على جوانب عديدة من هذه الشخصية المميزة التي أدركت بنبوغها المبكر خطورة مساعي الاحتلال الفرنسي لهدم مقومات الأمة الجزائرية وطمس هويتها، فسعى من خلال فكره الفذ إلى مواكبة نهضتهم الفكرية لإيجاد منبر يطلّ من خلاله على العالم فيجسد له من خلال إبداعه في التأليف والنشر والترجمة تراث شعبه المستعمر مبرزاً من خلاله ثقافة أمة بأسرها.

أولاً: حياته ومكانته العلمية ونشاطه في حقل الاستشراق

مازالت حياة العلامة محمد بن أبي شنب مجهولة لدى العديد من الدارسين، بسبب قلة الأعمال التي تعرضت لحياته لعزوف الباحثين عن تناول هذه الشخصية بالبحث والدراسة على الرغم من كونها شخصية موسوعية في شتى العلوم الأدبية واللغوية والتراثية، وسنحاول في البداية إلقاء الضوء على أهم مراحل حياته.

1- مولده ونشأته:

أول ما يجدر بنا الإشارة إليه هو الاسم الكامل للعلامة ابن أبي شنب.

هو: "محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب ولد يوم الثلاثاء لعشرين خلت من شهر رجب الأصم سنة (1286هـ) الموافق لست وعشرين من شهر أكتوبر سنة (1869م) بفحص خارج مدينة المدية، بنحو الثلاث كيلومترات وتعرف هذه الضاحية عندهم باسم تاكبو أو عين الذهب"⁽¹⁾.

ينحدر من أسرة تركية الأصل، ميسورة الحال، وقد كان والداه من أعيان المدية وأشرفها، ولعل يسر حالها ما ساعد محمد بن أبي شنب في سلك نهج تعليمه الذي اختاره منذ الصغر وذلك بانضمامه للمدارس الفرنسية التي كانت تضم النخبة من أفراد المجتمع ف: "عندما بلغ سن التمييز أدخله والداه الكتاب فحفظ بعض القرآن، ثم ما لبث أن غادره لينخرط في سلك التعليم الرسمي الفرنسي بالمكتب الابتدائي، حيث أن ثراء عائلته ونفوذه الاجتماعي قد أتاح له فرصة ثمينة للحصول على تعليم رسمي لم يكن يحصل عليه سوى المحظوظون من أبناء

¹- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي - محمد بن أبي شنب - حياته وأثاره - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1983

الجزائر، نظرا للسياسة الاستعمارية التعليمية التي كانت تتعمد تجهيل الجزائريين وتسدّ أبواب التعليم في وجوههم"⁽¹⁾.

وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية: "انتقل إل المدرسة الثانوية وتخرج منها بعد أن ألمّ بمبادئ هامة من علوم الجغرافيا والتاريخ واللغة والفلسفة والحساب والعلوم الطبيعية، وغيرها"⁽²⁾.

ويبدو أن أسرة الرجل قد لعبت دورا كبيرا في مؤازرة نجاحه منذ صباه حيث: "أثبتت جدارتها لإنجاب هذه الشخصية المتفوقة علما وأدبا ونبوغا، التي استوقفت ركب التاريخ وأملت عليه آيات من عبقريته وسجلها له بمداد الفخر والإعجاب"⁽³⁾.

ولقد وافقت أسرته على التحاقه بمدرسة المعلمين الواقعة في بوزريعة بالعاصمة سنة (1886م): "فلازم أسانذتها يستفيد من علومهم وأكب على المطالعة إلى أن مرت سنتان تخرج على إثرها بعد أن نال شهادتها وأصبح أستاذا في اللغة الفرنسية"⁽⁴⁾.

ما أهله لشغل منصب معلم بالمكتب الرسمي بإحدى القرى البعيدة عن المدينة ببضع كيلومترات، وقد أمضى بها أربع سنوات أدى فيها مهنة التعليم على أكمل وجه، وقد عرف بحبه الشديد للتعلم والتعليم، وكان مخلصا في أداء واجبه التعليمي: "فأصحاب العقول الخالصة من الشوائب والقلوب السليمة من المصائب والأرواح الراقية بالطاعة والتقوى، هم الذين ينفعون بعلمهم، ويصنعون هداة الأمم وبناة مجدها وحماة ديارها، وأيضا فالعالم المربي

¹ - محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة - جامعة الحاج لخضر - باتنة - ط1 - 2007م - ص 12

² - المرجع نفسه - ص 12

³ - محمد الصالح الصديق - أعلام من المغرب العربي - سوقي للنشر - الجزائر - 2007م - ج 1 - ص 137

⁴ - محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 13

الذي يصنع هؤلاء الرجال يجب أن يكون موضع احترام واهتمام ليستميل القلوب والعقول، وهذا كله توفر في محمد بن أبي شنب بنصيب كبير وقدر عظيم"⁽¹⁾.

ثم انتقل بعدها إلى العاصمة حيث كان المجال أمامه مفتوحا ليغرف من العلم ما تيسر له، ويتطلع على جديد العلم والعلماء ويتواصل معهم، وتم تعيينه في ذلك الوقت بمكتب الشيخ ابراهيم فاتح الرسمي و: "انخرط في الوقت نفسه في المدرسة العليا لتعلم اللغة الإيطالية، وبالموازاة مع ذلك كله كان له اتصال دائم بالشيخ عبد الحليم بن سماية، يتلقى عليه دروسا في البلاغة والمنطق والتوحيد عززها باجتهادات فردية من خلال مطالعته الدائمة لأمّهات كتب اللغة العربية وآدابها"⁽²⁾.

فتعمق في دراسة قواعدها وأسسها: "وعندما أحس بأنه قد حاز من علوم العربية ما يؤهله لتعليمها في المدارس العليا، تقدم للامتحان بالجامعة الجزائرية فحصل على شهادة اللغة العربية أو ما كان يسمى آنذاك (Diplôme D'arabe) عام (1894م)، فتم تعيينه بناءً على هذه الشهادة -أستاذ اللغة العربية بالجامعة خلفا للشيخ أبي القاسم سديرة"⁽³⁾.

وقد شغل منصب أستاذ لعلوم اللغة العربية من نحو، صرف، عروض، وغيرها في أكثر من مدرسة، ففي سنة (1898م) عين أستاذا بالمدرسة الكتانية^(*) في قسنطينة، وفي عام (1901م) عين مدرسا بالمدرسة الثعالبية^(**)، وفي سنة (1903م) أسندت إليه مهمة إلقاء بعض الدروس بكلية الآداب: "وبعد وفاة روني باسي، تولى تدريس الشعر العربي"⁽⁴⁾.

¹- محمد الصالح الصديق - أعلام من المغرب العربي - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 139

²- محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 17

³- المرجع نفسه - ص 17

* - المدرسة الكتانية: أنشئت في عهد الدولة العثمانية في زمن صالح باي في قسنطينة. أنظر: (أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 3 - (مرجع سابق) - ص 371).

** - المدرسة الثعالبية: سميت كذلك نسبة إلى الشيخ عبد الرحمن الثعالبي لأنها بنيت قرب ضريحه، أشرف على بنائها الوالي الفرنسي شارل جونار، أسستها الحكومة الفرنسية لتخريج رجال السلك الديني. أنظر: (بتصرف) أبو القاسم محمد الحفناوي- تعريف الخلف برجال السلف- (مصدر سابق- ص 04).

⁴- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 50

وظل رغم كل ما بلغه من علم ومعرفة مكبا على أمهات الكتب ينهل منها ما استطاع من علم: "حتى كللت جهوده بنيل درجة الدكتوراه من القسم الأدبي بكلية الآداب بالجزائر، بعد أن قدم رسالتين وضعهما بالفرنسية، الأولى عن حياة الشاعر العباسي أبي دلامة⁽¹⁾ والأخرى بعنوان الألقاب الفارسية والتركية الباقية في سنة (1343هـ-1924م)، مدرسا إلى كلية الآداب"⁽²⁾.

واستمر في التدريس في الجامعة إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء 27 شعبان (1347هـ)- الموافق لـ 05 فيفري (1929م) بعد أن ناهز الستين من العمر.

2- شيوخه وتلامذته:

رغم أن العلامة محمد بن أبي شنب جمع بين الثقافتين العربية والغربية إلا أنه لم يتلق في بداية حياته التعليم التقليدي على يد الشيوخ كمعاصريه، إلا على يد شيخه أحمد بارماق⁽³⁾، الذي حفظ على يده بعض القرآن الكريم، ثم ما لبث أن التحق بمدارس التعليم النظامي الفرنسي أين برز نبوغه وتفوقه كطالب متميز في كل مراحل تعليمه، ولم تبرز أهمية احتياجه لشيوخ ينهل من معارفهم إلا عندما أحس أنه في حاجة إلى التعمق في بحر مداركهم والإستفادة من خبراتهم الواسعة ومن أهمهم:

أ- **عبد الحليم بن سماية:** هو عبد الحليم بن عبد الرحمان بن حسن خوجة، من أوائل المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ محمد عبده الإصلاحى والداعين إليه، ومن أوسع علماء عصره علما وثقافة، ولد بمدينة الجزائر تعلم بها وبتونس، تولى خطة التدريس بالجزائر العاصمة في (1896) ثم بالجامع الجديد في (1900)، مات بالجزائر وكان قد

¹- أبو دلامة (ت 778هـ): زند بن الجون، شاعر نشأ بالكوفة، وأقام ببغداد، كان زنجيا ظريفا كثير النوادر، كان ساخرا حاد اللسان نظم في جميع فنون الشعر وأبدع في السخرية. أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 58).

²- محمد بن أبي شنب - منتخبات في التأليف والترجمة - دار القصة للنشر - الجزائر - 2007م - ص 7

³- محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 13

أصيب بمرض عقلي من شدة ويلات الإستعمار واضطهاده، من آثاره: "اهتزاز الأتواء والربى من مسألة تحليل الربا" و "الكنز المدفون والسر المكنون" و "فلسفة الإسلام"⁽¹⁾.

كان لقاءه بالعلامة محمد بن أبي شنب بعد أن عين معلما بمكتب الشيخ ابراهيم فاتح التركي وكان عبد الحليم بن سماية يومها من بين العلماء الذين شغلوا منصبا بها: " فتحققت له آمال طالما راودته وملأت عليه أخيلته، فنوازعه النفسية كانت تتجه دائما نحو العلم وحياض المعرفة يشبع نهمه ويروي ظمأه، ويحقق أمله فالزم الشيخ عبد الحليم بن سماية يتلقى عنه دروسا في البلاغة والمنطق والتوحيد، وكان الشيخ معجبا بتلميذه أيما إعجاب، حسبنا أنه كان كثيرا ما يرجع إليه في مسائل علمية، ولتواضعه الجّم صرح بذلك وقال: ما علمت في حياتي كلّها معلما يرجع إلى تلميذه غيري، وإني معترف له بالفضل والنبوغ"⁽²⁾.

ب- **أبو القاسم بن سديرة:** وقد سبقت الإشارة إليه، وهو واحد من أشهر علماء الجزائر: "المتضلعين في أسرار اللغة العربية، العارفين بدقائقها وأصولها وبأخبار العرب وشعرائهم وأنسابهم وبتراجم الرجال وطبقاتهم"⁽³⁾.

وقد كان العلامة محمد بن أبي شنب يلجأ إليه لتفسير ما استعصى عليه فهمه من المسائل اللغوية المعقدة.

ج- **(رينيه باسيه) - (فانيان):** شغلا معا مناصب أستاذ في كلية الآداب بالجزائر: "وهاتان الشخصيتان كانتا، وكل منهما في نطاق اختصاصه تمثلان الدراسات العربية في الجزائر بصورة رائعة خلال مدة تنيف عن أربعين سنة"⁽⁴⁾.

1- عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر - (مرجع سابق) - ص 178

2- محمد الصالح الصديق - أعلام من المغرب العربي - ج1 - (مرجع سابق) - ص 140

3- محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 15

4- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 39

وقد ذهل (رينيه باسيه) بذكاء ابن شنب وقدرته الفائقة على التحصيل فمدّ له يد العون، وشجعه على المواظبة في طلب العلم: "وهو الذي زكاه لدى الجهات المختصة ورشحه لمنصب أستاذ مكلف بالمحاضرات في اللغة العربية بالمدرسة العليا للآداب"⁽¹⁾.

وهو نفسه ما بذله معه الأستاذ (فانيان) حيث لازمه محمد بن أبي شنب: "فأخذ عنه اللغة الفرنسية ولغة أجداده وأسلافه التركية"⁽²⁾.

هذا وقد تعرف العلامة محمد بن أبي شنب على حبر يهودي من يهود الجزائر: "فأخذ عنه العبرانية، ولشدة اجتهاده في تحصيل هذه اللغات صار يتقنها مع موافقة اللهجة وحسن التأدية، حتى كان الكثير ممن لا يعرفه يعتقد عندما يسمعه يتكلم بإحداها أنه من صميم أبنائها"⁽³⁾.

هذا عن شيوخه أما عن تلاميذه، فقد ذكرت الكتب ما كان للعلامة محمد بن أبي شنب من بلاغة العلم واللسان ما جعل الطلاب يتنافسون على حضور دروسه فقد: "كان يسلك في دروسه بالجامعة مسلكا خاصا بين الإفرنج يغلب فيه التشويق في اللغة العربية ويحببها لهم حبا جما، فيستعذبونها في نفوسهم، ولا يفرغون من الدرس إلا ونفوسهم متأثرة ومملوءة بالإعجاب بكنوز العرب ومخلفاتهم الثمينة، ولقد كونت فكرته هذه وعلمه الصالح شبايا من الغرب مفكرا يميل قلبه إلى الاستشراق وحب العربية، وأصبح الذي كان يسخط على العرب ولغتهم من أعجب الناس بهم وأولاهم بالدفاع عن هذه اللغة الغزيرة، وإن الفضل في ارتفاع رأس اللسان العربي المبين بين اللغات الأخرى في الجامعة والمدارس الحكومية يرجع إليه"⁽⁴⁾.

¹- محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 15
²- عبد الرحمن بن محمد الجليلي - محمد بن أبي شنب - حياته وأثاره - (مرجع سابق) - ص 16
³- المرجع نفسه - ص 16
⁴- المرجع نفسه - ص 19

ودلالة هذا الإقبال على دروس العلامة محمد بن أبي شنب، أنه أخذ على عاتقه مسؤولية التعريف باللغة العربية للغرب وحثهم على التبحر في علومها والشغف بالخوض في مكنوناتها، وهذا ما يدل أيضا على أنه تميز بالوعي الكافي في تلك المرحلة المتقدمة من تاريخ بلاده ليدرك حاجة قضيتها إلى التعريف بثقافتها ولغتها وتاريخها.

وعلى كثرة هؤلاء الطلاب إلا أن الكتب ذكرت أن من أبرز تلاميذه:

• **محمد سعيد الزاهري (1320هـ-1383هـ/1902-1963م):** هو محمد الهادي

السنوسي الزاهري من الشعراء والأدباء ولد في قرية ليانة قرب بسكرة، تعلم بقسنطينة وتونس وشارك بقلمه في النهضة الإصلاحية، لم يطبع له ديوان، وقصائده موزعة في الصحافة الجزائرية، من آثاره: "شعراء الجزائر في العصر الحاضر"، جزء انطبع في تونس سنة (1927-1929) (1).

• **عبد الرحمن الجيلالي:** هو: ابن مدرسة الشيبية الإسلامية، وابن التقاليد الجزائرية

العريقة في القصة وما حولها، سيما تقاليد شيوخ المدرسة الثعالبة من أمثال عبد الحليم بن سماية ومحمد بن شنب، وشيوخ القراءات في الجامع الكبير (2).

¹- عادل نويهض- معجم أعلام الجزائريين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - (مرجع سابق) - ص 157

²- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج9 - (مرجع سابق) - ص 569

3-مكانته العلمية ونشاطه مع المستشرقين:

كان لانضمام محمد بن أبي شنب إلى الجامعة دور بارز في تفتحه على عالم المشاهير من العلماء والأدباء والكتّاب، الذين تعرفوا عليه من خلال ما كان ينشره من مقالات، فقد كان يتقن اللغتين العربية والفرنسية، ويجيد أزيد من سبع لغات، ولم يكن تفوقه العلمي محصورا في الجانب الفكري والنظري فقط، وهذا ما يبدو جليا من خلال عشرات المقالات التي طبعت للعلامة محمد بن أبي شنب في جرائد أجنبية باللغة الفرنسية، وخاصة في المجلة الإفريقية والآسيوية، بالإضافة إلى مراسلاته التي كان يبعث بها إلى عدد من الشخصيات العربية.

وقد ذاع صيته بعد أن عرف بإخلاصه وتفانيه في أداء واجبه على أكمل وجه، فكون علاقات وطيدة مع المستشرقين الفرنسيين الذين بهروا بذكائه ونبوغه وتحمسه في طلب العلم، وهذا ما دفعهم للتمسك به ضمن صفوفهم ودفعه للأمام كقلم واسم استشرافي، ليدخل الدكتور محمد بن أبي شنب ميدان الاستشراق من أوسع أبوابه وذلك من خلال مشاركته المميزة في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي عقد بالجزائر سنة (1905): "وهذا المؤتمر الذي صادف ذكرى مرور ربع قرن على تأسيس المدارس العليا بالجزائر، ضمّ نحو خمسمائة مستشرقا، وقد انعقدت تحت رئاسة هنري باسي"⁽¹⁾، حيث قدم بحثين مميزين زادا بريق شهرته، الأول كان: "مكونا من (400) صفحة ترجم فيه لـ (360) عالما مغربيا رصد أسماءهم من إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي"^{(2) (3)}.

¹ - اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - (مرجع سابق) - ص 52
² - الشيخ عبد القادر الفاسي: (1598م-1680م) مفسر وصوفي اشتهر في المغرب بعلمه، له مصنفات منها (الأجوبة الكبرى). أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج5 - (مرجع سابق) - ص 2350).
³ - محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 55

أما الثاني فقد نشر في سجل خاص ملحق بالمحاضرات أُرّخ فيه لحركة نقل صحيح الإمام البخاري⁽¹⁾ إلى سكان مدينة الجزائر⁽²⁾.

وهذا ما يؤكد على المكانة العلمية التي اكتسبها محمد بن أبي شنب في صفوف المستشرقين الفرنسيين خاصة منذ انضمامه لدائرة المعارف العلمية الإسلامية التي أنشئت سنة (1899م)، والتي ضمت خمسين مستشرفاً من أبرز الأسماء وأكبرها وكان ابن أبي شنب من بينها.

ولعل انضمامه لها يعدّ من أكبر المآخذ التي حسبت على العلامة لكونها كانت مناهضة للدين الإسلامي والمسلمين: "وقد كتب فيها تراجم قرابة 54 عالماً من علماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم وبلدانهم وعصورهم وإن كان للأندلسيين وعلماء شمال إفريقيا نصيب وافر منها"⁽³⁾.

وهو ما يؤكد أيضاً أن ابن شنب رغم تأثره الكبير بأسلوب المستشرقين في أعمالهم ومؤتمراتهم إلا أنه كان وفياً لعرويته، متمسكاً بتعاليم دينه الإسلامي حاملاً على عاتقه مسؤولية النهوض بالتراث العربي الإسلامي من خلال الترجمة لعلمائه، ومن هذا المنطلق حدد ابن شنب مساره في إحياء التراث وبعثه من جديد، ولهذا انكب على أعمالهم لينفض عنها غبار الإهمال والنسيان، ويعيد لها بريقها، ويستنبط منها عصارة جهود سنين مضت: "ولعل ذلك ما حدا بالمجمع العلمي العربي بدمشق إلى انتخابه عضواً مراسلاً بعد تأسيسه مباشرة سنة (1920م)، وبخاصة عند اطلاعه على بحوثه اللغوية القيمة وجهوده في تحقيق التراث التي كان ينشرها في المجلتين الإفريقية والآسيوية"⁽⁴⁾.

1- الإمام البخاري: هو أبو عبد الله بن اسماعيل بن المعيزة البخاري الواضع الحقيقي لعلم الحديث، رحل إلى الأقطار والأمصار في طلب الرواة والحفاظ، وقضى 16 عاماً زار فيها مصر والشام والحجاز وخراسان والعراق، له كتاب "الجامع الصحيح". أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج2 - (مرجع سابق) - ص 640).

2- المرجع السابق- ص 55

3- المرجع نفسه - ص 58

4- محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 20

وقد أجمع كل من عرف الرجل سواء من أعلام العرب أو الغرب، على تميزه وسعة مداركه العلمية وجدارته بما وصل إليه من مكانة أهلته ليتبوأ أرقى المناصب وهذا ما دفع الجامعة إلى اختياره رئيساً للجان الإمتحانات: "ففي عامه الأول بالجامعة أوفدته الحكومة رئيساً للجنة الإمتحان الذي أقيم لتلاميذ طلبة (البكالوريا) بتونس، فسافر إليها واجتمع بعلمائها وزعمائها الأخيار مثل العلامة حسن حسني عبد الوهاب⁽¹⁾، وكمدرسي الزيتونة ومن شاكلهم من ذوي الرجاحة والعلم"⁽²⁾.

ويروي تلميذه محمد سعيد الزاهري: "أنه التقى به في لجنة الإمتحان في تونس سنة (1341هـ-1922م) في الكلية الزيتونية مع العلماء الفرنسيين، فوجد عالماً جزائرياً غير متجنس بالفرنسية ورئيساً مشرفاً على لجنة علمية فرنسية يرأس جلساتها بزيه الجزائري وحين حضرت صلاة العصر أوقف الجلسة للاستراحة وقام فصلي"⁽³⁾.

وهو ما يؤكد على أن الشيخ ابن شنب ظل متمسكاً بعاداته وتقاليده ومرتبطاً بعقيدته الإسلامية، بسيطاً متواضعاً جل همه مساعدة طلابه على تحصيل الوفير من العلم.

"وفي شهر جوان من عام (1925م) سافر على رأس لجنة الإمتحان إلى مدينة قسنطينة فامتنح (طلبة البكالوريا) و(ديبلوم داراب)، وفي عام (1927م) عاد إلى قسنطينة لتحقيق الغرض نفسه"⁽⁴⁾.

واستمر العلامة محمد بن أبي شنب في تمثيل الحكومة الفرنسية في مؤتمرات الاستشراق، فانتدبته في شهر جويلية سنة (1928م): "ليمثلها في المؤتمر السابع عشر للمستشرقين

¹ - حسن حسني عبد الوهاب: (1884م-1968م) أحد أعلام النهضة التونسية الحديثة، أديب ولغوي ولد في تونس وتعلم بمدارسها ثم التحق بمدرسة العلوم الاقتصادية بباريس، انتدب للتدريس في عدة معاهد، كتب بالعربية والفرنسية وحقق كتباً قديمة منها "بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق" وألف "خلاصة تاريخ تونس". أنظر: (الموسوعة العربية الميسرة - ج3 - (مرجع سابق) - ص 1370).

² - عبد الرحمن بن محمد الجبلاي - محمد بن أبي شنب - حياته وأثاره - (مرجع سابق) - ص 20

³ - أنور الجندي - الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - 1385 هـ - 1965م - ص 234

⁴ - عبد الرحمن بن محمد الجبلاي - محمد بن أبي شنب - حياته وأثاره - (مرجع سابق) - ص 20

الذي عقد بمدينة أكسفورد البريطانية والذي تقدم إليه ببحث قيم عن الأدب وتاريخه من خلال الترجمة لابن خاتمة الأندلسي⁽¹⁾ وعرض أشعاره⁽²⁾.

ونلمس من خلال ما سبق جهد العلامة ابن شنب في منافسة كبار المستشرقين ليحتل بينهم مكانة جد مرموقة، من مبدأ الغيرة على وطنه ودينه ولغته فقد: "وعى بفكره الفذ أن الاستعمار الفرنسي سعى لفرض ثقافته وتراثه الفرنسيين على الشعب الجزائري العربي المسلم ولعله لمس في بعض محاولات زملائه من المستشرقين الفرنسيين وغيرهم طمس الهوية الجزائرية بحكم قربه منهم"⁽³⁾.

ويؤكد الشيخ البشير الإبراهيمي أن العلامة ابن أبي شنب كان صرحا عظيما من صروح العلم فقد عدّه: "ركنا من أركان العلم الصحيح وعلمنا من أعلام التاريخ، ومثال الأخلاق العالية والخلال الرفيعة والجد والنشاط في سبيل خدمة العلم والصبر على العمل - وإن شق - للوصول إلى النهاية والمحافظة على القومية الصحيحة من الاندماج والذوبان"⁽⁴⁾.

وقد خلف هذا الصرح مجموعة من الكتب منها ما هو مؤلف ومنها ما هو مترجم ومنها ما هو محقق، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات التي نشرت في المجلة الإفريقية والمجلة الآسيوية ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وغيرها، ومن بين آثاره:

- الأمثال العامية السائدة بالمغرب العربي بالأقطار الثلاثة: الجزائر، تونس، المغرب، وشرحها بالفرنسية في ثلاثة أجزاء وطبع بباريس عام (1907م).

¹- ابن خاتمة الأندلسي: (ت 1368)، أحمد بن علي، طبيب ومؤرخ من أهل المرية بالأندلس، ألف كتاب: (مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية). أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج 1 - (مرجع سابق) - ص 25).

²- محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 56

³- حسين تروش - الانتماء الحضاري والتواصل مع الآخر من خلال الترجمة عند محمد بن أبي شنب - (مرجع سابق) - ص 03

⁴- الإبراهيمي- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي - دار المغرب الإسلامي - بيروت- ط1- 199- 7 - ج 1 - ص

- أبو دلامة وشعره، كتبه بالفرنسية وقدمه كأطروحة لكلية الآداب الجزائرية للحصول على الدكتوراه، طبع عام (1922م).
- شرح شواهد "جمل الزجاجي"⁽¹⁾ في النحو شرحا لغويا، أدبيا، تاريخيا، طبع بالجزائر سنة (1927م).
- تاريخ الرجال الذين رووا البخاري، وبلغوه للجزائر واختلاف طرق الرواية في ذلك، نشر بالفرنسية في مجموع مقالات ثم طبع بمطبعة فونتانا عام (1905م) بالجزائر.
- تحقيق رحلة الشيخ حسين الورتيلاني مع وضع فهارس مفصلة لكل ما تفرق في الكتاب طبع بالجزائر سنة (1908م).
- تحفة الأدب في ميزان العرب في العروض طبع للمرة الأولى بالجزائر عام (1906م) وطبع للمرة الثانية بالجزائر عام (1928م).
- تتقيح معجم ابن سديرة العربي الفرنسي مع زيادة كثيرا من المراد فيه طبع بالجزائر عام (1924م).
- رسالة "خاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم وما يليق بذلك" مترجمة إلى الفرنسية ومؤلفها مجهول نشرت عام (1897) بالمجلة الإفريقية.
- تحقيق كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس المريني طبع بالجزائر سنة (1910م).
- تحقيق كتاب "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية" وتصحيحه وهو لمؤلف مجهول طبع بالجزائر بمطبعة كاربونال عام (1922م).

¹- الزجاجي: هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ولد في صبيحة من مدن نهاوند في فارس، تعلم في بغداد ودرس في دمشق ومات في طبرية، لزم الزجاج حتى نسب إليه، كان أفاضل أهل النحو، عرف بكتابه (الجمل الخاصة) و(الأمالي). أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج4 - (مرجع سابق) - ص 1729).

ثانيا: نماذج من أعماله في الدراسة والنشر

لقد اهتم العلامة محمد بن أبي شنب: "بإحياء التراث العربي المغربي وتعريفه للغرب عن طريق التحقيق والترجمة"⁽¹⁾.

وقد اخترنا من بين أعماله الكثيرة نموذجين، الأول في التحقيق وهو كتاب "البستان" لابن مريم، والثاني في الدراسة وهو مقال "الشاشية" الذي تم نشره في المجلة الإفريقية⁽²⁾.

1- نموذج في التحقيق (كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان):

أ- **التعريف بالكتاب:** يعد كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، من أهم كتب التراجم المخددة للعلماء والفقهاء الذين عاشوا في مدينة تلمسان خاصة.

وقد ألفه في سنة (1011هـ-1602م) في تلمسان: "وها هنا انتهى العرض فيما قصدناه على الوجه الذي بيناه، ولا حول ولا قوة إلا بالله وفي سنة إحدى عشرة وألف بمدينة تلمسان وضعناه"⁽³⁾.

وقد وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله العلامة محمد بن أبي شنب وطبع في المطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه سنة (1326هـ-1908م) بالجزائر، وهو يتكون من (315) صفحة.

¹ - مولود عويمر - أعلام وقضايا التاريخ الإسلامي المعاصر - تصدير أبو القاسم سعد الله - دار الخلدونية - الجزائر -

ط 1 - 1428هـ-2007م - ص 145

² - محمد بن أبي شنب - أصل كلمة شاشية - المجلة الإفريقية - الجزائر - عدد 51 - 1907م - ص 55

³ - ابن مريم - البستان - (مصدر سابق) - ص 314

وقد اعتمد محمد بن أبي شنب هذا العنوان على خلاف ما اعتمده تلميذ ابن مريم الفقيه العالم عيسى محمد الراسي البطوي السعدي⁽¹⁾، حيث اعتمد على أقدم النسخ والتي تحمل عنوان "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" وهي النسخة التي كتبت سنة (1049هـ-1639م) وقد ترجم ابن مريم في البستان لاثنتين وثمانين ومائة عالم وولي ولدوا في تلمسان أو عاشوا بها: "ورتبته على حروف المعجم مبتدئاً ممن اسمه أحمد، والمفروض أن الكتاب خاص بالتراجم التلمسانية، ولكن قارئه يجد فيه تراجم لمصريين وشاميين وقيروانيين وفاسيين وأندلسيين"⁽²⁾.

ب- التعريف بالكاتب: تعتبر ترجمة ابن مريم من التراجم النادرة التي لم يتم العثور عليها سواء في كتب التراجم الشرقية أو المغربية، باستثناء ترجمة واحدة لتلميذه الفقيه العالم عيسى بن محمد بن يحي الراسي البطوي السعدي، الذي خصه بترجمة وافية في كتابه المسمى "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح" وقد ولد ابن مريم في تلمسان من عائلة تنتسب إلى أشرف قبيلة مليتة، أخذ عن أبيه مبادئ اللغة والفقه وتلقى تعليمه الأول بمدارس تلمسان.

ويصفه الفقيه عيسى البطوي بقوله: "ما رأيت عينا ي قط مثل خَلقا وخُلقا وانصافا وحرصا على العلم، ورغبة في نشره واجتهادا في طلبه وإدمانا على تلاوة الكتاب العزيز، وتواضعا وخشية ومودة وصبرا واحتمالا وحياءً، وصدق لهجة وسخاءً وإيثارا ومواظبة على قيام الليل وتبحرا في سائر العلوم الشرعية، وحسن إدراك وقوة فهم وحب في الخير لجميع المسلمين"⁽³⁾.

¹ - عيسى محمد الراسي البطوي السعدي (ت: 1040هـ-1630م): باحث له اشتغال بالتاريخ متصوف من فقهاء المالكية، من آثاره: "مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح" في التصوف، خصص فيه فصلا كاملا لترجمة شيخه ابن مريم التلمساني. أنظر: (عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر- (مرجع سابق) - ص 44).

² - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 2 - (مرجع سابق) - ص 354

³ - عبد القادر بوباية- بحث حول كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- ص 207

أخذ العلم عن مجموعة من الشيوخ ذكرها في كتابه البستان ومن بينهم:

- محمد بن أحمد بن محمد الشريف المليتي (ت 985): وهو والد ابن مريم وكان يشتغل بالتعليم، وحفظ على يديه القرآن الكريم: "تخرج عليه أولاد كثيرون يحفظون كتاب الله العزيز، وحين أقعده الكبر صار يقرأ الأولاد في داره"⁽¹⁾.
- الشيخ سعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمن بن بلعيش المقري: "فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها وخطيبها بالجامع الأعظم خمسا وأربعين سنة"⁽²⁾.
- الشيخ محمد بن موسى الوجديجي: العالم المتفنن العلامة، أحد فحول أكابر العلماء المتأخرين: "أخذ عن الشيخ الإمام العالم المفتي في بلد تلمسان سيدي محمد بن عيسى، وسيدي عبد الله بن جلال الوهراني أدرك السنوسي وطبقته، وكان من حفاظ مختصرات ابن الحاجب الفرضي مفتيا به"⁽³⁾.
- سيدي محمد بن يحيى المديوني المدعو أبا السادات: الفقيه العالم: "كان نافذا في الفروع منطبعا معها يكنى بمالك الصغير في زمانه رضي الله عنه، كان إماما بتلمسان ومفتيا تأتيه الفتاوى شرقا وغربا وقبله مشاركا في الحساب والفرائض والبيان والمنطق والتفسير"⁽⁴⁾.

ويعد ابن مريم من أبرز فقهاء تلمسان في عصره، امتحن التعليم بداية خلفا لوالده حين أصيب بالمرض، وقد أحب مهنته هذه فاحترفها وتخرج على يديه مجموعة من الطلاب الأفاضل يقول: "فتخرج علي والحمد لله بدعاء والدي وبركته أزيد من أربعين ولدا كلهم يحفظون القرآن وبعضهم علماء يدرسون العلم في كل من العلوم الظاهرة والباطنة"⁽⁵⁾.

¹ - ابن مريم - البستان - (مصدر سابق) - ص 267

² - المصدر نفسه - ص 104

³ - المصدر نفسه - ص 260

⁴ - المصدر نفسه - ص 261

⁵ - المصدر نفسه - ص 269

وقد اهتم ابن مريم بتقبيد الأخبار وقراءة الشروح اللغوية، اشتهر بتفوقه في المسائل الفقهية وزهده.

تتلمذ على يديه الكثير من الطلاب الذين أصبحوا علماء في عصره من بينهم:

- أحمد المقرئ (986هـ-1041هـ/1578م-1631م): هو: "أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العباس المقرئ التلمساني، مؤرخ وأديب، حافظ، كان آية في علم الكلام والتفسير والحديث، ولد بتلمسان وبها نشأ، له كتاب "نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب"، و"روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين مراکش وفاس" (1).

وقد كان ابن مريم كثير المطالعة مقبلا على دراسة الكتب وأخذ ما فيها من العلم، ومع ذلك فإن هذا لم يمنعه من التأليف حيث: "ألف كتبا عديدة، نحو ثلاثة عشر تأليفا، شرحا على الرسالة، وعلى مقدمة ابن رشد، وعلى الرقعي، وعلى القرطبي وعلى الحكم لابن عطاء الله، وغير ذلك إذ لم نطلع على جميعها، وألف كتاب في مناقب الصالحين" (2).

ومن بين مؤلفاته:

- كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة التوحيد.
- تحفة الأبرار وشعار الأخيار في الوظائف والأدكار المستحبة في الليل والنهار.
- تفسير بعض الحكم (لم يكتمل).
- تعليق مختصر على الرسالة في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها.
- التعليقة السنوية على الأرجوزة القرطبية.

¹- عادل نويهض- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - (مرجع سابق)- ص 308

²- عبد القادر بوباية- بحث حول كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- (مرجع سابق)- ص 221

أما عن وفاة الفقيه ابن مريم، فقد ظل تاريخ وفاته مبهما لدى معظم المؤرخين والباحثين الذين لم يحددوا لها تاريخا خاصا.

ج- محتوى الكتاب وأهميته: يعد كتاب البستان من أهم مؤلفات ابن مريم، وهو المؤلف الوحيد المطبوع.

وقد ترجم فيه ابن مريم لمئة واثنين وثمانين عالم وولي ولدوا بتلمسان أو عاشوا فيها، ولكن ما يلاحظ على ابن مريم في مؤلفه البستان هو تجاوزه لهذا الشرط، ذلك أنه أدرج ضمن تراجمه أربعة عشر ترجمة لعلماء وأولياء لم يولدوا في تلمسان ولم يزوروها ولم يعيشوا فيها مثل: خليل ابن إسحاق⁽¹⁾، مع أن هناك الكثير من العلماء والأولياء ذوي أصول تلمسانية، أو مروا بتلمسان، أو عاشوا فيها، لم يتطرق لهم ابن مريم بالذكر في مؤلفه هذا وعلى سبيل المثال: يحيى بن موسى المغيلي المازوني⁽²⁾.

وقد رتب ابن مريم هذه التراجم على حروف الهجاء، مبتدئا بحرف الألف باسم أحمد، منتهيا بحرف الياء باسم يحيى.

واختلف حجم التراجم ما بين الطول والقصر، فمنه ما ذكره في سطر أو أكثر كترجمة محمد بن سليمان⁽³⁾ التي قال فيها: "سيدي محمد بن سليمان النجار من مديونية الولي الصالح"⁽⁴⁾.

¹- خليل ابن إسحاق: هو الإمام العلامة، العالم، العامل، القدوة، الحجة حامل لواء المذهب بزمانه، وهو مصري برع في الفقه والحديث كان صدرا في علماء القاهرة. أنظر: (ابن مريم - البستان - (مصدر سابق) - ص 96).

²- يحيى بن موسى بن عيسى بن يحيى أبو زكريا، المغيلي المازوني، فقيه وقاض من أعيان المالكية، توفي في تلمسان له كتاب (الدرر المكنونة في نوازل مازونة). أنظر: (عادل نويهض-معجم أعلام الجزائر- (مرجع سابق) - ص 281).

³- محمد بن سليمان: هو فقيه وعالم متصوف من المغرب دخل تلمسان وأخذ عن شيوخها مكث بها فترة من الزمن. أنظر: (العباس بن إبراهيم السملالي-الأعلام بمن حل مراکش وأغمات من الأعلام- راجعه عبد الوهاب بن منظور- المطبعة الملكية الرباط - ط2 - 1993 - ج5 - ص 40).

⁴- ابن مريم - البستان - (مصدر سابق) - ص 293

ومنها ما ذكره في عدة صفحات كترجمة سيدي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الواحدي⁽¹⁾ الشهير بـ أبركان، والتي استغرقت الصفحات (74-93).

وهذا ما أدى إلى تفاوت المعلومات التي ذكرها في التراجم فبعضها لا تزيد عن بعض كلمات، في حين ذكر في بعضها أسماء المترجم له، أصله، تاريخ وفاته، أسماء شيوخه، أسماء تلامذته، عناوين الكتب التي درسها، عناوين الكتب التي ألفها، البلدان التي زارها، أسماء من أجازته من العلماء، ونادرا ما خلت تراجمه قصيرة كانت أو طويلة من ذكر مناقب تتسب للولي الصالح صاحب الترجمة: "وكان المؤلف نفسه يعتقد في ولاية الأولياء وكراماتهم، لذلك حشا كتابه بأخبار هذه الكرامات والخوارق"⁽²⁾.

ومما يعاب على ابن مريم أنه أكثر من الاعتماد على الكتب التي رجع إليها في تأليفه لكتاب البستان، دون الفصل بين ما ألفه هو وبين ما نقلته، حتى أنه يصعب على القارئ التمييز بينهما.

وقد أكثر في بعض التراجم من ذكر أقوال المؤرخين، فمثلا في ترجمة بن عبد الله التنسي⁽³⁾ مؤلف (نظم الدرر والعيقان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان)، التي تبلغ صفحة واحدة، استشهد المؤلف فيها بأكثر من قول في صاحب الترجمة⁽⁴⁾.

وما يعاب عليه أيضا هو أنه استعمل في كثير من الأحيان اللغة العامية: "وهو أحيانا يستعمل عبارات عامية مثل حملوا منه (شوامي) وهو يعني أحمالا، ومثل "رد الناس إليه بالهم" وهو يعني انتبهوا إليه أو احذروا منه"⁽⁵⁾.

وقد اعتمد ابن مريم على مجموعة من المصادر نذكر من بينها:

1- الحسن بن مخلوف: العالم الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير، أخذ عن مجموعة من الفقهاء، منهم ابن مرزوق. أنظر: (ابن مريم - البستان - (مصدر سابق) - ص 74).

2- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 2 - (مرجع سابق) - ص 354

3- عبد الله التنسي (سبقته الترجمة له).

4- ابن مريم - البستان - (مصدر سابق) - ص 248

5- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 2 - (مرجع سابق) - ص 354

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لمؤلفة ابن خلدون أبو زكريا، ويؤرخ الكتاب لدولة بني عبد الواد ملوك المغرب الأوسط ويتضمن بذلك أخبار عن المغرب الأوسط والأقصى بما في ذلك تراجم أعلام من تلمسان.
- أنس الفقير وعز الحقير لمؤلفه أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن قنفذ وبابن الخطيب، وتضمن هذا الكتاب حياة مجموعة من المتصوفين من تلمسان.
- شرف الطالب في أسنى المطالب، لابن قنفذ القسنطيني وقد اعتمد عليه ابن مريم كثيرا في كتابه، وهو يتضمن مجموعة من كتب الحديث.
- كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطيني، وهو عبارة عن تاريخ صغير لوفيات الصحابة والعلماء المحدثين والمفسرين والمؤلفين بما فيهم رجال من قسنطينة وتلمسان وبجاية.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لمؤلفه ابن خلدون عبد الرحمن⁽¹⁾ يتضمن الكتاب العديد من الأعلام الذين ترجم لهم ابن مريم.

ويعد كتاب البستان لابن مريم: "من أهم المعاجم في تراجم الرجال"⁽²⁾ وهو من أهم المراجع التي تكتسي دلالة بالغة الأهمية فيما يخص الحياة العلمية والثقافية في مدينة تلمسان خاصة والمغرب الأوسط عامة.

فهو يؤرخ للفترة التاريخية التي عايشها هؤلاء الرجال المترجم لهم من الأولياء والعلماء سواء في الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، ويرصد أخبار العمران الذي كان قائما في مدينة تلمسان في تلك الحقبة من الزمن خاصة وأنها كانت حاضرة العلم والعلماء.

¹- ابن خلدون عبد الرحمن: (1332م-1406م) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي مسلم مشهور. أنظر: (علي مولا- الموسوعة العربية الميسرة - ج1 - (مرجع سابق) - ص 27).

²- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج2 - (مرجع سابق) - ص 354

2- نموذج في الدراسة:

نص المقال هو بحث لغوي تاريخي كتبه العلامة محمد بن أبي شنب، نشر في المجلة الإفريقية باللغة الفرنسية عدد 51 - سنة (1907)⁽¹⁾.

وقد عرف ابن شنب ببراعته في الدراسات اللغوية والتاريخية، فقد كان شديد الاهتمام بالكلمات العامية التي ذاع صيتها سواء في الجزائر أو في البلاد العربية ليبين جذورها وأصولها التاريخية ومدى علاقتها بتراث وثقافة الأمة.

وعلى هذا النحو جاءت دراسته هذه في بيان مفهوم كلمة "شاشية" وأصلها التاريخي.

وجاء بحث محمد بن شنب مكملاً للمقال الذي نشره أحمد تيمور باشا في الجزء الخامس من مجلة "الفتح" والمتعلق بتاريخ الطربوش بعد أن ذكر فيه أن الطربوش في المغرب يسمى الشاشية.

ويبدأ ابن شنب مقاله بتوضيح مفهوم الشاشية والتي هي عبارة عن قلنسوة مصنوعة من الصوف الرقيق عادة بلون قرمزي، يرتديها معظم سكان شمال إفريقيا، السوريون والأتراك، واستناداً إلى مرجعين عاد إليهما ابن شنب هما: (منتخبات عربية قديمة - دي ساسي ط2 -1826 - ص 199)

(De Sacy -Chrestomathie - 2 ed -Paris -1826 - p.199)

و(معجم مفصل لأسماء الملابس التي يستعملها العرب لدوزي -أمستردام -1845 - ص 240)

(Dozy -Dictionnaire détaille des noms des vêtements chez les Arabes - Amsterdam -1845 -p.240)

¹ - محمد بن أبي شنب - أصل كلمة شاشية - المجلة الإفريقية - (مصدر سابق) - ص 55

فإن أصل كلمة شاشية مشتق من الشاش الذي هو نوع من القماش يصنع منه عمامة تلف تحت القلنسوة حول الرأس.

غير أن ابن شنب اعتبر هذا التفسير غير واف فعلى الرغم من أن أوائل العهد بالقلنسوة أنها كانت تصنع من قماش الشاش، إلا أنها فيما بعد أصبحت تصنع من الصوف.

وبالعودة إلى كتاب الرسائل للجاحظ (الرسالة الثانية إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك وعمامة جند الخلافة - ص 11 - سطر 11).

(El-Djahidh, madjmou'atr'asail : Er -risâlat -tsaniyatila L fath's -ben khâqûn fi manâqib Et-Torkwaâmmatdjond el-khilafa p.11 -ling.11)

وقف محمد بن أبي شنب على عبارة "نحن أصحاب التجافيف والقلانس، الشاشية..." فحقق أن لفظة شاشية نسبة إلى بلاد الشاش، وهي أرض واسعة وراء نهر سيحون (*).

وبالعودة إلى (معجم ما استعجم) للبكري (El Bakry, Kutâbmo'djammâsta'jam) ولم يبق عنده شك بعد قراءته لعبارة: "وإليه تنسب الشاشية"، أنها صفة لقلنسوة أقيمت مقام الموصوف لكثرة الإستعمال، فمن المألوف تسمية الملابس بأسماء أصولها فالمالطي هو نوع قماش قطني، والسوستي أو السوسدي أصله من سوسة أو تونس وهو نوع من نسيج صوفي يصنع منه البرنوس وبعض البدلات الهندية والمناديل الملونة.

وقد وفق ابن شنب في تحليله هذا لمفهوم كلمة الشاشية حيث أكد الباحث الجامعي التونسي حسام الدين شاشية (ولقبه بالصدفة شاشية): "أن كلمة شاشية مشتقة من "شاش" (اسم مدينة في خراسان) وأن الجنود الخراسانيين الذي شاركوا مع القائد الإسلامي عقبة بن نافع في فتح

* - نهر سيحون: أو سيريداريا (نهر وسط آسيا).

مدينة القيروان التونسية سنة (670م)، أدخلوا صناعة الشاشية إلى القيروان، فصارت تعرف باسم الشاشية القيروانية"⁽¹⁾.

وبهذا يكون ابن شنب قد أجاد في نشر هذه الدراسة لأنه وثق جانبا مهما من تراثنا فقد ذاع استعمالها لدى غالبية المجتمع، وإن كانت صناعة الشاشية أصلا مستوردة من تونس التي تعتبرها رمزا حضاريا لا يستهان به أين: "تعتبر الجهات الرسمية في تونس الشاشية إرثا ثقافيا وتصنفها ضمن الرموز الدالة على الهوية الوطنية التي يجب المحافظة عليها باعتبارها خصوصية تونسية صرفة"⁽²⁾.

¹- شاشية تونس صناعة عريقة مهددة بالاندثار:

www.elaph.com/web/entertainment/2009/11/502311.htm

²- المرجع نفسه.

ثالثاً: منهج العلامة محمد بن أبي شنب في الدراسة والتحقيق والنشر

1- أسلوبه في التحقيق والنشر:

إن الحديث عن منهج العلامة محمد بن أبي شنب في الدراسة والنشر والتحقيق يجعلنا نقف أمام مفكر مميز برع في مجال اختصاصه أيما براعة، فزادت أعماله عن خمسين كتاباً في مختلف الفنون، ومن كثرة اهتمامه وولعه بإحياء التراث والتأليف قال عنه أحمد دياب: "لو أن حركة التأليف والإحياء للتراث سارت سيرها كما بدأها الدكتور محمد بن أبي شنب لاستطاعت الجزائر أن تنافس عواصم الدول العربية الأخرى مثل القاهرة ودمشق وبغداد"⁽¹⁾.

فهو عالم فذ لا يشق له غبار، برع في مجارة أنداده من المستشرقين والعرب على حد سواء في هذا المضمار وهو إحياء التراث ونشره معتمداً على منهج علمي مضبوط في دراسة النصوص التراثية.

وقد دأب محمد بن أبي شنب في تحقيقه لنوادير الكتب التراثية على اعتماد نهج المستشرقين إلا أنه لم يهمل القواعد والأسس التي سار عليها أسلافه من العلماء والمحققين ذلك أنه وعلى الرغم من أن: "المستشرقين قد بدأوا منذ أوائل القرن التاسع عشر بوضع القواعد العلمية لتحقيق النصوص ونشرها، وجعلوا منه علماً له منهجيته وطبقوا ذلك على كثير من المخطوطات العربية التي قاموا بنشرها فإن هذا لا يعني أن علماءنا في الماضي لم تكن لديهم قواعد لتحقيق المخطوطات من حيث المقابلة بين النسخ واختيار أوثقها، ووضع رمز لكل نسخة وكذلك اهتموا بضبط النصوص وتوثيقها"⁽²⁾.

¹ - حسين تروش - الانتماء الحضاري والتواصل مع الآخر من خلال الترجمة - (مرجع سابق) - ص 14 - نقلاً عن: أحمد دياب - من نبغاء الجزائر في العصر الحاضر - محمد بن أبي شنب - مجلة الثقافة - الجزائر - العدد 98 - 1987 - ص 47

² - فهمي السعد - طلال مجدوب - تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق - عالم الكتب - ط 1 - 1413هـ - 1993م - ص 5-6

وبإلقاء نظرة على أسلوب ابن شنب سواء في أبحاثه أو تحقيقاته نجد أنه قد استقى: "ثقافته من مصدرين أساسيين مختلفين في كل شيء وهما التراث العربي الإسلامي والثقافة الأوربية الحديثة، وكان له في كليهما باع طويل وتبحر كامل فلم يكن غريبا أن ينطبع أسلوبه بطابعهما معا"⁽¹⁾.

ولعله الشيء الذي أهله إلى الإلمام بمناهج المستشرقين في الدراسة والتحقيق من حيث استخدام الوسائل العلمية الغربية، ومن حيث طرق البحث والتنقيب وإجراء المقارنات، ثم في كيفية التعامل مع النصوص التراثية بالشرح والتوضيح والتحليل والنقد والتعليق.

2- نماذج محققة:

بعرضنا لبعض النماذج التي قام بتحقيقها يتضح لنا أكثر منهج ابن أبي شنب في الدراسة والتحقيق الذي أشار إليه أبو القاسم سعد الله ولخصه في قوله: "طريقة التحقيق عنده هي مقابلة أكثر من نسخة ووضع مقدمة قصيرة في وصف طريقة التحقيق دون ترجمة المؤلف وعصره، ونحو ذلك وأهم جهد كان ابن شنب يقوم به في التحقيق هو وضع الفهارس، فهارس الأعلام والأماكن والكتب والموضوعات والشعر وغير ذلك. وهناك تظهر براعته ومهارته وطريقته ومساهمته، وكان ابن أبي شنب على عجل فهو لا يهتم بالتنميق ولا بالتطول وإنما كان يقتصر في الأسلوب على ما قل ودل وهو أقرب إلى العلمي منه إلى الأدبي"⁽²⁾.

¹ - محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 61

² - أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 8 - (مرجع سابق) - ص 169-170

ومن بين هذه النماذج نذكر:

أ- رحلة الورتيلاني:

وهي رحلة منثورة للشيخ الحسين بن محمد الورتيلاني وتعد مرجعا هاما للباحثين في تاريخ الجزائر ذلك أنها حوت تراجم عدد لا بأس به من الأعلام مع ذكر آثارهم ومؤلفاتهم، بالإضافة إلى فوائد جغرافية وتاريخية قيمة.

وقد اهتمت الحكومة الفرنسية: "بنشر رحلة الشيخ الحسين الورتيلاني فأناطت تحقيقها وتصحيحها بالأستاذ فوقف عليها ووشاها بفهارس مفصلة جمعت كل ما تفرق في الكتاب، طبعت بالجزائر سنة (1908)"⁽¹⁾.

وهو ما يدل على الجهد الذي بذله العلامة ابن شنب في العناية بالكتب التي تحوي: "تراجم العلماء الجزائريين عبر القرون والتي صورت لنا الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في الجزائر خلال مراحل تاريخية مختلفة، وحفظت لنا مادة غزيرة أصبحت فيما بعد مصدرا أساسيا للدراسات التاريخية"⁽²⁾.

وقد أشار إليها أبو القاسم سعد الله في قوله: "كانت رحلة الورتيلاني قد أثارت اهتمام المستشرقين أيضا، وقد نشرها بالعربية محمد بن أبي شنب ولكن ذلك لم يلب حاجة المستشرقين، كانت إحدى النسخ المخطوطة في حوزة المولود بن الموهوب وثلاث نسخ أخرى عند جان ميرانت سنة (1899م)، وكان ميرانت يسعى إلى ترجمتها... ولعل كثرة انشغاله وضخامة حجم الرحلة قد أخراه على إنجاز مشروعه ولذلك قام زميله مونتلانسكي بترجمة الجزء الخاص بالرحلة من طرابلس إلى القاهرة، ثم وجدنا محمد الحاج صادق في عهد متأخر، يقوم بترجمة خاصة للرحلة الورتيلانية"⁽³⁾.

¹- عبد الرحمن الجيلالي - محمد بن أبي شنب حياته وآثاره - (مرجع سابق) - ص 31

²- محمد زرمان - محمد ابن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 51

³- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 6 - (مرجع سابق) - ص 59

وقد قدم لها الأستاذ محمد بن أبي شنب بقوله: "فالرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للإمام العلامة والأستاذ الفهامة الشريف النوراني الشيخ الحسين بن محمد الورتيلاني نسبة إلى بني ورتيلان قبيلة قرب بجاية أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر، وأعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر، لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف"⁽¹⁾.

ويتبين للقارئ من خلال هذا التقديم جنوح العلامة ابن شنب إلى: "استعمال الجمل المسجوعة والإكثار من البديع"⁽²⁾، وهذا ما يعكس مدى تأثره بالثقافة العربية.

وقد اعتمد ابن شنب في تحقيقه للرحلة: "على مقابلة ثلاث نسخ خطبة، اثنتان منهما يعود تاريخهما إلى عصر المؤلف أي سنة (1768م)، والأخرى نسخت سنة (1895م)، وأضاف إليها نسخة تونس وقابل بينهما جميعا، صدر في جزء واحد ضخم، حوت (713) صفحة مع زيادة خمس صفحات لمقدمة الناشر والمصحح منه ترجمة للمؤلف وخص (105) صفحة للفهارس الفنية: الأعلام وأسماء الأماكن والقبائل والأعراش، وأسماء المصادر التي تجاوزت (330) في علوم مختلفة"⁽³⁾.

ب- الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية:

لعلي بن أبي زرع الفاسي⁽⁴⁾ نشره الدكتور محمد بن أبي شنب مصححا ومحققا: "وقد نشره بالتصحيح الكامل والتحقيق الدقيق"⁽⁵⁾، طبع في الجزائر سنة (1920)م.

¹ - سيدي الحسن بن محمد الورتيلاني- الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار - تح: عادل نويهض- مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط1 - 2006م - ص 3

² - محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 61

³ - عائشة يطو - محمد بن أبي شنب رائد المحققين الجزائريين - مجلة التراث العربي - دمشق - عدد 106 - 27 نيسان 2007 - ص 2

⁴ - علي بن أبي زرع الفاسي (لم نعثر له على ترجمة).

⁵ - عبد الرحمن الجبالي - محمد بن أبي شنب حياته وآثاره - (مرجع سابق) - ص 32

وقد أعيدت طباعة هذا المؤلف في الرباط سنة (1972م)، وذلك: "بالاعتماد على نسختين، إحداهما طبعة ابن أبي شنب، وقد جاء في مقدمته: نشر هذا الكتاب للمرة الأولى الباحثة الجزائرية الشهيرة الدكتور محمد بن أبي شنب بالجزائر سنة (1920م)، من غير تقديم ولا تعليق ولم يعن الناشر بتحقيق الكتاب فجاء مليئا بالأخطاء شكلا وموضوعا، ومع هذا النقص الذي ادعاه الناشر لعمل ابن أبي شنب، إلا أننا نجد في دار المنصور، يعتمد على الدرجة الأولى، ثم ركن إلى نسخة ثانية خطية في تونس، وهي مبتورة الآخر وخطها رديء جعل النص صعب القراءة"⁽¹⁾.

ومهما كانت النقائص التي شملت هذا الكتاب إلا أنه أيضا يعتبر مصدرا هاما في كتب الأخبار والتراجم.

ج- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:

لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم التلمساني، وقد سبق الحديث عنه في العنصر الثاني من هذا الفصل وما يهمنا هنا هو التركيز على النقاط التي توضح منهج ابن شنب في تحقيقه للكتاب وقد قدم له بالآتي: "فلما كان الكتاب المسمى البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشهير بابن مريم الشريف المليتي أصلا التلمساني منشأ ووفاة رحمة الله تعالى من أعظم المؤلفات في تراجم العلماء والسادات، بادرنا إلى طبعه لتعميم نفعه وجمعنا منه نسخا منها نسخة لمكتبة المدارس العليا الجزائرية محفوظة تحت عدد (2001) ونسختين للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظتين تحت عدد (1736) و(1737) ونسخة للسيد وليام مارصي مدير مدرسة الجزائر الدولية"⁽²⁾ معتمدا في تحقيقه على ثماني نسخ، وقد أشار ابن شنب في تقديمه بعودته إلى بعض الأصول التي نقل عنها ابن مريم رحمه الله مثل: (بغية الرواد في ذكر الملوك من

¹- عائشة يطو - محمد بن أبي شنب رائد المحققين الجزائريين - (مرجع سابق) - ص 3

²- ابن مريم - البستان - (مصدر سابق) - ص 5

بني عبد الواد لأبي زكريا يحيى بن خلدون) وكتاب (وفيات الخطيب القسنطيني) وغير ذلك من الكتب.

و: "قد أحال في هوامش بعض الصفحات على بعض المصادر التي رجع إليها لتوثيق متن النص مما اعتمده صاحب البستان وغيره"⁽¹⁾.

وما يلاحظ على تحقيق ابن شنب لكتاب ابن مريم، هو أنه لم يصدر لطبعته هذه بأية دراسة عن ابن مريم أو عن مؤلفه البستان، كما أنه اكتفى بالقليل من التعاليف في المتن رغم ورود العديد من أسماء الأعلام ومؤلفاتهم التي كانت تحتاج إلى القليل من التوضيح.

د- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية:

للشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، وبعد الكتاب مصدرا تاريخيا هاما اهتم بتسليط الضوء على كوكبة من علماء منطقة بجاية وما جاورها، وقد صدر عادل نويهض تحقيقه لهذا الكتاب بمقدمة الطبعة الأولى للعلامة محمد بن أبي شنب: "كتاب تلوح أنوار الحقائق من سبل عباراته، وبعقب شذا غرف المعارف من بيان إشاراته، أورد فيه مؤلفه من تراجم علماء عصره، وأخبار أخبار مصره، ما يحتاجه المتشوق إلى فرائد الفوائد، والمتشوق إلى أوابد الفوائد، مع ذكره وفياتهم ومؤلفاتهم، وسيرهم في مذاهبهم وعاداتهم"⁽²⁾.

وقد اعتمد الأستاذ ابن شنب على أربع نسخ وأشار في نهاية تقديمه بأنه بذل جهده في التصحيح والتصويب.

وقد أعاد تحقيقه الأستاذ رابح بونار، وأشار في كتابه إلى اهتمام الأستاذ ابن شنب بهذا الكتاب مما جعله يقبل على تحقيقه ونشره فقال: "وقد استرعى هذا الكتاب نظر المرحوم

¹- عائشة يطو - محمد بن أبي شنب رائد المحققين الجزائريين - (مرجع سابق) - ص 2

²- أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية - تح: عادل نويهض- دار الأفاق الجديدة بيروت - ط2 - 1979م - ص 16

الأستاذ الدكتور محمد بن أبي شنب ونال إعجابه فجد في البحث عن بعض نسخه المخطوطة"⁽¹⁾.

ومع أن الأستاذ راجح بونار اعتمد نسخة العلامة ابن شنب في تحقيقه يعود إليها عند التصحيح فقد قال عن عمله: "على رغم ما قام به الدكتور محمد بن أبي شنب من التحقيق ومقابلة النسخ التي تمكن بها من إخراج الكتاب فإن نسخته المطبوعة قد وقعت منها أخطاء كثيرة نقصت من قيمته وقد حاولت تلافيتها في هذه الطبعة الثانية وأضفت إليه حواشي ضرورية تعين على الاستفادة من تراجمه"⁽²⁾.

والذي يمكننا أن نستخلصه من هذا العرض البسيط لنماذج من تحقيقات ابن شنب نلمس براعته في انتقاء عناوينه التي تخدم تراثنا الجزائري بالدرجة الأولى، وهذا يعكس حبه الشديد لوطنه وتراث أمته وانصهاره الكامل في ثقافته العربية والإسلامية، كذلك تفوقه في استخدام المنهج العلمي بأدواته ووسائله ثم اجتهاده في اعتماد أكبر عدد من النسخ ومقابلتها ببعضها البعض حرصاً منه على تخريج النصوص التراثية أقرب ما يكون إلى أصولها، ثم براعته أخيراً في وضع الفهارس: "الفنية الدقيقة المختلفة والتي تعد أهم مرتبة للباحث في الكتاب المحقق فهي التي تظهر مكنونات الكتاب وجواهره وتدله على مواضع يصعب تحصيلها أحياناً إلا بقراءة الكتاب كله"⁽³⁾.

وهي تتنوع بين فهارس الآيات والأحاديث والأعلام والقبائل والأماكن والأمثال والمصادر والمحتويات.

ويبقى اسم العلامة محمد بن أبي شنب محفوراً في ذاكرة الأجيال على مر العصور، يشهد له معاصروه بعبقريته ونبوغه وبفضله وخدماته الجليلة للتراث العربي الإسلامي "وقد أهلتة

¹ - أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - تح: راجح بونار - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ص 34

² - المرجع نفسه - ص 51

³ - إياد خالد الطباع - منهج تحقيق المخطوطات - دار الفكر - دمشق - ط 1 - 1423هـ - 2003م - ص 76

ملكاته وكفاءاته العلمية وإنتاجه الفكري الغزير وحرصه الموضوعي، والتزام المنهج العلمي في بحوثه ودراساته لأن يحتل مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والأدبية"⁽¹⁾.

وعلى الرغم من بعض النقائص والزلات التي اعترضت بعض أعماله إلا أنها لم تنتقص من قيمتها باعتباره كان السباق في كشف الغبار عنها وإظهارها إلى النور، ولعل من بين هذه النقائص:

- عدم إيرادته لدراسة وافية في معظم دراساته حول موضوع المصنف كما أنه لا يورد ترجمة للمؤلف وعصره.
- عدم ترجمته في بعض الأحيان لبعض الأعلام الواردة في المصنف.
- عدم إيفائه لبعض القضايا الواردة في المصنف بالشرح والتوضيح والتعليق.

3- أسلوبه في الترجمة:

لم يبرع العلامة محمد بن أبي شنب في إحياء تراثنا العربي والجزائري الأدبي والفكري العريق تحقيقاً ونشراً فقط، بل برع أيضاً في نقله والتعريف به للآخر ترجمة ودراسة.

وقد ساعده في ذلك تبحره في مختلف اللغات وخاصة اللغة الفرنسية من جهة، وحذاقته في أساسيات اللغة العربية من جهة أخرى وهذا ما: "مكنه من التعاطي مع مفرداتها ونقلها إلى اللغة الفرنسية بسهولة، ذلك أن معظم الكتب والدواوين القديمة تحتوي من الألفاظ الغريبة والمهجورة ما يصعب أن يكون له نظير في لغات أخرى، فهي تحتاج لخبير باللغتين حتى يتمكن من ترجمتها ونقل مدلولاتها دون إخلال بالمعاني المقصودة وهذه العقبة وإن أعجزت الكثير إلا أنها لم تقف عائقاً أمام مقدرة ابن شنب اللغوية"⁽²⁾.

¹- محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - (مرجع سابق) - ص 5
²- محمد بسكر - محمد بن أبي شنب رحمه الله وجهوده في إحياء التراث. Mhtml:/File:///F:/

وهذا ما جعله يوصف بأنه كان معجما يسير على الأرض: "لكثرة محفوظه من مفردات اللغة المدونة بالمعاجم العربية وكانت له عناية بجمع الكلمات الكثيرة والتراكيب اللغوية التي تجري على ألسنة الأدباء في القديم والحديث"⁽¹⁾.

وقد اعتمد في ترجمته مختارات من هذا التراث إلى اللسان الفرنسي عبر منهج علمي دقيق لتيسير نقله وتعريفه للعالم انطلاقا من بعثه من جديد ثم نقله إلى القارئ بالترجمة والشعر.

وكان منهج ابن أبي شنب في الترجمة: "على حد تعبير أنور الجندي يترجم كل كلمة إلى اللغة الفرنسية ومع زيادة وشرح وتفصيل في بعض الكلمات، ويقوم باختصار بعض الكلمات إلى رموزها مثل: رحمه الله (رح) والمصنف (المص) وأصلا (أص)"⁽²⁾.

ومن بين النماذج التي ترجمها:

أ- ترجم إلى اللغة الفرنسية منظومة الحاج محمد بن مسايب التلمساني⁽³⁾ التي وضعها بالملحون بمناسبة حجه سنة (1182هـ-1768م) نشرت الترجمة مع الأصل بالمجلة الإفريقية (1900م) بعنوان: رحلة من تلمسان إلى مكة.

ب- جمع في نحو كراسين أو ثلاثة بعض أمثال منظومة بلهجة عامية أيضا، وترجمها إلى الفرنسية طبعت بباريس سنة (1928)

وإن كانت ترجمة محمد بن أبي شنب قد أفادت حركة الاستشراق بشكل كبير، فإنه مما لا شك فيه قد ساهمت بشكل أو بآخر في التعريف بهذا التراث للعالم أجمع.

¹ - محمد بن أبي شنب - منتخبات في التأليف والترجمة - (مرجع سابق) - ص 07
² - حسن رتوش - لانتماء الحضاري والتواصل مع الآخر من خلال الترجمة - (مرجع سابق) - ص 9 نقلا عن: أحمد دياب - من نبغاء الجزائر في العصر الحاضر الدكتور أحمد بن أبي شنب - مجلة الثقافة - الجزائر - العدد 98 - 1987 - ص 47
³ - الحاج محمد بن مسايب التلمساني: (ت: 1170)، كان في صغره ينضم الشعر المعروف بالحوزي ثم تحول إلى الشعر الديني. أنظر: (أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي - ج 2 - (مرجع سابق) - ص 117).

خاتمة

يتضح لنا في نهاية هذا البحث أن الاستشراق قام أساسا على دراسة الشرق وثقافته في مراحل تاريخية متعاقبة، حيث اهتمت مدارسه بدراسة الدين الإسلامي كمنهج ودستور حياة، تقوم عليه قواعد وأسس الدولة الإسلامية، حيث كانت تتحجج بثقافة التعرف على الآخر من أجل التوغل في المشرق والمغرب خدمة لأغراضه الخاصة، وعليه تخلص هذه الدراسة إلى جملة من النتائج لعل أهمها:

1- تزعم المدرسة الاستشراقية الفرنسية لحركة الاستشراق، كقوة مسيحية وضعت نفسها في مواجهة الدين الإسلامي، ما عدّ امتدادا للحروب الصليبية التي تزعمتها فرنسا قديما والتي ظلت لقرون تؤجج حقد الغرب ضد كل ما يمت بصلة للعرب والمسلمين.

2- على الرغم من تعدد أهداف وغايات الاستشراق ما بين أهداف توسعية استعمارية، أو تجارية اقتصادية، أو فكرية علمية، إلا أن أبرزها وأهمها تمثل في الهدف الديني الذي ظلت الكنيسة ترعاه حتى بعد تخلص أوروبا من هيمنتها.

3- اهتمام الاستشراق باستنطاق التراث باعتباره مرآة عاكسة لماهية الشعوب وكنهها، فهو المترجم الفعلي لحضارة الأمم من فكر ولغة وعادات وطباع وهو الذي يجسد تاريخها ومراحل نموها ما بين القوة والضعف، ولهذا كان محط أنظار المستشرقين الذين صبوا جل اهتمامهم عليه يستقرئون فحواه، ويستنتقون مجاهيله وخفاياه.

4- اعتبار الجزائر إحدى أهم حقول تجارب الاستشراق خاصة بعد احتلالها من طرف فرنسا سنة 1830م، واستنزافها ماديا وروحيا خاصة وأن معظم المستشرقين الفرنسيين كانوا مترجمين عسكريين ارتبطت مهمتهم بالهدف التوسعي الإستعماري.

5- تركيز الحركة الفرنسية الاستشراقية على طمس هوية الشعب الجزائري من خلال استحوادها على المصادر التي تحفظ تاريخه وتراثه وهي المخطوطات التي كانت موزعة في المساجد والزوايا والمكاتب الخاصة.

6- تعدد وتنوع أبحاثها ودراساتها للتراث الجزائري والتي طالت مختلف مجالات الحياة، إلا أن اهتمامهم كان بدرجات متفاوتة وحسب ما يخدم أغراضهم وأهدافهم الاستشراقية، فكان للكتب التراثية التاريخية النصيب الأوفر من اهتمام المستشرقين الفرنسيين، ثم تأتي بعدها كتب التراجم للتعرف على هوية مفكري الأمة والإستفادة من خبراتهم المميزة، وتليها كتب الرحلات لأنها تعد بمثابة خارطة طريق تمكنهم من الغوص في عمق الجزائر إلى أبعد حد ممكن خاصة في منطقة الصحراء، دون أن يهملوا كتب الدين التي من شأنها أن تمكنهم من التأثير في نفوس وعقيدة هذا الشعب بإخضاعه والتحكم فيه.

7- تعمدهم الانحياز عن جادة المنهج العلمي الذي يعتمد على التجرد من الأهواء والميول الشخصية من منطلق كرههم للإسلام والمسلمين أمة وعقيدة.

8- عنايتهم بالتراث كانت ومازالت وستظل من باب اعرف عدوك، فهذه الكتب التراثية بمثابة مفاتيح تمكنهم من التخطيط لتحطيم مجتمعنا ثقافيا واجتماعيا وفكريا وسياسيا.

9- ومن باب إعطاء لكل ذي حق حقه يجدر الاعتراف بفضل هؤلاء في الكشف عن ذخائر هذا التراث بعد أن كان مغمورا يلفه النسيان والاهمال، فقد اعتنوا بجمع مخطوطاته المتناثرة هنا وهناك وفهرستها وتحقيق العديد من أمهات الكتب في شتى مجالات الفكر والعلوم (تاريخ، تراجم، رحلات، دين....)، وكذا القيام بالعديد من الدراسات اللغوية القيمة وإنتاج العديد من الموسوعات والمعاجم.

10- فضلهم في الحفاظ على تراثنا لا يبرر تزوير تاريخ هذا التراث وتشويهه.

11- عنايتهم بتراثنا دراسة وترجمة ونشرا، كان بهدف الاستفادة منه وإثراء تراثهم الثقافي به كما كان لأغراض سياسية أكثر منه لأغراض علمية.

12- محاولة المدرسة الاستشراقية الفرنسية تكوين جيل جديد من الجزائريين يكون ناطقا بلغتها، ناشرا لثقافتها، خادما لأغراضها، إلا أن النضج الفكري لأبناء هذا الشعب مكنهم

من خدمة التراث الجزائري خدمة جلية ولو باللسان الفرنسي كالعلامة محمد بن أي شنب من منطلق الغيرة الوطنية.

13- تأثر ابن شنب بالمدرسة الاستشراقية الفرنسية لم يفقده هويته العربية وحبه لوطنه وتمسكه بأصوله الجزائرية العريقة التي لم يتخلى عنها حتى وفاته، فقد كان من الذين خدموا تراثهم العربي والجزائري باستلهم الطريقة و الفكر الغربي اعتمادا على الوسائل والمناهج العلمية الغربية.

14- تمكن ابن شنب من قواعد وأصول اللغة العربية مع اتقانه للغات الأخرى مكنه من نشرها في كافة أقطار العالم، حيث أصبح رسول اللغة العربية في منابر الغرب وبين صفوف مستشرقينهم، حتى أنه منحها شهرة عالمية وحبب تعلمها لكل الذين تتلمذوا على يديه أو صادفوه أو تعرفوا عليه.

ومهما يكن من غاية المدرسة الاستشراقية الفرنسية بما أقدمت عليه من جهود علنية ونوايا خفية، إلا أنها قدمت من حيث لا تدري خدمة جلية للتراث الجزائري بدراسته ونشره والتعريف به لدى الأمم الأخرى؛ إذ لولا اهتمامها بمخطوطاتنا والعناية بها لكان مآلها الضياع خاصة مع ظروف الاستعمار التي صاحبت حركة الغزو.

كما أنها أنجبت اسما كاسم المفكر العلامة محمد بن أبي شنب الذي ظل وسيبقى محط احترام كافة الشعوب والأمم لأنه ظاهرة لا تتكرر بشهادة مفكري العرب والغرب.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم برواية ورش

- 1-ابراهيم لونيبي - بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي - دار هومة - الجزائر - 2013 م
- 2- ابن قنفذ القسنطيني (أبو عباس أحمد بن الخطيب) - أنس الفقير و عز الحقيير - تح: محمد الفاسي وأدولف فور - المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط - 1965م
- 3-ابن كثير (الإمام أبو الفداء اسماعيل) - تفسير القرآن العظيم - المكتبة العصرية - بيروت - 1425هـ/2004م - مج4
- 4-ابن مريم - البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان - المطبعة الثعالبية - الجزائر - ط1 - 1908م
- 5- ابن منظور (أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم) - لسان العرب - دالر صادر - لبنان - ط1 - 1300هـ - مج4
- 6- أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني * عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - تح: رابح بونار - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
- * عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - تح: عادل نويهض - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط2 - 1979م
- 7- أبو القاسم سعد الله * أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - دار المغرب الإسلامي - بيروت - ط1 - 1996م
- *تاريخ الجزائر الثقافي - 1830/1954 - دار البصائر - الجزائر - ط6 - 2009م - ج6

- * تجارب في الأدب والرحلة - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1983م
- * مجموع رحلات (رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين) - المعرفة الدولية - الجزائر - 2011م
- 8- أحمد سمايلوفيتش - فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر - دار المعارف - القاهرة - 2001م
- 9- أحمد مختاري - معجم اللغة العربية - دار الكتاب - القاهرة - ط 1 - 1429هـ/2008م - مج 1
- 10- إدوارد سعيد - الاستشراق - ترجمة محمد عناني - رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة - ط 1 - 2006م
- 11- أرنست مرسييه - الترجمة في الجزائر - تر: حسين خمري - دار أقطاب الفكر - الجزائر - 2006م
- 12- اسماعيل أحمد عمارة - المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية - دار حنين - الأردن - ط 2 - 1996م
- 13- اسماعيل العربي - الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986م
- 14- اسماعيل علي محمد - الاستشراق بين الحقيقة والتضليل - الكلمة للنشر والتوزيع - القاهرة - ط 3 - 1421هـ/2000م
- 15- أشرف صالح محمد سيد - التراث الحضاري في الوطن العربي - مؤسسة النور والإعلام - اليمن - 2009م
- 16- البشير الإبراهيمي - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي - دار المغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1997 - ج 1

- 17- الحسن بن محمد الورتيلاني - الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار - تح: عادل نويهض - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط1 - 2006م
- 18- الشريف كمال دحومان الحسن- أشرف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري-دار الخلدونية-الجزائر- ط1- 1430 هـ / 2009 م
- 19- العباس بن إبراهيم السملالي -الأعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام- راجعه عبد الوهاب بن منظور- المطبعة الملكية الرباط - ط2 - 1993 - ج5
- 20- أنور الجندي - الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - 1385هـ - 1965م
- 21- إياد خالد الطباع - منهج تحقيق المخطوطات - دار الفكر -دمشق - ط1 - 1423هـ/ 2003م
- 22- جرجي زيدان -تاريخ آداب اللغة العربية -دار الهلال - ج4
- 23- جمال سلطان - الغارة على التراث الإسلامي - مكتبة السنة - القاهرة - ط1 - 1410هـ/1990م
- 24- حسين محمد سليمان - التراث العربي الإسلامي -ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر
- 25- خير الدين الزركلي -الأعلام -دار العلم للملايين -بيروت - ط5 - 2002 - ج6
- 26- دانيال ريغ - رجل الاستشراق (مسارات اللغة العربية في فرنسا) - تح: ابراهيم صحراوي - دار التنوير - الجزائر - 2008 م
- 27- زكريا بن يحيى بن خلدون
- * بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - بير فنتانة-الجزائر-1903 م
- * بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد-تح عبد الحميد حاجيات -وزارة الثقافة-الجزائر-2007م

- 28- - ساسي سالم الحاج - نقد الخطاب الاستشراقي - دار المدار الإسلامي - بيروت -
ج 1 - 2002م
- 29- سهيل إدريس - المنهل - قاموس فرنسي عربي - دار الأدب - بيروت - ط 2 -
2010م
- 30- سونيك - الديوان المغربي في أقوال عرب إفريقيا والمغرب - المطبعة الشرقية - باريس -
1902م
- 31- شاوش حباسي - من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر (1830-
1962) - دارهومة - الجزائر
- 32- صالح بن قرية - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر - المركز
الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 - الجزائر -
2007م
- 33- صالح عوض - معركة الإسلام والصليبية في الجزائر - الزيتونة للإعلام والنشر
- 34- صلاح الدين المنجد - قواعد تحقيق المخطوطات - دار الكتاب الجديد - بيروت -
ط 7 - 1987
- 35- صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي - الوافي بالوفيات - دار إحياء التراث العربي
- لبنان - ط 1 - 2000م - مج 1
- 36- عادل نويهض - معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر -
مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت - ط 2 - 1400هـ / 1980م
- 37- عبد الجبار الرفاعي - جدل التراث والعصر - دار الفكر المعاصر - بيروت - ط 1 -
2001م
- 38- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي - محمد بن أبي شنب - حياته وآثاره - المؤسسة
الوطنية للكتاب - الجزائر - 1983 م

- 39- عبد الرحمن خرشي - فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري - دار هومة - الجزائر - 1434هـ/2013م
- 40- عبد الستار الحلوجي - المخطوطات والتراث العربي - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ط1 - 2001م
- 41- عبد العزيز الرفاعي - توثيق الارتباط بالتراث العربي - ط4 - 1393هـ/1973م
- 42- عبد العزيز فيلاي - دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي - دار الهدى - الجزائر - 2012م
- 43- عبد العظيم الديب - المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي - رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر - ط1 - 1411 هـ
- 44- عبد العظيم الديب - المستشرقون والتراث - دار الوفاء للطباعة - قطر - ط3 - 1413 هـ/1992م
- 45- عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني - عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس - دار الخليل القاسمي - الجزائر - ط1 - 1425 هـ
- 46- عبد الله بن محمد العياشي - الرحلة العياشية (1661 - 1663م) - تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي - دار السويدي - أبو ظبي - ط1 - 2006م - مج 1
- 47- عبد المتعال محمد الجبري - الاستشراق وجه للاستعمار - مكتبة وهبة - القاهرة - ط1 - 1416هـ/1995م
- 48- عبده الراجحي - التطبيق الصرفي - دار النهضة العربية - بيروت
- 49- عزيز سامح التر - الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية - تر: محمود علي عامر - دار النهضة العربية - بيروت - ط1 - 1989م
- 50- عفاف صبره - الاستشراق ومشكلات الحضارة - دار النهضة العربية - مصر - 1985م

- 51- علي بن ابراهيم الحمد النملة - الاستشراق والدراسات الإسلامية - مكتبة التوبة - الرياض - السعودية - ط 1 - 1418هـ/1998م
- 52- علي مولا - الموسوعة العربية الميسرة - المكتبة العصرية- بيروت-ج3- ط1- 2010م
- 53- عمار المختار بن ناصر الاخضري- الضياء على الدرة البيضاء في الفرائض - مطابع الرشيد -المدينة المنورة - ط 2 - 1990 - ج 1
- 54- فهمي السعد - طلال مجدوب - تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق - عالم الكتب - ط 1 - 1413هـ/1993م
- 55- محمد أبوراس الجزائري
* الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية- تح: فوربيقي- بيرفونتانة-الجزائر- 1903 م
- * فتح الإله ومثته في التحدث بفضل ربّي ونعمته -تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري- المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر
- 56- محمد الصالح الصديق - أعلام من المغرب العربي- سوقي للنشر - الجزائر - 2007م - ج1
- 57- محمد الطاهر عزوي - الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي - دار الهدى - الجزائر - 1420هـ/1999م
- 58- محمد العربي معريش - الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية -دار الغرب الإسلامي -تونس - ط 1 - 2003م
- 59- محمد بن أبي شنب - منتخبات في التأليف والترجمة - دار القصة للنشر - الجزائر - 2007م
- 60- محمد بن عبد الله التنسي-تاريخ بني زيان ملوك تلمسان-مقتطفات نظم الدر والعيقان في بيان شرف بني زيان-تح: محمود آغا بوعياذ-موفم للنشر-الجزائر-2011م

- 61- محمد بن عبد الله بن الحسين البغدادي - فوائد ابن أخي ميمي الدقاق - دار أضواء السلف - الرياض - ط1 - 1426هـ/2005م
- 62- محمد حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - دار المعارف - القاهرة
- 63- محمد زرمان - محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية - مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة - جامعة الحاج لخضر - باتنة - ط1 - 2007م
- 64- محمد عابد الجابري - التراث والحداثة - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط1 - 1991م
- 65- محمود محمد طناحي - مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط1 - 1984م
- 66- مصطفى السباعي - الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم) - دار الوراق
- 67- مفيد الزيدي - موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني) - دار أسامة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - 2003م
- 68- مولود عويمر
- * أعلام وقضايا التاريخ الإسلامي المعاصر - تصدير أبو القاسم سعد الله - دار الخلدونية - الجزائر - ط1 - 1428هـ/2007م
- * مقاربات في الاستشراق والاستغراب - جسور للنشر والتوزيع - الجزائر - ط1 - 1434هـ/2013م
- 69- نجيب العقيلي - المستشرقون - دار المعارف - القاهرة - ج1
- 70- نذير حمدان - مستشرقون (سياسيون، جامعيون، مجتمعيون) - مكتبة الصديق المملكة العربية السعودية - ط1 - 1988م
- 71- يحيى بوعزيز

* أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة - دار العرب الاسلامي - بيروت - ط1 -
1995م - ج2

* موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب - دار الهدى - الجزائر - ج1
72- يحي مراد - معجم المستشرقين - دارالكتب العلمية - بيروت - ط1 -
1425هـ/2004م

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1-Journal asiatique -Recueil de mémoire Déxtrais et notices
relatifs à l'histoire ,à la philosophie, aux scienceslittérature et aux
langues des peuples orientaux...- Paris- 1822

2- Revue Africaine -Journal des traveaux de la société Historique
algérienne -Alger-1856

3- Le petit la rousse illistre -Atlas -Géographique -Drapeaux du
monde -Paris -2008

4- Le robert -Dictionnaire historique de langue française -Paris -
1992

5-Le Littré -Dictionnaire de la langue français -2001

المجلات:

- 1- جابر قميحة - آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم - مجلة دعوة الحق - مكة المكرمة- عدد 116 -1412هـ/1991م
 - 2- حاتم صالح الضامن -نشر التراث العربي الاسلامي عند المستشرقين - مجلة آفاق الثقافة والتراث -مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي - عدد 49 -1426- 2005هـ/م
 - 3-رشيد الزواوي-التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الاسلامي-مجلة الحضارة الاسلامية -عدد01-1993
 - 4-عائشة يطو - محمد بن أبي شنب رائد المحققين الجزائريين - مجلة التراث العربي - دمشق - عدد 106 - 2007
 - 5-عبد الوهاب عبد الرزاق التحافي - اتفاقية اليونيسكو لحماية التراث الثقافي - مجلة الأمن والحياة - المملكة العربية السعودية - عدد 348 - 1432هـ
 - 6- محمود المقداد - تاريخ الدراسات العربية في فرنسا- عالم المعرفة- الكويت-عدد 167 - 1992
- الرسائل الجامعية:**
- أحمد قنشوية - البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية (منطقة شمال الصحراء أنموذجا(1850-1950)) - أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث-إشراف الأستاذ: العربي دحو.
- المواقع الإلكترونية:**
- 1-أحمد بن عبد المحسن العساف - رحلات الحج في كتب الادباء والعلماء والمستشرقين.

2- اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي -المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة -الدورة السابعة عشر 17 تشرين الأول -21 تشرين الثاني 1972 -باريس. <http://whc.unesco.org/fn>

3- البار عبد القادر - الجزائر في رحلة أبي سالم العياشي. -Manifest.univ-ouargla.dz

4- حسين تروش -الانتماء الحضاري والتواصل مع الآخرين من خلال الترجمة عند محمد بن أبي شنب.

<http://Scholar.najah.edu/sites/deFault/Files/conference-paper/LNTM-Lhdry-w-lakhr-mn-khll-ltjrm.pdf>

5- رمضان حينوني - واقع الثقافة في ظل الاحتلال الفرنسي في الجزائر. www.myportail.com/actualites-nes-web-2-0.php?id=3089

6- شاشية تونس صناعة عريقة مهددة بالاندثار:

www.elaph.com/web/entertainment/2009/11/502311.htm

7- عبد الرؤوف خريوش- دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب <http://www.qou.edu/arabic/magazine/issued15/research5.htm>

8- عبد القادر بوباية - بحث حول كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- <http://archive.org/details/EIBoustane>

9-العقريب نعيمة -تجليات المقاومة والنضال في الشعر الشعبي الجزائري -جامعة الجزائر -الملتقى الدولي حول الجزائر وثورتها التحريرية. -manifest.univ-ouargla.dz/.../376

10- غادة محمد سعيد - الأمثال الشعبية. www.kotobarabia.com

11- فنساي مونتاي أعلن اسلامه بعد 30 سنة من البحث - جريدة الاتحاد - القاهرة - عدد 05- أغسطس-2013 www.alittihad.a

12- لويس شيخو - تاريخ آداب العربية PDF www.al-mostafa.com

13- محمد بسكر - محمد بن أبي شنب رحمه الله وجهوده في إحياء التراث.

Mhtm/ :File://F:/

14- يوسف محمد عبد الله - الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته

<http://yemen.nec.net/files/tourism/studies>.

www.madinacenter.com/post.php?DataLD=1 -15

humcivilization.blogspot.com/2016/02/blog-post.html -16

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
"وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا"	النحل	18	94
"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"	الاسراء	70	31
"وَوَرِثَ سُلَيْمَنَ دَاوُودَ"	النمل	16	32
"وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا"	الزمر	69	13
"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"	الحجرات	10	82
"وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا"	الفجر	19	32

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
32	" نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنْ نُورِثُ مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ "

فهرس الأعلام العربية

- ابراهيم بن الشيخ بن الدين: 91
- ابراهيم فاتح الرسمي: 143
- ابراهيم المريني البجائي: 118
- ابن البطريق: 24
- ابن بطوطة: 25
- ابن البيطار: 22
- ابن الجزري: 30
- ابن الجوزي: 26
- ابن خاتمة الأندلسي: 151
- ابن الخطيب: 21، 99
- ابن خلدون: 66، 102، 115، 159
- ابن الدين الأغواطي: 106
- ابن بطوطة: 25
- ابن عاصم الأندلسي: 65
- ابن الفارض: 28، 69
- ابن قنذ القسنطيني: 108، 159، 136
- ابن مريم: 101، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 167
- أبوتمام: 25
- أبو الحسن الشاذلي: 69
- أبو زرع الفاسي: 166
- أبو الفدا: 66

- أبو دلامة: 144، 152
- أبو مدين شعيب: 102
- أبو مدين الغوث: 109
- أحمد بارماق: 144
- أحمد بن يوسف المريني: 103، 123
- أحمد تيمور باشا: 160
- أحمد المقرئ: 156
- الأدريسي: 21
- البخاري: 149، 152
- البشير الإبراهيمي: 151
- البكري: 161
- بوليفة: 55
- بلقاسم بن سديرة: 54، 145، 152
- بلقاسم الحداد: 93
- الجاحظ: 161
- الحريري: 25
- الحسن بن مخلوف: 158
- حسن حسني عبد الوهاب: 150
- خليل بن اسحاق: 157
- الخنساء: 27
- الزجاجي: 152
- زكرياء بن يحيى بن خلدون: 115، 135، 136، 168
- السنوسي: 68، 102، 110، 111

- سيدي البجوي: 101
- الشنفرى: 26
- صاعد الأندلسي: 23
- عبد الحليم بن سماية: 144، 145، 148
- عبد الرحمن الأخضرى: 111
- عبد الرحمن الجيلالى: 147
- العبدري: 62
- عبد القادر الجزائرى: 71، 99
- عبد القادر الفاسي: 148
- عبد القادر الوهراني: 84
- عبد الله التوجيني: 99
- عبيد الله المهدي: 62
- عبد الوهاب البهسني: 25
- العدوانى: 117، 118
- عثمان بن زيان الصنهاجى: 99
- علي بن بلخير: 89
- العياشى: 106، 107
- الغبريني: 101، 168
- الغزالي: 30
- الكندي: 29
- ليون الافريقي: 23
- محمد أبو راس المعسكرى: 100، 107، 108، 117، 119

- محمد بن أبي شنب: 73، 140، 141، 143، 144، 145، 146، 147، 148،
- 149، 150، 151، 154، 153، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166،
- 167، 168، 169، 170، 171
- محمد بن أحمد المليتي: 155
- محمد بن بلخير: 93
- محمد بن مسايب: 92، 171
- محمد بن سليمان: 157
- محمد بن الشاهد: 86
- محمد بن قيطون: 92، 95، 96، 98
- محمد بن موسى الوجدجي: 155
- محمد بن يحيى المديوني: 155
- محمد التنسي: 69، 103، 104، 159،
- محمد الجوزي الراشدي: 100
- محمد الراسي البطوي: 154
- محمد سعيد الزاهري: 147، 150
- المسعودي: 27
- المقرئزي: 23
- المقرئ الفاسي: 23
- المنوفي: 69
- الوريثلاني: 111، 152، 166، 167
- الونشريسي: 111
- يحيى بن عبد الله بن عبد العزيز: 101
- يعقوب بن جميل: 124

فهرس الأعلام الأجنبيّة

- أبراهام دانينوس: 78
- أدريان ديلباش: 101
- آدموند ديستنج: 126، 127
- أدولف فور: 108، 136
- ألفريد بال: 115، 134، 136
- ألفريد لوشاتلية: 57
- ألكسندر جولي: 88، 89، 91، 114
- اليزابيت: 41
- أورنو: 119
- ايميل فيليكس قوتيه: 53
- بارجيس: 49، 68، 116، 101، 117
- بانتي: 44
- بدويل وليام: 24
- برانسي: 79
- برمس: 55
- برنيه: 78
- بلاد دويراين: 81
- بلاشير: 23، 136
- بوست جورج: 30
- بوكوك: 22
- بولديريف: 26

- بيرون: 49
- بيسونيل: 44
- بيل: 48
- بيهان: 49
- بيير بروجي: 106
- تروملي: 112
- جان جوزيف مارسيل: 79
- جان سوفاجيه: 136
- جاننيكوف: 27
- جبريلي: 27
- جبير: 21، 42
- جنكيز خان: 27
- جورج مارسيه: 53، 66
- جوني فرعون: 48، 78
- جونثاليث بالنتيا: 29
- جوبنالون: 128
- دافيزاك: 106
- دانينو: 79
- دوزي: 151
- دوسلان: 65، 66، 122
- دوفرمره: 82
- دي برسفال: 81
- ديجا: 71

- دي جين: 70
- ديفرانس: 49
- دي ساسي: 23، 45، 50، 61
- ديسبرمي: 85
- دي فرمري: 81
- ديفوكس: 122
- ديفونتين: 44
- دولفان: 48، 67، 68
- ديلكلر: 22
- ديني: 22
- دوتي: 112
- رودنسون مكسيم: 23
- روكريت فريديريك: 25
- ريشي: 48
- رينو: 66
- رينيه باسيه: 48، 54، 55، 56، 63، 64، 97، 123، 124، 125، 145،
146
- سانتيلانا دفيد: 28
- سيلدن جون: 24
- سونيك: 70، 92، 93، 95
- شاربونو: 48، 50، 51، 61، 62، 80، 81، 101، 102، 103، 104
- شارل بيار: 53
- شارموي: 27

- شو: 44
- شيلر : 44
- غوستاف مرسيه: 51
- فالرجاب: 28
- فانتورديبارادي: 44
- فانيان: 50، 53، 145، 146
- فران ش م: 26
- فنزالي: 96
- فانست: 71، 78، 85، 86، 88، 135
- فور أدولف: 69، 108، 136
- فوربيقي: 107، 108، 117
- فيرو: 117، 118، 122
- فيزابيل: 42
- فيلمار إدوارد: 25
- فيليب البلغاي: 41
- فينار: 48
- قاري 49
- قان: 99
- كارل بروكلمان: 26
- كلود كاهين: 115
- كود غراي ديمومبين: 22
- كور: 48، 79
- كوزيجارتن: 25

- كوستان دي برسفال: 61
- كوسين دي برسفال: 78
- كولبير: 43
- كومار زوامي: 30
- كومباريل: 48
- كونده 29
- لافوانتي: 28
- لوسيانى: 110، 111
- لوي جاك بريزي: 79
- لويس الرابع عشر: 43
- لويس السادس: 41، 70
- ليفي بروفنسال: 21، 72
- ليوني كايثاني: 28
- مارتن: 48
- ماسينيون لويس: 23
- ماكدونالد دنكان بلاك: 30
- مولا تيلانسكي: 48
- موليراس: 48
- مير: 58
- نابليون بوناپرت: 44
- هادمان: 48
- هانوتو: 82
- هنري باسيه: 125، 141، 148

- هنري بيرس: 111، 112،
- هنري الثالث: 55
- هوداس: 48، 54، 64
- هوغ: 82
- والتن الأسقف: 24
- وليام مارسليه: 55
- وليام هودوسون: 106
- ويلوك أبرهام: 24

فهرس الأماكن

- أوربا: 17، 19 ، 21، 41، 42، 43 ، 49
- اسبانيا: 21، 28، 29، 71، 73
- اسطنبول: 43
- آسيا: 20
- آسيا الوسطى: 26، 27
- افريقيا: 23، 43، 50، 69، 106، 111
- افريقيا الشمالية: 22، 44، 62، 66، 92، 93، 149، 160
- افريقيا الوسطى: 25
- الأغواط: 91
- اكسفورد: 151
- أمريكا: 29
- انجلترا: 41
- الأندلس: 19، 28، 41، 42، 43، 58، 65، 111، 112، 117، 156
- أندونيسيا: 58
- الأهقار: 125
- ايطاليا: 27
- باريس: 50، 51 ، 63، 65، 66، 67، 70، 75، 151
- بجاية: 82، 118، 122، 159، 166، 168
- بسكرة: 147
- بغداد: 163
- تاكبو: 141

- تلمسان: 49، 59، 67، 68، 101، 102، 103، 104، 116، 117، 118،
119، 153، 154، 155، 157، 159، 167
- تنس: 103
- تومبكتو: 62، 106
- تونس: 49، 58، 67، 69، 93، 108، 117، 144، 150، 151، 161، 162،
167
- جرجرة: 82
- الجزائر: 25، 27، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 52، 53، 54، 55،
56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 71، 72،
73، 75، 77، 78، 79، 80، 83، 84، 85، 87، 93، 100، 104، 105،
108، 110، 111، 112، 113، 115، 117، 120، 121، 122، 123،
135، 142، 143، 144، 145، 148، 151، 152، 153، 166، 167
- خراسان: 161
- دمشق: 63، 151، 163
- الرباط: 69، 72، 73
- السودان: 61، 114
- الشام: 117
- شرشال: 123
- صقيلية: 67
- العراق: 27، 117
- عنابة: 51
- غرناطة: 117
- غدامس: 106

- غليزان: 103
- فاس: 25، 73، 116، 117
- فرنسا: 23، 41، 42، 44، 46، 55، 61، 63، 64، 70، 71، 84، 113،
114، 135
- فلسطين: 27
- فينيا: 42
- القاهرة: 163، 165
- القدس: 29
- قرطبة: 116
- قسنطينة: 48، 50، 59، 60، 61، 67، 79، 118، 122، 123، 143، 147،
159
- القيروان: 116، 162
- المدينة: 59، 123، 124، 141
- مراكش: 156
- مرسيليا: 68
- مستغانم: 123
- مصر: 29، 44، 46
- معسكر: 103، 123
- المغرب: 23، 49، 64، 65، 67، 70، 71، 108، 111، 117، 151
- هولندا: 41
- الهلال الخصيب: 22
- ورقلة: 128
- وهران: 48، 64، 67، 68، 79، 123

فهرس الأشعار

الصفحة	الشاعر	القافية
91	ابراهيم بن شيخ بن الدين	أَوَاضِحُ الصَّبَاخُ تَجْرَاخُ
92	ابراهيم بن شيخ بن الدين	الدَّكِيْرُ تَرْتَاخُ الْحَبِيْرُ
95	بلقاسم الحداد	حَاضِرُ اِرْبَاخُ نَاصِحُ
94	بلقاسم الحداد	مُشَهَّرُ صَاخُ اَشْبَاخُ
95	بلقاسم الحداد	فَخْرَا الْاَجْرَاخُ الْفُصَاخُ
87	محمد بن الشاهر	تَسْرِ بِالْيُسْرِ
87	محمد بن الشاهد	الْأَشْرُ حَصْرِ
92	ابراهيم بن الشيخ بن الدين	الْأَزْدَالُ ذَبَالُ النَّسْوَالُ طَالُ

		قَصِير
93	بلقاسم الحداد	قَاهَم
94	بلقاسم الحداد	نَايَم عَلَم
85	عبد القادر الوهراني	مُسْلِمِين الوازنين
85	عبد القادر الوهراني	الحَاضِرِين الحَسَنِين حَزِين
86	عبد القادر الوهراني	الْبَحْرِين مَيْتِين
90	علي بن لخضر	تَشْطَانِي عِيَانِي
90	علي بن لخضر	السَوَانِي دَوَانِي
90	علي بن لخضر	جَنِّي زَدَانِي
91	ابراهيم بن الشيخ بن الدين	الْحُوْدَة عُدَا مَصْنُوْدَة عَزِيْر
97	محمد بن قيطون	مَائِي عَيْنِيِي
96	محمد بن قيطون	مَقْدِيِي

		حيزي
98	محمد بن قيطون	بَاقِي الغناي حَيِّ
97	محمد بن قيطون	النَّقْضِي عَلِي
97	محمد بن قيطون	بُرِّي الضَوَّاي
97	محمد بن قيطون	حِزِّي هِي

فهرس الأمثال

الصفحة	المثل
124	- مَطْرَزِينُ اللِّسَانِ، مَتَحْرَمِينُ كَيْفِ الحَصَانِ قَلِيلُ الأحْسَانِ، قُلْ ذَاكَ مَنْ أَهْلُ تَلْمَسَانَ
124	- اللِّي رَأَيْتُهُ طَوِيلٌ وَحَايِرٌ اعْرِفْهُ وَوَلِيدُ الجَزَائِرِ
124	- اللِّي فِي يَدِهِ كَسِيرَةٌ وَقَدِيدَةٌ، اعْرِفْهُ وَوَلِيدُ لَبْلِيدَةٍ
124	- اللِّي واقِفٌ على كَدْيِهِ لَا تَبَسُّ كَسِيَّةً، فِي يَدِهِ عَصِيَّةٌ، وَيَقُولُ لِلْبُلَا أَجِي لِيَا، اعْرِفْهُ مِنْ أَوْلَادِ لَمْدِيَّةِ
125	- إِذَا صَبَبَتْهُ عَوِينُهُ وَوَدِينَهُ قُلْ هُوَ وَوَلِيدُ قَسَنْطِينِيَّةِ

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ

تمهيد: مفاهيم الاستشراق والتراث ومنطقتاهما

أولاً: الاستشراق 12

1-تعريفه لغة واصطلاحاً 12

2-أهدافه 17

3-مدارسه 22

ثانياً: التراث 31

1-تعريفه لغة واصطلاحاً 31

2-أنواعه 36

3-أهمية دراسته 38

الفصل الأول: ماهية المدرسة الاستشراقية الفرنسية

أولاً: نشأة المدرسة الاستشراقية الفرنسية 41

ثانياً: نفوذ المدرسة الفرنسية ونشاطها الاستشراقي في الجزائر 47

1-المرحلة الأولى (1830م-1879م) 47

2-المرحلة الثانية (1879م-1930م) 54

3-المرحلة الثالثة (1930م-1962م) 58

ثالثاً: أهم رواد الاستشراق الفرنسي في الدراسة والنشر 61

1-أوغست شاربونو 61

- 63 2-رينيه باسيه
- 64 3-أوكتاف هوادس
- 65 4-دوسلان
- 66 5-جورج مارسيه
- 67 6-دولفان ج
- 68 7-الأب بارجيس
- 69 8-فور أدولف
- 70 9-دي جين
- 70 10-سونيك
- 71 11-ديجا
- 71 12-الأب فانسنت
- 72 13-ليفي بروفنسال

الفصل الثاني: إسهامات الاستشراق الفرنسي في دراسة ونشر التراث الجزائري

- 75 أولاً: أهم مجالات الدراسة والنشر في التراث الجزائري
- 77 1-في مجال اللغة
- 84 2-في مجال الشعر
- 99 3-في مجال التراجم
- 105 4-في مجال الرحلات
- 110 5-في مجال الدين
- 115 6-في مجال التاريخ
- 121 7-مجالات أخرى

ثانيا: منهجهم في الدراسة والنشر 130

الفصل الثالث: أثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية على بعض المفكرين الجزائريين

(محمد بن أبي شنب " أنموذجا "

أولا: حياته ومكانته العلمية ونشاطه في حقل الاستشراق 141

1-مولده ونشأته 141

2-شيوخه وتلامذته 144

3-مكانته العلمية ونشاطه مع المستشرقين 148

ثانيا: نماذج من أعماله في الدراسة والنشر 154

1-نموذج في التحقيق 154

2-نموذج في الدراسة 161

ثالثا: منهجه في الدراسة والنشر 164

1-أسلوبه في التحقيق 164

2-نماذج محققة 165

3-أسلوبه في الترجمة 171

خاتمة 173

قائمة المصادر والمراجع 177

الفهارس 190

- فهرس الآيات القرآنية 190

- فهرس الأحاديث النبوية 190

- 191 فهرس الأعلام العربية -
- 195 فهرس الأعلام الأجنبية -
- 201 فهرس الأماكن -
- 204 فهرس الأشعار -
- 207 فهرس الأمثال -
- 208 فهرس الموضوعات -